

عبدالله بن محمد الداوود
الغيرة
ومذابح الأعراض

الغيرة
ومذابح الأعراض

عبدالله بن محمد الداوود

ⓒعبدالله بن محمد بن راشد الداوود، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الداوود، عبدالله بن محمد

الغيرة ومذابح الأعراض. / عبدالله بن محمد الداوود. -

ط ٢ - الرياض، ١٤٣٨هـ

٢٠٠ص، ١٤×٢١سم

ردمك: ٨-٣٩٤٩-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

١- الغيرة أ. العنوان

ديوي: ٢١٢,٢ ١٤٣٨/٤٧٧٥

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٤٧٧٥

ردمك: ٨-٣٩٤٩-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الثانية

١٤٣٨هـ/٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الغيورين

إلى قدوات التّأريخ

إلى عشّاق الطهارة والعفاف

أنتم منبع الفضائل العظيمة

وأنتم السادة الأماجد

غيرتكم تنسينا تقصير غيركم

وعفافكم ثقيلٌ على كاهل أنصار الباطل

وكفاكم شرفاً وفخراً أن خصومكم هم خصوم الأنبياء عليهم السلام



المحتويات

مقدمة ١١
البغاء... الفكرة والمنشأ ١٣
نواة الجريمة ١٥
قيمة البغيّ عند نفسها وعند المجتمع ١٩
جريمة البغاء الحكومي ٢٤
انتشار البغاء الحكومي ٢٦
مصر ودورها في مكافحة البغاء ٣٧
المساندة الخفية للبغاء ٣٩
١. خطابات الترضية التي لا يعقبها تنفيذ ٣٩
٢. التغاضي الحكومي عن الانفلات الخلقي ٤٠
٣. عدم فرض عقوبات على جريمة البغاء ٤٠
٤. توفير الضمان الحكومي لصحة المجرمين من خزينة الدولة ٤١
٥. الاحترام الحكومي يعني الاعتراف الرسمي ٤١
٦. التدخل الحكومي مباشرة للدفاع عن البغاء ٤٤
جريمة قوم لوط ٤٨
البغاء ومبادرات العتق ٥١
البغاء الرسمي بين المواخير والفنّ ٥٧
المرحلة الأولى (بدء الخزي التاريخي) ٥٧
المرحلة الثانية: تجميل البغاء بمهنة الرقص ٥٩
الإعلام وتصدير البغاء ٧٠
تعهير العفيفات ٧٣
سجايا البغايا ٧٥
تدييث المجتمعات ٨١
دراسة حول أسباب البغاء ٨٣

البغاء ونزع الحجاب عن الوجه ٨٥
الحرب على القوامة ٩٥
إحصائيات ٩٨
البغاء والزواج ١٠١
البغاء الحكومي وتفقير الشعوب ١٠٦
وبعد قرن من الزمان ١١٠
شبهات المطالبين بالبغاء ١١٢
١. شبهة: إلقاء التبعة كاملة على الرجال، وتبرئة البغايا منها ١١٢
٢. شبهة: التماس العذر للبغي بالحاجة والفقر ١١٣
٣. شبهة: المطالبة بالبغاء العلني من أجل تقليل البغاء السري ١١٥
٤. شبهة: إلغاء البغاء الرسمي سيتسبب في ثورة شعبية ١١٦
٥. شبهة: إنَّ البغاء آفة مستأصلة من القدم فلا يمكن إلغاؤه بقرار ١١٨
موقف العلماء.. وموقفنا منهم ١١٩
المواقف المخزية لرموز العصر تجاه البغاء ١٣٤
البغاء الحكومي وموقف جماعة الإخوان المسلمين ١٤٦
الغيرة على المحارم ١٥١
فضل الغيرة على الأعراض ١٥٢
١. الغيرة صفةٌ من صفات الله تعالى ١٥٢
٢. الغيرة صفةٌ من صفات الأنبياء والرسل عليهم السلام ١٥٣
غيرة داود عليه السلام ١٥٣
غيرة إبراهيم عليه السلام ١٥٤
غيرة موسى عليه السلام ١٥٤
غيرة شُعَيب الرجل الصالح عليه السلام ١٥٦
غيرة لوط عليه السلام ١٥٦
٣. الغيرة صفة من صفات الصحابة رضي الله عنهم ١٥٨
غيرة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه ١٥٨
غيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ١٥٨
غيرة سعد بن عبادة رضي الله عنه ١٥٩
غيرة الزبير بن العوام رضي الله عنه ١٦٠
غيرة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ١٦٠
غيرة معاذ بن جبل رضي الله عنه ١٦٠

غيرة عموم الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ١٦١
٤. غيرة العرب ١٦٢
الإسلام يربي على الغيرة ١٦٦
الرحمة الكاملة ١٧٣
أنواع الغيرة ١٧٨
الغيرة المحمودة التي أحبُها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى ١٧٨
الغيرة المذمومة، وهي الغيرة المخالفة لشرع الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى ١٨٣
أسباب ضعف الغيرة ١٩٠
١. ضعف الإيمان ١٩٠
٢. الحكومات العلمانية بأنظمتها الفاجرة ١٩١
٣. الإعلامُ الفاسد ١٩٨
٤. السفرُ إلى بلاد الكفار ٢٠١
٥. أكل لحم الخنزير ٢٠٥
٦. اختلاطُ النساء بالرجالِ الأجانبِ عنهنّ ٢٠٦
٧. ثقافة المجتمع ٢٠٧
٨. الاقتداء بديانة الغرب ٢٠٨
٩. الثقة المغلوطة وضياع القوامة ٢١٢
١٠. فساد القدوات والمشاهير ٢١٥
١١. وسائل التواصل الاجتماعي ٢١٧
١٢. تعاطي الحشيشة والمخدرات والخمر ٢١٩
١٣. الإصابة بالسحر ٢١٩
١٤. أدبيات الغزل شعراً وقصصاً وروايةً ٢٢٠
أسباب الوقوع في الفاحشة ٢٢٨
١. الأسرة الفاجرة ٢٢٨
٢. رفقة المرأة للرجال ٢٢٩
٣. منع الزواج أو تأخيره ٢٣٠
٤. الوعد الكاذب بالزواج ٢٣٢
٥. سمسارات الإفساد ٢٣٢
٦. عيشة الاستعباد والرقّ ٢٣٣
٧. مهنة التخديم ٢٣٤
٨. الإيقاظ المبكر لشهوات الأطفال ٢٣٧

٩. الفقر ٢٣٩
١٠. التبرُّج والعري ٢٣٩
١١. تقليد الأجنبيات ٢٤٠
١٢. مجاراة الفتاة للرفيقات وحبُّ التقليد ٢٤١
١٣. مهمة التجسس لمصلحة الحكومات والأحلاف السياسية ٢٤١
صور ضعف الغيرة ٢٤٢
١. إدخال وسائل الإعلام المفسدة ٢٤٢
٢. الرضا بخلوة المرأة بسائق أجنبيٍّ ٢٤٣
٣. الرضا بدخول الحمو على المحارم ٢٤٣
٤. الرأفةُ بأهل الفواحش ٢٤٤
٥. الرضا بتبرُّج المحارم وإظهارهنَّ لزينتهن ومفاتنهنَّ ٢٤٥
٦. رضى المحرم بابتعاث المحارم وحدهنَّ ٢٤٦
٧. الرضا باختلاط المحارم بالأجانب ٢٤٧
٨. بلادة الطبع وقلة الأنفة ٢٤٨
العلاج طريق العفاف ٢٤٩
١. الدعاء واللجوء إلى الله تعالى ٢٤٩
٢. فضح العدوِّ الأول: وهو الشيطان الداعي إلى التعرِّي والفاحشة ٢٤٩
٣. استشعار معنى الدياثة وخطورتها ٢٥٠
٤. بيتك... بيتك ٢٥١
٥. الوعي بالمعركة مع العلمانية ٢٥٢
٦. تكوين الأهمية لدى النساء في تعظيم شأن الغيرة في نفوسهنَّ ٢٥٣
٧. تعويد الأهل على المصارحة ٢٥٤
أقوال العلماء في الدياثة وإيضاح حدودها ٢٥٥
استقلال المرأة اقتصادياً ٢٥٩
غيرة شرعية وغيرة علمانية ٢٦٢
الخاتمة ٢٦٤
المصادر والمراجع ٢٧٥



مقدمة

في زمنٍ تُنحر فيه أعراض الحرائر إلى غير قبلة ودون تسمية، وأمام عينيها تُحدُّ السكاكين، أكتب بقلمٍ يتلعثم، ويدٍ ترتعش، وعينٍ باكية، أعاذك الله مما تبكي منه أعين الرجالِ: لما حلَّ بأعراض العفيفات من نكباتٍ، وما نزل بهنَّ من رزايا ومحنٍ، فكلُّ مصائبنا دمعت لها البواكي، إلا الأعراض فإنَّها لا بواكي لها، وكلُّ فواجعنا سالت لها المدامع إلَّا فاجعة الأعراض والمحارم فقد جفَّت عنها المدامع، وليت شعري هل يحيي البكاء ميتاً، أو يردُّ فائتاً؟

نزل بالأمة زمان الغربة بعد أن رحل زمان التمكين، واستدارت الأحوال، وتقاعسنا عن نصرة الدين، فأصبح الإسلام غريباً كما بدأ، وأصبحنا نشكو الغربة معه، فما كان من (الغيرة على الأعراض) إلا أن نهضت عجلى تشاركنا الغربة هي الأخرى، فطوبى للغرباء، ولا مصيبة بعد ضياع الدين كمصيبة العدوان على الحرائر، ولا فاجعة بعد نقص الدين كهدر الأعراض، وليس في ذكريات الرزايا والنكبات أسوأ من هذا الزمن الذي بيع فيه الشرف بدراهم معدودةٍ، وكنَّا فيه من الزاهدين.

وكما أنَّ فرعون الغابر ذبح الأبناء واستحيا النساء، فإنَّ فرعون الحاضر بحكومته العلمانية تجاوز طغيان الفراعنة، فجمع مع الاستحياء -وهو كشف حيائهن- استحلال عفافهنَّ، وبدلاً من الاقتداء بأسلافه الغابرين في قتل الأبناء لكي يرتاحوا من رؤية أمهاتهم مكشوفات العورات مسلوبات الأعراض، فقد ذهب فرعون المعاصر إلى أبشع من ذلك؛ فأبقاهم أحياء؛ ليروا أمهاتهم بين ذراعي كلِّ خبيثٍ وقذرٍ، وهذا سبب حديثي عن

فاجعة البغـاء التي نزلت بالأمة قبل قرنين وبقيت حتى اليوم، وما كان لهذا الخـزي أن يبقـى في الأمة يوماً أو بعض يوم فضلاً عـن بقائه قرناً أو قرنين مـن الزمان؛ لولا أنَّ الإيمان في القلـوب أوهنُ من بيت العنكبوت، فأصبحت المحارم تتقلب في كبيرةٍ حرَّمها الله شرعاً، وفي أقذر مرضٍ اجتماعيٍّ.

ثـم انتقلـت إلى الحديـث عن (الغـيرة على المحـارم)؛ هذه الخلَّـة العظيمة والصفـة العزيزة، التي وصف الله بها ذاته، وأسبغها علـى رسله وأنبيائه، ومدح صاحبهـا، وذم مفتقدها، وجعلها فيصلاً لجوهر الرجولـة الحقة، وآيةً بينةً على عمق الإيمان ورسوخه في القلب، فبها حُمي الشرف والعفاف من كلِّ مجرمٍ وغادرٍ.

وكان مـن المناسب أن أضيف فصلاً لأقوال العلماء في (الدياثة)، لغياب معناها الشرعي في حياة المسلمين اليوم، وليميز الله الخبيث من الطيب وقد قيل: «الضـدَّان لا يجتمعان»، إلا أني جمعت الضدين في تأليف هذا الكتاب؛ لتتضـح الفـروق بين المعاني، وينفصـل بعضها عن بعضٍ، فالفتنة بالنساء قضيـةٌ يشعلها خبيثٌ، ويروجها مغفلٌ، ويتاجر بها سياسيٌّ، وتدفع ضريبتها الأمة بأكملها، والويل للأعراض من مرضى القلوب.

ونظراً لاتحاد الغيرة بيننا معاشر الغيورين، ولتكرار المسرحية الغادرة التي جـرت في تلك المرحلة ضد أعراضِ الأمَّة، فقد سمَّيت كتابي (**الغيرة ومذابح الأعراض**)، مشابهة لكتـاب الشيخ محمود أبو العيـون: (مذابح الأعراض)، الـذي كتبـه عام ١٩٢٦م ضـد ظاهرة البغـاء الحكومي المفروض على مصر آنذاك. وأسأل الله تعالى أن يجعل ما كتبته باباً لحفظ المحارم والشرف، وبعثاً ووقوداً لما أحبه الله من الغيرة، وعتاداً يوم القدوم عليه، سبحانه.

عبدالله بن محمد الداوود
الرياض ربيع الآخر ١٤٣٨هـ
جوال: ٠٠٩٦٦٥٥٢٠٠٩٥٢٢
mot3h@hotmail.com

البغاء
الفكرة والمنشأ

فُرض البغاء رسمياً في أنحاء عديدة من ديار أمة محمد ﷺ، وبعد مشوارٍ طويلٍ من التدرج في الفساد، كما حصل ذلك في مصر عام ١٧٩٨م مع حملة نابليون، وفي المغرب عام ١٩٢٤م، وفي تونس عام ١٩٤٢م، وفي سوريا عام ١٩٢٢م، وفي غيرها من البلدان، حتى إنَّ الحكومات كانت ترعاه بنفسها، وتصدر له التراخيص، وتوفر له الحماية الأمنيَّة[1]؛ لينزو اليهودي والنصراني والفاجر على أعراض أمة محمد ﷺ في الأزقة والشوارع، فقُدِّمت المسلمات بصفتهنَّ بغايا يستمتع بهنَّ الجيش المحتلُّ، فانتهكت الأعراض طوعاً بيد التغريب أكثر من انتهاكها إكراهاً بيد الاحتلال المسلح، فأصبحت أعراض الأمة المحمدية رهن التسلية والاستمتاع من كافرٍ لا تحلُّ له في نكاحٍ، فكيف تُساق له بالمجان في حرامٍ وفاحشةٍ. يقول صاحب كتاب تحريم البغاء: «وتدرجت البلاد بهذا السبيل إلى الانحطاط الأدبي، وتمهد الدور إلى خرابها، وتسلط عليها الهوان في كلِّ شيء، حتى جعلوا للبغاء فوق الإباحة نظاماً حكومياً لتأمين الزنى والزانية، بعد ما جاء في الكتاب العزيز: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢]»[2].

(١) في ١٨ ذي الحجة ١٢٩٩هـ/٣١ أكتوبر ١٨٨٢م أصدرت الداخلية المصرية (منشوراً عاماً) يشمل بنوداً تنظم علاقة البغايا بالسلطة ممثلة في الداخلية والصحة، ذكر ذلك فيليب جلاد، ونسب تاريخه إلى ١١ نوفمبر ١٨٨٢م، كما في قاموس الإدارة والقضاء، مطبعة بني لاغوداكي، الإسكندرية، ١٨٩٥م (٣/٢٤٥).

(٢) أنطون زكرى أمين، تحريم البغاء عند قدماء المصريين وحض الحكومة على إلغائه (ص١٦، ١٧).

حين يأتي الحديث عن البغاء يأتي معه الإيلام والإيذاء إلى قلب الغيور وعقله! بل وتسري مرارته في فمه! لبشاعة هذا الموضوع، ولقذارة معانيه، ودناءة مفرداته، وهذا لمجرد قراءة الموضوع على أوراق كتاب، فكيف بمن حلَّ به البلاء، وعاشه واقعاً مفروضاً في حياته اليومية، ولربما ابتلاه الله برؤية إحدى محارمه قد وقعت في تلك الكارثة، وهو عاجزٌ عن منع العدوان عليها، وليس في يده إلا القهر يتجرعه قطرة قطرة، فالحكومات هي خصمه في هذه البلية، وهي التي اختطفت عرضه، وهي الحامي لجريمة البغاء التي تهتك أعراض المسلمات، والويل والعقوبة لمن يحاول الاعتراض والنهي عن هذا المنكر.

وعلى الرغم من استبشاعنا للبغاء، وبراءتنا من أهله، فإننا نعترف أنَّ البغيَّ فريسةٌ تنحر إنسانيتها بيدها، وتقبل أن تكون أداة للجنس مقابل حفنة من مالٍ.



نواة الجريمة

إنها فتنة البغاء التي بدأ يدبُّ دبيبها إلى المسلمين، جاءتهم من الإفرنج حين الاحتلال ومن العلمانيين بعد الاستقلال، فأصاب المسلمين الوهن حتى بـردت دماؤهم وخمدت جذوتهـم وغيرتهم وأغلقوا -وأصمـوا- أسماعهم عما يجري تحت ذيل هذه المدنية وخلف ستورها الشفافة المفضوحة.

إنَّ مـن أعظم غايات الاحتلال استنقاص شـأن الدين وتتفيهه في قلوب المسلمين، تمهيـداً لإزالته تماماً ومحوه بالكامل، وجميع ما يبذله المحتل من مؤامـراتٍ وحيلٍ ليست في نهاية أمرهـا إلا أسلحة لإزالة الإسلام من نفوس الناس، فالقـوة الحقيقية التي يواجهها الاحتـلال ويخشاها هي الإسلام.. والأخطـار التي يستشـرف حصولها هي من الإسلام. ولـذا فإن فكرة نشر البغـاء وفرضــه وتقنينه وإجبـار المسلمين عليه، ما هـي إلا السلاح الأعنف الموجَّهة ضـد الإسلام لأجل إبعاد أهله عن دينهـم بالشهوات. وتأمل في كلِّ بلـدان الإسـلام التي ابتليت بالبغـاء الرسمي لتدرك أنها مـا كانت لتعرف البغـاء لولا دخـول الاحتلال وهيمنتـه على أراضيهـا، وقليلٌ مـن أشار إلى هـذا المعنـى ممن كتبوا في موضـوع البغاء، بل كانـت أقلامهم تنحرف إلى الأهـداف الجانبية في موضوع البغاء؛ وهـو الجوانب الرسمية أو التاريخية، أو جانب الحفاظ على صحة الزناة والزواني وحسب، ولقد أعجبني ما أشار إليه الطبيب البنغالي (فيروز م. كمال) من أنَّ البغاء كان من أهم الأسلحة التـي استعملهـا الغـرب في مواجهة الصحـوة الإسلامية، فيقـول: «لم يكن الاستغـلال والنهـب والاستعباد والإذلال البدني هو الجرائـم الوحيدة التي ارتكبهـا المستعمـرون الأوروبيون في حق الدول الإسلاميـة والدول الضعيفة

التـي احتلوهــا، لقد ذهب المستعمرون إلى أبعد مــن ذلك، فخططوا لتدمير البنيــة الأخلاقية للمسلمين... في صورة نشــر البغاء؛ فالبغاء في بنغلاديش مــا هو في حقيقته إلا إرث استعماري... ولهذا عمد الأوروبيون إلى ما يسمى بـ(مأسسة الجنس)»[1].

والبــلاد المصرية الأبيــة لم تكن تعرف البغاء إلا بعــد دخول الفرنسيين إليهــا، ومناداتهم بحرية المــرأة ومشاركتها في عهــد النهضة عام ١٧٩٨م، فكانــت نهضتهم منذ البدء مرتبطــة بالبغاء وامتهانهم للمــرأة وإفسادها: «إذ أقامــوا عام ١٧٩٨م أبنيةً للبغاء على هيئــة خاصة بغيط النوبي المجاور للأزبكيــة في القاهــرة، وفرضوا على مــن يدخلها جعلاً معينــاً، إلا إذا كان مصرَّحــاً له بورقةٍ يحملها صادرة من السلطــات الفرنسية تبيح له الدخول بغير أجر»[2].

ولعلــي أسوق بعض التحليلات التي خلت من ربط البغاء بحرب الإسلام في حيــاة المسلمــين، وهي تحليــلات ينقصها كثــير من الوعــي بالمعركة مع الاحتــلال، يقول عماد هلال: «وبعــد ثورة القاهرة الثانيــة أخذ الفرنسيون كثــيراً مــن نساء بــولاق، وأجبروهــنَّ على العيشــ كالغانيــات، وعاشروهنَّ معاشــرة الأزواج»[3]، يقول الجبرتي: «ثم تلا ذلك هروب كثير من الجواري الســود إلى معسكرات الفرنسيين بعــد أن عَلِمنَ رغبة الفرنسيين في (مطلق الأنثى)، على حدِّ قول الجبرتي»[4].

ويقول فيليب جلاد: «ورغم هــذا الإجراء الذي نعتبره البداية الحقيقية للترخيصــ الرسمــي بمزاولــة حرفة البغــاء في مصر -رغــم اعترافنا بأنَّ الحرفــة كانت موجودةً ومعترفاً بها منذ مــا قبل ذلك التاريخ بزمنٍ طويلٍ-

(1) https://goo.gl/o93ql4.

(٢) الجبرتي (٣/٢٤-٢٥). جرائم البغاء (ص١٢٧).

(٣) كريستوفر هيرولد (ص١٦٩-٢١٧). البغايا في مصر (ص٣٦).

(٤) عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار (٣/١٦١). البغايا في مصر (ص٣٦).

إلَّا أنَّنــا نرى أنَّ الإجراء كان مقصوداً بــه الوقاية الصحية لجنود الاحتلال -الــذي وقع في سبتمبر ١٨٨٢م- في المقــام الأول (حصر الأمراض السرية وعلاج المصابات بها)»[١].

ويقــول فيليــب يوســف: «وحينما احتــلَّ الإنجليز مصر بــادروا -حمايةً لصحــة جنودهــم- بإصــدار منشــور نظــارة داخليــة في ١١ نوفمــبر سنة ١٨٨٢م بضــرورة توقيع الكشف الطبــي على العاهرات؛ منعاً من انتشار داء الزهري»[٢].

ويقــول عماد هلال: «وتفسير ما حدث هــو أنَّ جنود الاحتلال قد وجدوا في بغايــا القاهرة متنفساً قويــاً لرغباتهم، ولما لم يستطع قادتهم منعهم من الاتصــال بالبغايا؛ أخذوا الإجــراء الأسهل، وهو إجبــار الداخلية المصرية باتخــاذ إجــراءاتٍ صارمةٍ للضمانــات الصحية لهؤلاء البغايــا، فاضطرت الداخليــة لإصدار هــذا المنشور، ويتشابــه هذا الموقف إلى حــدٍّ بعيدٍ مع ما حــدث في عهد الحملة الفرنسية، عندما عجــز بونابرت عن منع جنوده من الاتصال بالبغايا، فاتخذ الإجراء الأسهل وهو قتل البغايا»[٣].

وما لا يمكن إدراجه من قبيل المصادفة هو «أنَّ أول عرض سينما تجاري في العــالم كان في باريس في ديسمــبر ١٨٩٥م، وأول عرض في مصر كان في ينايــر ١٨٩٦م في الإسكندريــة، وبعدهــا في القاهــرة في ٢٨ يناير ١٨٩٦م، وبعدهــا كان العرضــ الثالــث في بــور سعيد سنــة ١٨٩٨م. وفي سنة ١٨٩٧ اتفتحــت[٤] في الإسكندرية أول صالة سينما عــام ١٨٩٦م»[٥]، كلُّ هذا جاء متزامنــاً مــع صــدور القانون الشامــل -لائحة بيــوت العاهــرات- القاضي

---

(١) فيليــب يوســف جلاد: قاموس الإدارة والقضــاء، مرجع سبق ذكره (لائحــة مكتب التفتيش على النسوة العاهرات صادرة في شهر يوليو سنة ٨٥) (ص١٢١٧-١٢١٨).

(٢) فيليب يوسف جلاد: القاموس المصري، المجلد الثاني (ص١٤٢٧). جرائم البغاء (ص١٢٧).

(٣) عماد هلال: البغايا في مصر (ص١٦٥).

(٤) جرى نقلها باللهجة العامية كما وردت في المصدر؛ لأنَّ الأمانة العلمية تقتضي ذلك.

(5) https://arz.m.wikipedia.org

بالاعـتراف الكامل رسميـاً بالبغاء، وكلاهمـا كان صدوره أول مـرة بقرار حكومـي، ولا عزاء للمسرفين في حسـن الظن بخصومهم زمن الحرب. وما لا يمكـن تجاهله في هذا السياق التاريخي ذلـك التزامن الدقيق بين افتتاح السينما وتهيئة المجتمع للفاحشة والفجور[1].



---

(١) كان تركيز اليهود على ضرب الإسلام في مصر ونسف الحشمة، ونقل التحرر والعري الغربي على خشبة المسرح آنذاك، وكانوا لا يخجلون من أسمائهم اليهودية الأصيلة، ولم يغيروا أسماءهم إلا بعـد مجيء السينما، لكي يصلوا إلى النجومية السينمائيـة بأسماء مصرية محايدة، وليحققوا الأهداف المالية والأيديولوجية، والجهل بالحقيقة يجعلك فريسة لتصديق أي معلومة.

قيمة البغيِّ
عند نفسها وعند المجتمع

البغاء كلمة احتوت حروفها على معاني الأسى والبشاعة، ولا تستسيغها إلا نفوسٌ ولغ فيها شيطان الإثم والفسوق والعصيان، وهو دركةٌ ومنزلةٌ سفلى لا تليق بالمرأة التي شرَّفها الله تعالى بعبادته وتوحيده، وفضَّلها بأن جعل في قلبها (لا إله إلا الله)، ثم ترضى أن تحيا حياة الخليعة المستهترة، ذات العين الزائغة، والنفس الطامحة إلى رجالٍ يرونها أحقر من ذبابٍ، حتى إذا قضى أحدهم وطره نبذها نبذ النواة، وجعلها تندب شرفها وعرضها الذي تعجز عن استرجاعه ولو بذلت ملء الأرض ذهباً.

تعترف إحدى البغايا بقيمتها فتقول بأسىً: «حسبك هذا لتعلم أيَّ حياةٍ نحياها نحن معشر العاهرات. من حقِّ المرء أن يبغض من يشاء، وأن يحبَّ من يريد، أما نحن فإننا لا نملك من أنفسنا شيئاً، ونحيا حياةً شقيةً في عالمٍ آخر غير عالمكم.

إنَّ علينا أن نبدو متجملاتٍ متزيناتٍ خليعاتٍ مستهتراتٍ، ولو كان على غير رغبتنا، مشرقات الوجوه، ولو كانت قلوبنا تقطر دماً؛ إرضاءً للزائرين.

يغضب المرء ويثور إذا نُعِت بذي الوجهين، فما بالك ونحن على علمٍ بأننا ذوات مئة وجهٍ؛ بل ألف وجهٍ؛ بل بأوجهٍ بقدر عدد من نرى من الرجال؟»[1].

---

(١) محمد فريد جنيدي: البغاء-بحث علمي عملي، مطبعة النصر، القاهرة، ط١، ١٩٣٤م (ص١١٩-١٢٠)؛ د. عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١١٢).

وهذه الأسطر أشبه بالنزيف الحادّ، ينزف بالألم والإحباط والحسرة، ولعل هذا الوصف خرج من رحم المأساة واكتوى بميسم المعاناة.

وإن كانت البغي محتقَرةً في أعين الناس، إلّا أنّ الاحتقار يتضاعف عندما تلحق البغيَّ بركب الأمومة، وتتحرك في أحشائها نسمة الروح، حينها يُسقَط في يدها فتصبح في عداد النادمين، «كما أنّ الحمل يعطّلها عن العمل، ويفقدها زبائنها، ولذلك نراها تحاول التخلُّص من الجنين بشتى الطرق»[١]؛ لأن الجريمة تحدث في الخفاء[٢].

وجاء في مجلة العروسة ما يوافق هذا التصور، كما جاء في هذه الوثيقة:

مجلة العروسة في ٢٢ يوليو سنة ١٩٢٥

عمجبة بموقفها أو قانعة راضية بحالتها بل أنها اذا خلت الى نفسها تمثلت لها حقيقة مركزها وما هي فيه من بؤس وشقاء فتترك لدموعها العنان وتلعن العالم الذي نبذها وتسخط على المجتمع الذي أهمل أمرها فدفعتها الحاجة الى ركوب هذا المركب الدنيء السافل فاذن رأيتموها تبتسم أو تضحك فما ذلك الا كما يرقص الطير مذبوحاً من الألم . . . ولكنها وقد أضاعت كرامتها وفقدت عرضها دون أن تلاقي من يرجعها الى صوابها أو يدفع عنها شر ذلك الزلل . . قذفت بنفسها الى وهدة الضلال فتسربت الى نفسيتها ميكروبات البيئة الفاسدة وأصبحت ترى حياتها محصورة بين اركان ذلك الميدان فهي تتذرع بكل وسيلة لاجتذاب النفوس وتحتال على العيش من طريق المخاتلة والمخادعة ولكنها لو لاقت من بعض النفوس محبة أو من القلوب من يعطف عليها لكانت حالها غير هذه الحال ولربما كانت في حياتها نعم المثال

---

(١) ديوان مجلس الأحكام، سجل رقم: س٧/١٠/٧٥. البغايا في مصر (ص١٢١).

(٢) وزارة الداخلية: تقرير عن حالة الأمن العام بالمملكة المصرية، مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة (ص٢٢)، البغايا في مصر (ص١٢٢).

إنَّ البغايا الممتهنات بهذه الرذيلة لَسْنَ نباتاً قذفته الرياح إلى الجهات، بـل كلهنَّ من عائلاتٍ وضيعةٍ أو رفيعـةٍ[1]، وهؤلاء البغايا جميعاً لم يسقطنَ مـن السماء، وإنما هم أبناء المجتمع دفعتهم ظـروفٌ اقتصاديةٌ واجتماعيةٌ إلى انحدارٍ في هاوية الرذيلة أو الجريمة أو التسوُّل[2].

وأقول: إنَّ الإلف والاعتياد على الرذيلة هو بمنزلة القيود التي تمنعها من محاولة الفكاك حتى ولو سنحت لها الفرصة بذلك؛ بل إن يقينها أنَّ السبيل الوحيـد لها هو البغاء ولا طريـق آخر، يقول فلكسنر: «يعيشـن البغايا عيشة الأسـرى مسلوبـات الحرية، مسخراتٍ فاقـداتٍ كلَّ أمـلٍ في إصلاح حالهنَّ بفعـل هذه المعيشة، وسوف لا يحركن ساكناً في سبيل استعادة حريتهن حتى في حالة ما تسنح لهنَّ هذه الفرصة»[3].

وهـذه المكانة المرذولة في نفوس المجتمع راعاها القانون المصري بوضوح في بدايـات فرض البغاء: حيث حظرت المادة ١٩ على المومسات أن (يوجدن بأبواب بيوت العاهرات، ولا بالنوافذ)[4]. وإلى جانب الاحتياطات الصحية المتخـذة في شـأن ممارسة البغاء، فقـد كانت هناك بعض اللوائح المتصلة بهـذه الحرفة، التـي لها بُعدٌ اجتماعيٌ هـامٌ، فقد قررت المـادة الثامنة من قانون إجـراءات واختصاصات مأموري ضبطيات الأثمان لعام ١٨٨٠م منع إقامـة البغايا في المناطـق السكنية ذات السمعة الجيـدة، وجاء النص بلغة القـرن التاسـع عشر على النحو الآتـي: «أنه ممنوعٌ سكـن حريمات بغاةٍ في وسط الأحرار؛ مثل اتخاذهم أماكن، وإقامتهم بها، بصفة الأحرار مع كون إجراءاتهـنَّ بضـد ذلك، فهؤلاء يصـير التنبيه بمعرفة مأمـوري ضبطيات

---

(١) أنطون زكري أمين، تحريم البغاء عند قدماء المصريين وحض الحكومة على إلغائه (ص٦٤).

(٢) عماد هلال: البغايا في مصر (ص٧).

(٣) المكتب الدولي لمنع الاتجار بالنساء والأطفال، بحث في منـع الدعارة المرخص بها من الحكومة (ص٤٢).

(٤) لائحـة بشـأن بيوت العاهـرات عـام ١٩٠٥م، مرجع سبق ذكـره؛ د. عبد الوهـاب بكر: مجتمع القاهرة السري (ص١٩).

الأثمــان علــى مشايــخ الأثمان والحــارات بمنعهــنّ وعدم وجودهــنّ بوسط محــلات الأحرار والمراقبــة لذلك بمعرفة مأموري ضبطيــات الأثمان، ومن يتوقف من تلك الحريمات يرسل للضبطية لإجراء ما يلزم»[1].

ويبــدو أن يأســ المومســ من حياتهــا كان يدفعها في بعضــ الأحيان إلى الخلاص منهــا بالانتحار: «أبلغت النيابة العمومية اليــوم، من بوليس قسم بــاب الشعريــة، أنَّ بغياً تُدعى أمينة علي الطنطاويــة، سكبت على ملابسها كميــةً مــن البترول، ثــم أشعلت النــار فيها، قاصــدةً الانتحــار، ونقلت إلى المستشفــى وهــي في حالةٍ خطرة. وقــد تبين من التحقيق أنهــا تعمَّدت ذلك ليأسهــا مــن الحياة، ونــزولاً على إرادة ضميرهــا الذي ظــلَّ يؤنبها منذ أن احترفت البغاء»[2].

يقــول عبدالوهاب بكر: «وتصــل المهانة وانتقاص مكانــة البغي إلى حد التساهــل حتــى في قتلها دون مبالاةٍ، وفق ما كشفــت قضية في عام ١٩٢٠م: حــين عَثر أحد العمــال الذين كانوا يحفــرون في أحد الشــوارع قسم اللبان بالإسكندريــة على عظمــة آدمية، ومع إبلاغ مديــر إدارة الطب الشرعي في ذلــك الوقت (السير سدني سميــث Sydney Smith) بهذا الاكتشاف، فقد طلــب استمرار الحفــر الذي وصل إلى ما تحت أحد المنازل في ذلك الشارع، وكشــف الحفر أجســاداً لأربع عشرة جثة لنساء بــين الثامنة عشرة وما بعد منتصف العمر، مسلماتٍ «حيث كنَّ جميعاً ممن جرى ختانهنَّ»[3].

ويقــول في موضع آخــر: «وتَصَاعَد النشاط الإجرامــي ضد البغايا، وهو

---

(١) قاموس الإدارة والقضاء، مرجــع سبق ذكره (قانون إجراءات واختصاصات مأموري ضبطيات الأثمــان (صــ١٨٨٠). والمقصود (بالأحرار) في النص (الشريفات) مــن النساء اللاتي يعشن في بيوتهــنَّ معيشةً سويةً ليســ فيها ما يخدش الشرف أو السمعــة. د. عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١٦).

(٢) مصــر، العــدد (١٠٤٤٩)، ١٩٣٢/٤/٢٠م، د. عبد الوهــاب بكــر: مجتمــع القاهــرة الســري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١١٢).

(٣) البوليس المصري ١٩٢٢م-١٩٥٢م؛ د. عبد الوهاب بكر (ص٢٢٥-٢٣٦).

مـا دفع إلى قتل الراقصة امتثال فوزي برقبة زجاجة مكسورة، حين رفضت الرضـوخ لمطالب عصابـة فؤاد الشامي بدفـع إتاوات، فعمد فـؤاد الشامي وعصابته إلى الاعتداء عليها بالضرب ليلة ١٥/٥/١٩٣٦م»[(١)].

يقـول د. أحمـد خضـر: «أوضحت بعض الدراسات أن نوعيـة الحياة، ومتوسط عمر الوفاة عند البغايا، أقلُّ كثيراً من غيرهنَّ من النساء العاديات، أمـا الوصمـة الاجتماعية التي تصيـب البغايا فهي أشدُّ وأصعـب، فالبغايا يعشن مـا يسمى بالموت الاجتماعي. تُجبر هذه الوصمـة البغايا على العيش في حيـاةٍ اجتماعيـةٍ سريةٍ منعزلةٍ ومنفصلةٍ عن المجتمـع، أساسها الكذب، إنهنَّ يعشن بعيدات عن المجتمع، مذلولات غير قادرات على مشاركة الحياة مـع الآخرين، يخفن من التحدث بانفتاح عـن تجاربهنَّ والصعوبات اللاتي يواجهنهـا، يخشين مـن طلب مساعـدة الآخرين، كما يخشـين من ارتكاب الجرائـم ضدهنَّ والتعرُّض للمحاكمة، والتعصُّـب ضدهنَّ. تتشرب البغايا هـذه المشاعر في أنفسهنَّ، ومن ثم يتضخَّم عندهنَّ الشعور باحتقار الذات، كمـا أنَّ ممارستهنَّ للبغـاء تجعلهنَّ يصنفن أنفسهن خـارج القواعد المتفق عليهـا التي تحكم الحياة الجنسيـة المشروعة، كما أنهنَّ لا يتمتعن بالحماية وردَّة الفعـل التي يقوم بهـا المجتمع تجاه النساء العاديـات اللاتي يتعرضن للاغتصاب مثلاً»[(٢)].

«ومن النادر أن تتزوج البغي، إذا كانت من غير قبيلة الغوازي التي تتمتع بنظم خاصة بها، والشخص الذي يتزوجها يقوم بفعل خيرٍ من وجهة نظره؛ لأنَّه ينتشلها من الضياع الذي ستنتهي إليه لا محالة»[(٣)].



(١) البوليس المصري ١٩٢٢م-١٩٥٢م؛ د. عبد الوهاب بكر (ص٢٣٧-٢٣٨).

(2) https://goo.gl/sQ5E3d

(٣) دي شابرول: المصريون المحدثون (٢٤٢/١). البغايا في مصر (ص١٢٨).

جريمة البغاء الحكومي

عبارة (البغاء الحكوميّ) جمعت من الدّقة في الوصف ما يختصر الطريق إلى الوعي بالمؤامرة، فهي تنسب البغاء إلى مصدره الحقيقي: وهو الحكومة، لأنّ ما حصل هذه المرة هو انقلابٌ تاريخيٌّ في ظاهرة البغاء، وتمردٌ على الصورة النمطية لبيوت الدعارة؛ تلك الصورة المعهودة في الأذهان بوجهها الدميم، ورائحتها الكريهة، والثياب الرثّة المتسخة، لتنتقل من ذلك القاع إلى القمّة، وتنتقل فيها صورة القوّاد من ذلك الرجل الأعور، ذي الحاجب المبعثر، والأسنان المكسورة، والوجه المليء بالعاهات والتشويه، إلى صورةٍ جديدةٍ هي صورة الحاكم العلماني الذي يملك الشأن والصولجان، ويعلو جبينه التاج، وبيده أمور البلاد، وبإمكانه بجرّة قلمٍ أن يحفظ أعراض الناس ومحارمهم ويصون شرفهم، فإذ به يختار القرار القاضي بضدّ ذلك تماماً، فجرى إصدار القرار باستباحة الفروج، والتبرع بأموال الدولة لفتح المشافي بالمجان للكشف الأسبوعي من أجل الحفاظ على صحة البغايا، وللتأكد من سلامتهنّ من الأمراض، ولضمان الصحة والسلامة للزناة والفسّاق؛ لكي يستمرّ فجورهم محفوفاً بالراحة والطمأنينة، وتزول العوائق التي تمنعه وتقف في وجهه، وزاد الحاكم على ذلك أن أوصى وزارة الداخلية بالحراسة المستمرة لبوابات المباغي، وراح يستحدث أنظمة البغاء ولوائحه التفصيلية الدقيقة: ليتحاكم الجميع إلى طاغوتها تحت أروقة المحاكم وأمام القضاء.

وكم ستعاني الأعراض والمحارم حين تغيب عنها عناية الحاكم من السقوط في المهالك، وقطع جرثومة البغاء من أصولها، وحين تغيب عنها

إقامة الحدود على الخبيثات والخبيثين، فما بالك ونحن في حقبة صار فيها الحاكم هو الجزار الذي تتلطخ يداه بذبح أعراض شعبه وسفك دماء شرفهم!؟



انتشار البغاء الحكومي

لم تقع الكارثة في موضع واحدٍ من جسد أمة محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل تنوعت المطاعن، وتعددت الجراح، واستشرى البلاء كأنه نارٌ في هشيم استدبرته الريح في يومٍ عاصفٍ، وغاب المضمِّد عن جروح الأعراض في جسد الأمة:

ولو كان جرحاً واحداً يُتقى لاتقيتهُ
ولكنه جرحٌ وثانٍ وثالثُ

فغوائل السوء جعلت الأعراض بضاعةً مزجاةً في سوق الرذيلة، ولا فرق بين أن نسخط أو نشفق أو نبكي؛ ففي كل حالاتنا سنظل صامتين آسفين ونحن نرى الأعراض في انحطاطٍ ليس بعده انحطاطٌ، وكثير من البلاد تكتوي بشواظ البغاء الرسمي، ونظراً لأنَّ الاحتلال يدرك أنَّ زواله مرهونٌ برجوع الناس إلى الإسلام، ويدرك كذلك أنَّ خير ما يؤخر ذلك الرجوع هو الفواحش والشهوات، أمر أذنابه أن يفسدوا النساء، ويجعلوهنَّ سهاماً لا تطيش، والقوم لديهم من البراعة في هذه الفتنة ما يستفز الوقور الحليم، فراح الاحتلال يسعى بكل وسعه جاهداً لفرض البغاء في كل أرضٍ تقع تحت نفوذه وانتدابه، وبين يديك بعض الأمثلة:

تركيا:

كان في تركيا نظام للبغاء في سنة ١٩٢٥م، وعلى أثر الثورة السياسية تكونت هناك حالة خصوصية، فقد كان الاتجار بالرقيق الوارد ناجحاً جداً

في بـلاد البلقان، غير أنَّ (إبطال الحجـاب) ترتَّب عليه اندفاع عددٍ عظيمٍ من النسـاء التركيات نحو بيوت الدعارة، والذين يشتغلون بهذا الاتجار هنـاك ليسوا خاضعين لمراقبةٍ قانونيةٍ، والبوليس على اتفاقٍ معهم ومع الموسمات في غالـب الأحيان[1]، وجاء في موضع آخـر: «يوجد بتركيا اتجارٌ دوليٌّ بالرقيق الأبيض تتسع دائرته ويتقدم بسرعة أورجواي»[2].

لبنان:

يشهد لوجود البغاء الرسميِّ في لبنان ما ذكره الشيخ علي الطنطاوي في ذكرياتـه عن زيارته لبنان ووصف حـال البغايا هناك، فقال: «ذلك أن وراء صفِّ العمارات القائمة على أكبر ساحة في المدينة حيٌّ كاملٌ، هو حيُّ البغاء، فيـه -كما علمت- الموسمات، وعلـى أبوابهنَّ لوحـات بأسمائهنَّ، والأضواء ساطعـةٌ فيـه، والمنكرات معلنةٌ. شيءٌ ما كنت أظـنُّ أنَّ مثله يكون في بلدٍ من بلاد العرب وبلاد المسلمين»[3].

ومـن اللطائف ما جـاء في الهامش، حيث كتب الشيـخ تعليقاً يقول فيه: «ومـن عجيب مـا رأينا لما أطللنـا من النافذة قبـل أن نـدع الغرفة، واحدة مـن نساء المحلِّ (أي: من الموسمـات) بالحجاب الشرعي، والخمار الأبيض والسبحـة في يدهـا، لأننا كنَّا في آخر شهر رمضان، فهـي تتوب فيه، تدع ما كانـت فيه، فـلا ييئسِ الدعـاة إلى الله، فما دام في القلب بقيَّـة من إيمانٍ، فالإصلاح ممكنٌ».

وجاء في جريدة (الصبـاح) تحت عنوان: (البغايا يمتنعن عن دفع الرسوم فلمـاذا؟): في بـيروت -كما في كلِّ مدينـة كبيرةٍ- بيوت للبغـاء الرسمي، ولكن

---

(1) المكتب الدولي لمنع الاتجار بالنساء والأطفال، بحث في منـع الدعارة المرخص بها من الحكومة (ص٣٥).

(2) المكتب الدولي لمنع الاتجار بالنساء والأطفال، بحث في منـع الدعارة المرخص بها من الحكومة (ص٣٦).

(3) الذكريات (٧/٢٠٦).

الأقـدار شـاءت[1] أن تقع بيـوت البغايا في بـيروت في أجمل بقعـة منها، وأكثر الأحيـاء عمرانـاً، وأقربهـا إلى قلـب العاصمـة والمدارس والدوائـر الحكومية المركزيـة، ومن غرائب سخريـة الأقدار[2] أنَّ الحيَّ الـذي يقيم فيه الساقطات يُدعـى شارع (المتنبي)، وهو كائنٌ شرقيَّ ساحة الـبرج على عشرين خطوة من سـراي الحكومة؛ حيث يقيـم رئيس الجمهورية، ومدير الـوزارات، ويجاور هذا المـكان مدرسة (الأخوَّة) ومنازل للسكن، ولا بد للداخل إلى بيروت، سواء أ كان راكبـاً للسيارة أو ممتطيـاً قدميه، من أن يمرَّ في شـارع (المتنبي) القائمة على جانبيه منازل البغاء، وقد تعددت الشكاوى لإهمال الحكومة أمر نقل بيوت البغاء إلى مكانٍ قصيٍّ، فلا يتعرَّض الأحداث إلى السقوط في مهاوي الرذيلة...»[3].

سوريا:

يقـول المحامي علاء السيد في تاريخ حلـب المصور: «فُتح المحل العمومي (دور الدعـارة المرخَّصـة) رسمياً في حيّ بحسيتا عـام ١٩٠٠م، وكانت دور البغـاء السريـة غـير المرخصة قبلهـا في منطقة كـرم الكسمة قـرب قشلة الأتراك (ثكنة هنانو).

يبـدو أنَّها كانت قريبة من ثكنة الجنود الذين يكثر ارتيادهم لهذا النوع من الدور، وقربها ميخانات (خمَّارات) الحميدية»[4].

ويذكر صاحب كتاب (جرائم البغاء) أن إلغاء البغاء في سوريا جاء تبعاً لإلغائـه في مصر بعد ما يسمى (بدولة الوحدة)؛ حين اتحدت سوريا بمصر عام ١٩٥٨م، فكان النظام المصري هو المهيمن والحاكم.

---

(١) الأقدار ليس لها مشيئة، وإنما المشيئة لله تعالى، ولكنَّ الأمانة العلمية اقتضت عدم التصرف في المنقول.

(٢) (سخريـة الأقـدار) عبارةٌ فيهـا تجوُّزٌ وغلـطٌ، فأقدار الله تعـالى ليس فيها عبـثٌ، واستخدام (سخرية القدر) تشي بالعبث في القدر، تعالى الله عن ذلك.

(٣) جريدة الصباح، السنة الحادية عشرة، العدد (٣٥٥)، ١٤/٦/١٩٣٣م.

(٤) علاء نديم السيد: تاريخ حلب المصوَّر (ص٢٧٨).

وانضمَّت الجمهورية بالقرار الجمهوري رقم ٨٨٤ الصادر في ١١ مايو سنة ١٩٥٩م إلى الإقليم المصريّ، وترتَّب على ذلك إلغاء البغاء المنظَّم الذي كان لم يزل موجوداً في سوريا، وقد صدر بهذا الإلغاء القانون رقم ١٠ لسنة ١٩٦١م مكافحة الدعارة، وهو القانون الذي يسري على الإقليم المصري والإقليم السوري[١].

يقول أيمن الشوفي في مقالة بعنوان (الدعارة في سوريا سلطة الظلّ): «حين كانت مهنةً قانونيةً، تأسست بيوت الدعارة في سوريا تباعاً منذ العام ١٩٠٠م، وكانت تسمَّى (منزول). وبين العامين ١٩١٤م و١٩٢٠م ازدهر هذا العمل أكثر؛ بسبب عوامل الفقر والحاجة التي رافقت الحرب العالمية الأولى. الانتداب الفرنسي جاء ونظَّم هذه المهنة، وكانت سوريا تُحصي رسمياً ٢٧١ عاملةً فيها عام ١٩٢٢م، يدفعن الضرائب، وتُجرى لهنَّ فحوصاتٌ طبيةٌ مرتين في الأسبوع، كما كان لهنَّ يوم عطلةٍ، وأوقات عملٍ محددة ومعلومة، وأماكن واضحة لمزاولة المهنة. وكانت السلطات تعتبر ممارسة الدعارة بغير أماكنها مخالفة للقانون»[٢].

الأردن:

ورد في مجلة الفتح ما يثبت وقوع البلاء نفسه على الأردن؛ من استحلالٍ للمحارم في حكومة شرقي الأردن، والمقال ينقل وصول الدعارة إلى يافا، ومدى انتشار البغايا في الفنادق، ويافا هي (بيت يافا) الواقعة شمالي الأردن ضمن محافظة إربد، وإليك الوثيقة.

---

(١) جرائم البغاء (ص١٤٠).

(٢) صحيفة السفير العربي، ١٢/٤/٢٠١٦م.

: الخميس ٤ ذي الحجة ١٣٤٦ – ٢٤ مايو ١٩٢٨

﴿ بيوت الدعارة ﴾

وصلت الدعارة في يافا الى درجة صار معها من الصعب أن يجد الانسان فندقا خاليا من المومسات ، هذا فضلا عن كثرة البيوت السرية التي تكون في بعض الاحيان ملاصقة لدور الاحرار . ومن المؤسف ان لا نجد من البوليس اهتماما بالضرب على أيدي المتاجرات بالاعراض فعسى أن يهتم البوليس بهذا الامر

﴿ الاحوال في الشرق العربي ﴾

تنشر الصحف الرسائل الطوال والمقالات الكبيرة عما تأتيه حكومة شرقي الاردن من الاعمال المنافرة للنظم البشرية مع الذين قاموا يحتجون على تلك الاتفاقية الثقيلة التي يرونها سلاسل واغلالا في أعناقهم وأعناق الاجيال الآتية

وآخر ما حدث في ذلك القطر فعلة متصرف أربد الذي أطلق النار على التلاميذ الذين لا ذنب لهم الا اظهار شعورهم نحو بلادهم التي يريد القائمون عليها أن يجعلوها مستعمرة للتاج البريطاني

« يحيى »

المغرب:

يقول عبد العالي الشباني في مقاله (أشكال الدعارة في مغرب الاستعمار): «كانت الإدارة الاستعمارية قد أصدرت قانوناً ينظم البغاء بالمغرب، وهو المرسوم المؤرخ في ١٦ يناير ١٩٢٤م، المرخص لفتح منازل رسمية للمتعة، وتم تحيين هذا المرسوم سنة ١٩٥٤م، وهذا ما دفع المقاومة وقتئذ إلى تخطيط عدد من العمليات ضد دور الدعارة من أجل الردع بالدار البيضاء، القنيطرة، آسفي، مراكش، مكناس، برشيد، الرباط، تافراوت، ابن أحمد، سلا، وزان وفاس، فيما بين ٢٢ يناير ١٩٥٤م، و٣١ دجنبر ١٩٥٥م. هكذا شجع الاستعمار الفرنسي الدعارة، وجعل منها أداة للتجسس»[١].

الجزائر:

أما في مدينة الجزائر فيهبط في فصل الشتاء (من ديسمبر إلى فبراير) عددٌ كبيرٌ من السياح الأجانب، وهي معدودةٌ في أوساط البغاء بمنزلة (مركز طلبٍ مهمٍّ) لتلبية الطلبات الطارئة في أثناء ازدياد عدد السياح، فإنَّ أصحاب بيوت البغاء ومديريها في مدينة الجزائر يتفقون فيما بينهم لإيواء عدد كافٍ في هذا الفصل من العاهرات استعداداً للطوارئ، وقد ثبت نهائياً أن بعض تلك البيوت في مدينة الجزائر تُدار بالاتفاق المتصل بينها وبين المحال التي مثلها في باريس، وهكذا الحال في مدينة تونس، وعلى ذلك فإنَّ وجود بيت الدعارة والطلبات التي ترد في خلال موسم السيَّاح بزيادة عدد الخدم فيها مما يشجع على تجارة الوارد من الرقيق الأبيض[٢].

---

(1) https://goo.gl/bQFGon

(٢) المكتب الدولي لمنع الاتجار بالنساء والأطفال، بحث في منع الدعارة المرخص بها من الحكومة (ص٢٦).

تونس:

وبعد أن يقارن عبد الله النديم بين حالة البغاء في مصر وفي تونس تحت الحمايـة الفرنسية يوضـح أنَّ الحالة في مصر لم تصـل إلى الدرك الأدنى كمـا في تونس، وينقل عن جريـدة (الزهرة التونسيـة) قولها عن الحكومة الفرنسية: «وليس لها مأثرةٌ حميدةٌ تُذكر، أو صنعٌ جميلٌ يُشكر، سوى تكاثر الفواحش والفساد، والإضرار بالعبـاد، فمنذ تغيرت الهيئة البلدية السابقة عظـم مصاب المومسات الأوروبيـات، وتفاقم خطب انتشارهنَّ بين الحرائر في معظـم الشوارع، وكثرت أسواق الفجور، وكيف يرجى الإصلاح من إدارةٍ مهملـةٍ مستبـدةٍ معتديةٍ علـى قوانين لا دأب لهـا إلا استخلاص الفرنكين ونصفٍ معلوم الاختبار الطبي من ساكنات الحوانيت؟»[1].

وتنتشر (المحـال) في منطقة البغاء، فهذا محـل (إلياس) بجوار شارع (عبد الخالـق) ببـاب الشعريـة، يجلب صاحبـه النساء من تركيـا وسوريا ولبنـان وتونس، ويرفـع أجر الدخـول إلى خمسـة قروش، وهـو مبلغ كبير بمقاييس العقد الأول من القرن العشرين، إذا علمنا أن ضابط الشرطة كان يتقاضـى ٧٢ جنيهاً سنوياً (٦ جنيهات في الشهر)، إذا كان في رتبة الملازم، ولم يرفع المرتب إلى ١٢ جنيهاً شهرياً إلا عام ١٩٢٤م[2].

العراق:

وممـا يشهد على وجود البغـاء الرسمي في العراق مـا قاله معتز محيي عبد الحميـد: «بعد دخول الإنكليـز بغداد أصبحت هـذه (الحرفة) علنيةً، فقد جمعت القحاب في منطقة معينة من بغداد وهي (محلة الكلجية وكوكز نظـر) المقابلـة لسوق هـرج، وفي هذين الزقاقين كانـت مجموعة من الدور

(١) الأعـداد الكاملة لمجلة الأستاذ، مركز وثائـق وتاريخ مصر المعاصر (٢/٧٧٩)؛ البغايا في مصر (ص٢٠١).

(٢) عبد الوهاب بكر: البوليس المصري (ص٢٢٦).

المتلاصقة القديمة ومقاهٍ ذات مدخلٍ واحدٍ تطلُّ على بداية شارع الرشيد، وكذلك على عدد من الدكاكين والمقاهي. كانت القحاب المقيمات في تلك الدور ملزماتٍ رسمياً بإجراء الفحص الطبي والمختبري الدوري عليهن في مواعيد معينة، ولدى كلٍّ واحدةٍ منهنَّ إجازة (ممارسة) مهنة (القحاب) بصورة رسمية، ويغرَّم (القواد) السمسير إذا قام بتشغيل من لم تحصل على إجازة أو لم تخضع إلى الفحص الطبي»[1].

الكويت:

يدل على ابتلاء الكويت بالبغاء ما ذكره عبد الله خالد الحاتم بقوله: «والبغاء في الكويت كان يقع داخل سور البلدة، الأمر الذي أقلق راحة العائلات المجاورة، وهذا القلق يسري بطبيعة الحال إلى المجتمع الكويتي بأسره. فتوجَّه وفدٌ من أعيان الكويت لمقابلة المرحوم الشيخ أحمد الجابر، وطلبوا إليه العمل على نقل البغاء إلى خارج سور البلد، فرفض الشيخ أحمد طلبهم هذا بحجَّة أن نقله من موضعه الحالي إلى موضع آخر يعتبر اعترافاً رسمياً به، ورأيي (أن تتركوا هذا الموضوع للمستقبل، خصوصاً وأن البلدة آخذة في التطور والإعمار).. هذا هو نصُّ كلام أحمد الجابر، وقول الشيخ أحمد الجابر هذا فيه شيء من اللباقة.. إلَّا أنه غير مقنع، ولا يغير من الشعور السيئ شيئاً»[2].

البحرين:

ويثبت وجود البغاء الرسمي في البحرين ما جاء في مقال بصحيفة الوسط لتوفيق علي يقول فيه: «ولم يكن قرار المستشار البريطاني لحكومة البحرين تشارلز بليغريف (١٩٢٦-١٩٥٧م) القاضي بإلزام (جميع

---

(١) تراث: لمحات من تاريخ البغاء العلني والسري في بغداد https://goo.gl/zo5RWS

(٢) عبد الله الحاتم: من هنا بدأت الكويت (ص٣١٥).

العاهـرات المجاهرات) بأن يسكنَّ بالمحل المخصص للعاهرات المجاهرات، وهو (فريج قبلة) في المنامة، في ٨ فبراير/شباط ١٩٣٧م إلا محطة سبقتها سنوات من الاحتراف غير المنضبط.

اكتسـب (فريـق جرانـدول) في ضواحي العاصمـة أهميـة خاصة بدءاً مـن نهاية الثلاثينيات مـن القرن الماضي عندما قـرر المستشار البريطاني لحكومة البحرين تشارلز بليغريف (١٩٢٦-١٩٥٧م) جمع كلِّ العاهرات في منطقـةٍ واحدةٍ قريبةٍ من المنامة، وتحديـداً في النعيم (جراندول)، على أن يكون جميع النساء فيها مسجلات لدى الحكومة»[١].

بنغلاديش:

يقول د. أحمد إبراهيم خضر: «أصدرت المحكمة العليا بها حكماً يقضي بمشروعيـة ممارسة الدعـارة كوسيلـة لتكسب العيشـ، ولم تكتفِ المحكمة بهـذا الحكم؛ بل أصدرت تعليمات للحكومـة بالإفراج عن المئات من البغايا حبيسـات السجون، جاء حكـم المحكمة هذا إثر فحصهـا لدعوى قضائية، رفعتها مجموعة من العاهرات كنَّ محتجزات في بيوت للمشردين»[٢].

الهند:

وتكشف مجلة الفتح في عددها «٤١٥» بتاريخ ٢٥ جمادى الآخرة من عام ١٣٥٣هـ عمـا يؤكد وجود البغاء الحكومي الرسمـي في بلاد الهند عبر هذه المقال:

---

(١) علـى سرير الغرباء... تاريخ البغاء في البحريـن، توفيق علي، صحيفة الوسط، العدد (٤٥٤٦)، ٢٠١٥م.

(٢) البغـاء أفضل أسلحة الغـرب في محاربة الإسلام: بنغلاديش أنموذجـاً، نقلاً عن مجلة المجتمع الكويتية www.muslm.net

مقاومة البغاء في الهند

اهتم المجلس التشريعي في مقاطعة (سرحد) الواقعة في الشمال الغربي للهند، بمسألة البغاء وقدم الى الحكومة طلبا بالغاء هذا الوباء رعيا ولتطهير البلاد منه، فوافقت الحكومة الانكليزية وأجلت جميع البغايا

ويقال ان بعض مجالس البلديات في مقاطعات أخرى من القطر الهندي قدمت الى الحكومة طلبات في هذا الشأن الا أنها لم تحصل على النتيجة المطلوبة حتى الآن ونرجو أن تحصل عليها، كما نرجو من العاملين أن لا ييأسوا من الدأب ومضاعفة الجهود في عملهم هذا، لما له من الاهمية، ولما في افشائه من الخطر على الحياة الانسانية عموما

والحق أنه يجب على كل قطر اسلامي أن يقف أمام هذا الداء موقف المجلس التشريعي في (سرحد) لان اباحة البغاء جرت على البشر بويلات عظيمة ورزأتهم في النفوس والأموال وقلبت صرح الاخلاق قلبة سيظل أثرها نقطة سوداء في تاريخ المدنية الاوروبية

بقية العالم الإسلامي:

مــن الإنصاف أن نشهد بأنَّ بعض البلــدان الإسلامية سلِمت من البغاء بحمد الله تعالى وفضله، ولكنَّ بعضها الآخر أصابته شظايا البغاء وأحرقت كبده وأضلاعه، وفي ظـلّ احتلالٍ مستترٍ، وردود فعلٍ احتسابيةٍ ضعيفة أخذ البغـاء يخبـط شرقاً وغرباً لا يرقـب في مؤمنٍ إلاًّ ولا ذمــةً، وقد وقفت على بلـدانٍ إسلاميــةٍ نزل بها البــلاء، كما ينقل ذلك كتاب جرائــم البغاء حيث قال: «وقــد صاحب انتشار الأمراضــ الزهرية في أوروبا نشــاط الأوروبيين الاستعماري في أفريقيــا وآسيا، فسنُّوا في البلاد التي استعمروها أو فرضوا عليهــا حمايتهــم تشريعات تنظيــم البغاء، هادفين بذلك أصــلاً إلى حماية جنودهم من عــدوى الأمراض، فظهر تنظيم البغاء في الهند لوقاية الجنود الإنجليز عام ١٨٧٥م، وفي جزر هاواي عام ١٨٦٠م، وفي طنجة عام ١٩٢٦م. وفي الســودان عــام ١٩٢٤م، وفي سوريــا ولبنــان والعــراق وليبيــا ومراكش والجزائــر أثناء وجود القــوات الإنجليزية أو الفرنسيــة أو الإيطالية...إلخ. (راجــع: Bull. Abol. لسنــة ١٩٤٦م، صــ٧١، Rev. Abol. لسنة ١٩٥٢م، صــ٩٠، ولسنة ١٩٥٤م، صــ١، ٨٧ و٨٨ و٨٩، ولسنة ١٩٥٧م، ص٢٢، ولسنة ١٩٥٨م، ص١، وكذلك Odette. P.82)»[1].



(١) جرائم البغاء (ص١٢٧).

مصر
ودورها في مكافحة البغاء

نظراً إلى أنَّ بلاد مصر تنفرد بتوافر الوثائق وانتشار الصحافة وأقلام المثقفين بصورةٍ أكسبت تاريخها كثيراً من الوضوح والدقة والتوثيق فإنَّ ذلك جعل ذكرها متكرراً في معرض الحديث عن البغاء، دون أن يعني ذلك انتقاصها بحالٍ؛ بل يعني أهميتها التاريخية في حماية الدين والذبِّ عن العقيدة والأعراض، ومواجهة الزحف الصليبي.

ولئن نال مصر بلاءُ البغاء العلني، وآذى أهلها انتهاك الأعراض، فتلك لم تكن الطعنة اليتيمة في خاصرة الأمة؛ بل نزل الداء والبلاء نفسه في بلادٍ كثيرةٍ وعواصم إسلاميةٍ في الحقبة نفسها، مسَّتهم البأساء والضراء ونالهم المكرُ الكُبَّار صباح مساء.

إنَّ تركيز العدو على مصر أكثر من غيرها لم يكن محض مصادفة؛ بل جاء يحمل بين طياته إقراراً واعترافاً بأهمية مصر المباركة، وتأثيرها القوي في الأمَّة الإسلامية أجمع، وهي التي شهد لها التاريخ بشرف التصدي للحملات الصليبية على مر التاريخ، ولأهميتها البالغة في تغيير وجه العالم الإسلامي، ولأثرها في نبض الأمة وقلبها المؤمن، ولذا قال نابليون بونابرت كلمته الشهيرة: «من يحكم مصر يحكم العالم»، وقبله قال هرقل وقت حكمه لمصر: «إذا سقطت الإسكندرية ضاع ملك الروم»، وهذه الاعترافات القديمة تفسر الواقع الحديث، ومن ذلك ما أشار إليه التقرير الصادر في عام ١٩٢٧م عن (لجنة الخبراء الخصوصية) التابعة لعصبة الأمم المتحدة،

الخاص بالاتجار بالنساء الراشدات والقاصرات، وقد أشار أحد التجار إلى أنَّ هذه التجارة تعد تجارة رائجة في مصر، فقال: «إنك تستطيع عمل كل ما تريد في القطر المصري، حيث تجد محترفي تجارة الرقيق الذين يأتون من جميع أنحاء العالم»[1]. وقد كشف تقرير (لجنة الخبراء (الخصوصية) التابعة لعصبة الأمم المتحدة عن الاتجار بالنساء الراشدات والقاصرات، الصادر في عام ١٩٢٧م)، عن وجود حركة ضخمة لتجارة الرقيق الأبيض من أوروبا إلى القاهرة، وأوضح هذا التقرير كيفية تزويد العاصمة المصرية بالمومسات الأوروبيات، وأماكن تصدير هاته المومسات... إلخ[2].



---

(١) المكتب الدولي لمنع الاتجار بالنساء والأطفال: بحث في منع الدعارة المرخص بها من الحكومة، مطبعة الثغر، ١٩٣١م (ص٢١-٢٢).

(٢) د. عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص٥٣).

المساندة الخفيَّة للبغاء

يحلو للبعض الدفاع عن أخطاء الحكومات لإعفائها من مسؤولية جرائمها وأنظمتها الظالمة، وإفسادها لدين شعوبها ودنياهم، فيتردد كثيراً عبارة: (الحكومة لا تدري)، أو عبارة: (الأمر ليس بسهل، ولا بدَّ من إعطاء الحكومة فرصةً أطول)، وتارة: (الحكومة مغلوبٌ على أمرها، وليس في يدها حيلة، ولو استطاعت لفعلت، ولكنها واقعة تحت ضغوط خارجية)، وكما يمتدُّ الأمل بلا نهاية تمتدُّ التعليلات بلا نهايةٍ؛ بأعذارٍ أفقيةٍ وعموديةٍ يرويها ساذجٌ عن مثله إلى منتهاه، ولكن تبقى مآلاتُ الأمور تدلُّ على خلافَ ما يتوهمونه، فالملحوظ أنَّ الحكومات العلمانية لها خطوات لا تعفيها من مسؤولية البغاء، وتجعلها المصدر الحقيقي وراء العدوان على الشرف والأعراض كما سيأتي:

١. خطابات الترضية التي لا يعقبها تنفيذ:

جرت العادة أنه بعد استنكار العامة لأيِّ مخالفة، وكثافة الاحتساب تجاه الفجور والمخالفات، أن تستيقظ الحكومات بطريقةٍ مفاجئة كعادتها من سباتها المقصود، لتعلن مبادرات الترضية وقرارات التعديل المؤقت ضد الفجور والمظالم، وبعدها يبدأ مشوار التماوت والتباطؤ في اتخاذ القرار الصارم تجاه الفواحش والرذيلة، حتى تسلو الشعوب عن مطالبها، وتنام على وسادة النسيان، وبعدها تستأنف الحكومات ما بدأته سابقاً، فيستمر المشروع وينقطع الاعتراض، وهذه صورة من أبرز الصور المتكررة للدعم الحكومي الماكر، فالحيلة تتلخص في هذه المعادلة: (الحكومات تفرض

الفســاد، ثم تدعمــه، ثم تتظاهــر بمحاربته، ثــم تستحدث جهــات رسمية لمكافحتــه، فتعبــث بموازين القــوى لتجعل الفســاد أقوى مــن تلك الجهات المكافحــة له، فيستمــر الفساد، ويقتنــع الناس أن الحكومــة أدت واجبها)، وهكـذا الشعوب بطبيعتهـا ميَّالةٌ لالتماس الأعذار، يقـول يحيى بن سليمان العقيلــي: «إنَّ من أهداف حركة التغريب تشجيــع تجارة الخمور والمخدرات مع التظاهر بمحاربتها»[1].

٢. التغاضي الحكومي عن الانفلات الخلقي:

التهديـد والوعيـد صـورةٌ من صـور الرفض والاعتراض، فضلاً عن استحـداث العقوبـات الرادعـة للناسـ عـن أيِّ مخالفــة وخطـأ لا ترضاه الحكومــة، وهــذا ما لا نجده في تعامل الحكومات مــع البغاء الرسمي، يقول عبد الوهاب بكر: «بهـذا الانقلاب الخلقي، وتغاضي الهيئات الحكومية عن مضاره، وعـن سوء عواقبه، اندفعت الفجار والأسافل إلى تحسين كلِّ قبيحٍ، وتشويـق كلِّ غافـلٍ إلى الفجور وتطوراته السيئة، فاجـترأت الجماهير على سلـوك الفســاد، وصــاروا أسبق من الشياطـين في الدعــاء إلى كل ضلالة، وبذلـك استطاع الجهال، بالوقاحة والتشــرد النفسي، أن يصمُّوا أسماعهم عــن دواعي الزجر ونصائح الإرشــاد، حتى بلغ منها الخطأ جعل الزنا مهنة عامة كبعض المهنات المتخذة لالتماس الرزق»[2].

٣. عدم فرض عقوبات على جريمة البغاء:

مــن أوضح ما يبين تورط الحكومات عدم عـدِّ الفاحشة جريمة تستحق العقــاب، يقول أنطون زكـرى أمين: «فالضوابط التــي وضعتها السلطات في ذلـك الوقت لم تَعْدُ أن تكون ضوابط صحيةً واجتماعيةً لا ترقى إلى مستوى

---

(١) العفة ومنهج الاستمناف (ص٦٣).

(٢) أنطون زكرى أمين، تحريم البغاء عند قدماء المصريين وحض الحكومة على إلغائه (ص٥١).

العقوبة الجنائية»[1]، فالجرائم التي توليها الحكومات اهتمامها هي الجرائم المضرّة بالحكومة، وما لم يرتق إلى اهتمامها فمصيره أرشيف التجاهل المتعمَّد.

٤. توفير الضمان الحكومي لصحة المجرمين من خزينة الدولة:

يقول أنطون زكرى: «أغرب ما في هذا السبيل المنكر، وضع نظام لتأمين الزناة في فجورهم من انتشار الأمراض المعدية الفتاكة في الأجسام»[2].

٥. الاحترام الحكومي يعني الاعتراف الرسمي:

يقول د. عبدالوهاب بكر: «حيث احترمت (الشرطة) -خلال المدّة موضوع الدراسة- الوثائق المالية بين المومسات والبدرونات، ففصلت في المنازعات التي كانت تبدر بينهنّ، وكثيراً ما كان يقضى بإلزام المومس بالبقاء عند (البدرونة) إذا عجزت عن الدفع ولم تجد (بدرونة) أخرى تفتدي حريتها بالشراء.

لكن العجيب في الأمر كان احترام جهات الكشف الطبي على المومسات لمواثيق الشرف المعقودة في مجتمع البغاء، فكانت هذه الجهات لا تسمح للمومس بأن تخرج من المستشفى بعد العلاج إلا إذا تسلمتها (بدرونتها) أو أحد أتباعها»[3].

«كما أنّ أعوان السوء الذين في خدمة القوّاد أو البدرونة كانوا يحيطون بمكتب الكشف الطبي على المومسات من جميع جهاته يوم الكشف الطبي

---

(١) د. عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١٧).

(٢) أنطون زكرى أمين، تحريم البغاء عند قدماء المصريين وحض الحكومة على إلغائه (ص٥٢).

(٣) د. عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١٠٧).

علـى مومساتهم، حتـى إذا خرجت المومسـ بعد الكشـف كان حولها نطاق منهم لا يمكن أن تفلت منه»[1].

وقـد يبـدو الدعم الحكومـي في صـورة إقامـة الحفلات التـي ترعاها الشخصيات الرسمية، كما نقل ذلك عماد هلال بقوله: «وأشار إلى حفلات البالـو (الرقصـ الإفرنجـي) التي كانت تقـام تحت رعايـة عباس حلمي الثـاني، وكيف كانت الخمور توزع فيها إلى حد أنَّ عثمان بك مرتضى أفرط في الشـراب حتى تبوَّل على نفسـه في حديقة القصر أمام الحضور، فألزمه الخديو أن يقدم استعفاءه من الخدمة، وضرب مثلاً بعلي باشا شريف الذي بلغـت ديونه ٣٠٠ ألف جنيـه بسبب مصاحبته للبغايـا والخليلات، مما هو مشهور عنه بـين الخاص والعلم، حتى إنَّ المجلس الحسبي قرَّر الحجر عليه في نوفمـبر ١٨٩٥م، كما يشـير إلى أنَّ إحدى زوجاته كانت جارية مغنية من جـواري محمد باشا سيد أحمد، وكانت سيئـة السيرة جداً»[2]. وتنقل أيضاً مجلـة العروسة في ١٥ مايـو ١٩٢٥م زيـارة محافظ القاهـرة صالة المغنية (رتيبـة وانصـاف رشـدي)، وبعد أن شاهـد الملاهي والمخالفـات صريحة للقوانـين واللوائح، أبدى عدم ارتياحه للرقصـات المعروضة إرضاء لخاطر السـوَّاح، ووعد بأنه سيوقـف هذه المخالفات، ولم يحصل شيءٌ مما وعد به؛ بـل المجلة ذاتهـا تنقل في عددها الصـادر في ٢ إبريـل ١٩٣٥م، زيارة وزير الماليـة ورئيس الدولة في وقتٍ واحدٍ، وهذه صورة مـن المقال، والمكر القديم يتكرر ويتجدد:

---

(١) الأهـرام ١٩٢٣/١٢/٢٧م. د. عبد الوهـاب بكـر: مجتمع القاهـرة السـري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١٠٧).

(٢) عماد هلال: البغايا في مصر (ص٢٤٥).

مجلة العروسة في ٣ ابريل سنة ١٩٣٥

في سينما الكوزمو !

دعاني أحد الزملاء لقضاء الشطر الأول من الليل بسينما الكوزمو حيث يعرض فلم الدكتور فرحات الذي يشترك في تمثيله فوزي الجزايرلي وأمينة محمد وهي رواية كوميدية ظريفة . واتخذت مقعدي بجانب صديقي وبدأت السينما في عرض بروجرامها ولكن لم يكد يمر من الوقت عشر دقائق حتى تعالى الهتاف والتصفيق وبالبحث عن السبب عرفت ان سعادة أحمد عبد الوهاب باشا وزير المالية قد حضر لمشاهدة الفيلم . وبعد ان هدأت الحالة بمدة قليلة اذا بي ارى كل من بالصالة يهبون دفعة واحدة وهم يهتفون هتافاً رددت صداه جنبات الطرق فقمت معهم وهناك وجدت دولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا داخلاً السينما والجميع يهتفون بحياته وحياة الوفد . وهدأت الحال بعد ذلك الى ان انتهي عرض الفلم فقام الجمهور بتوديع دولة الرئيس باكثر مما قابلوه به من تحية واجلال

٦. التدخل الحكومي مباشرة للدفاع عن البغاء:

فحين عمد بعض رؤساء المجالس إلى إلغاء البغاء في محافظاتهم دون أخذ الإذن والرجوع للحكومة، رفضت الحكومة وقتها هذا الإلغاء بأسلوبٍ سافرٍ أمام التاريخ، وأعلنت الرفض صراحةً، وكتبت الصحف وقتها بتدخل الحكومة الصريح في إلغاء الإلغاء وإعادة البغاء، ثم الإعادة الفورية لنظام البغاء كسابق عهده، وخير شاهدٍ على ذلك قصة الشيخ أبو العيون حين سعى إلى التواصل مع المديريات التي تعاني من البغاء الرسمي، وبعد أن وافق القائمون عليها بإلغاء البغاء، وأصدروا تصريحاتٍ بذلك، وكان مجلس (محلي بنها) أول من قرَّر إلغاء البغاء في عام ١٩٢٥م، ووصل صدى هذه التصريحات إلى أروقة المجالس المحلية في المديريات، فبدأت تناقش المسألة، وكانت المفاجأة أنَّ الداخلية رفضت التصديق على هذا القرار[1]، جاء في صحيفة الأهرام: «ولكن ذلك لم يمنع بقية المجالس من اتخاذ قرارات مشابهة وصلت قمتها في شهري أغسطس وسبتمبر ١٩٢٦م، وكان أولها مجلس (ميت غمر)، ثم في أواخر أغسطس ١٩٢٦م قرر مجلس (محلي السنبلاوين) إلغاء البغاء من البندر، وفي نفس التاريخ قرر مجلس طهطا إلغاء البغاء، وتلاهم مجلس فاقوس، كذلك أرسل مراسل الأهرام في دسوق يعلن أنَّ محمود بك الحنطور عضو مجلس دسوق قد تقدم بطلب إلى مجلس يقترح فيه إلغاء البغاء الرسمي في دسوق، ويقرِّر المراسل بأنَّ الأمل عظيمٌ في أن يوافق المجلس على هذا الاقتراح»[2]، وتلا ذلك إلغاء مجلس دمياط البغاء من المدينة في أول سبتمبر ١٩٢٦م[3]، وكذلك قرر (مجلس ملوى) إلغاء نقطة البغاء الموجودة هناك في مدخل المدينة[4]، وفي ٥ سبتمبر اجتمعت

(١) الأهرام، في ١٠ سبتمبر ١٩٢٦م (ص٥).
(٢) الأهرام، في ١ سبتمبر ١٩٢٦م (ص٣).
(٣) الأهرام، في ٥ سبتمبر ١٩٢٦م (ص٤).
(٤) السياسة، في ٦ سبتمبر ١٩٢٦م (ص٤).

اللجنة المستديمة للمجلس المحلي لمدينة الجيزة برئاسة محمد بك صادق خوصي، وقرَّرت إلغاء نقطة المومسات بالمدينة[1].

جاء في مجلة السياسة: «بيد أنَّ موجة الإلغاء هذه تحطمت على صخرة الوزارة التي قررت عدم التصديق على هذه القرارات؛ لمخالفتها شروط لائحة العاهرات، وبرَّرت الوزارة ذلك الرفض بقولها: إنَّ إلغاءها يترتب عليه عدم تطبيق لائحة البغاء، ولا يجوز للبوليس في هذه الحالة أن يتخذ إجراءات قانونية ضد العاهرات اللاتي قد يسكنَّ بجوار منازل الأحرار، كما أشارت الدوائر الرسمية إلى تجربة مدينة (شبين الكون) التي حدثت في عام ١٩٠٨م، والتي نتج عنها انتشار الأمراض الزهرية»[2].

صحيفة إسلامية علمية أخلاقية

تصدر يوم الخميس من كل أسبوع

: الخميس ٢ ربيع الأول سنة ١٣٤٥ — ٩ سبتمبر سنة ١٩٢٦

البغاء الرسمي

وقرارات المجالس المحلية

علم القراء بان سعادة وكيل وزارة الداخلية كان قد صرح لفضيلة الاستاذ الشيخ أبي العيون بان الوزارة مستعدة للموافقة على قرارات المجالس المحلية المتعلقة بالغاء البغاء الرسمي في الارياف المصرية

ولكن لما تقدم بعض هذه المجالس بقراراته الى وزارة الداخلية طالبا الموافقة عليها أظهرت الوزارة شيئا من التوقف والتردد خلافا لما صرح به سعادة وكيل الداخلية وخلافا للاحاديث التي صرح بها جميع الوزراء للاستاذ أبي العيون على مارآه القراء

ولذلك أذاع الاستاذ أبو العيون على صفحات الاهرام يوم الثلاثاء الماضي احتجاجا ضاق الذيول مستنكرا به هذا التناقض ومطالبا فيه بأن تكون الوزارة عند ظن الامة بها في هذا الباب

---

(١) الأهرام، في ٨ سبتمبر ١٩٢٦م (ص٤).

(٢) السياسة، في ٦ سبتمبر ١٩٢٦م (ص٤).

يقـول محمود أبو العيون: «عقب ظهور أحاديـث حضرات أصحاب الدولة والمعـالي الـوزراء، نهضـت المجالس المحليـة والبلدية في كثير مـن المديريات وقـررت إلغاء نقـط المومسات المرخص بها في تلك الجهـات، فأكبرَ الجمهور هذه النهضة المباركة، وحيَّوا أهلها وأثنوا عليهم، فأخذت باقي المجالس تحذو حذو أولئك، فما وصلت القرارات إلى وزارة الداخلية حتى وقفت إدارة الأمن العـام أمام تلك النهضة وأوقفتها، فعلمتُ ذلـك النبأ المروع، فذهبتُ مسرعاً إلى زيـارة حضرة صاحـب السعادة محمـود فهمي القيسي باشـا في مكتبه، واحتججـت عليـه بشدة لإقدامـه على مصـادرة قرار مجلس ملـوى المحلي، فـكان بيننا حوار وجـدل، ثم دخلت مكتب حضرة صاحـب الدولة عدلي يكن باشا، رئيس الوزراء ووزيـر الداخلية، ولحق بي سعادة القيسي باشا، وهناك قصصـت الأمر على دولـة الوزير، واحتججت على صنيـع مدير الأمن العام أمامـه، وهو كذلك شرح وجهة نظره فيما صنع، فهدَّأ دولة الوزير من رَوعِنا، ووعدنا خيراً كثيراً، وقال: «عليكم النصيحة والدلالة إلى الخير، وعلينا العمل بما نستطيـع ونقوى»، وفي اليوم الثاني رفعت لدولتـه ذلك الاحتجاج»[1]، فما كان مـن صحـف الحاكم إلا أن انـبرت تبارك القرار، وتعلـن تأييدها لوزارة الداخلية في قرارها تجاه إعادة البغاء، وخذ مثلاً على ذلك ما جاء في صحيفة السياسة الأسبوعية، التي نشرت في إحدى مقالاتها هذا التبرير:

---

(١) محمود أبو العيون: صفحة ذهبية - آراء وزراء الدولة المصرية في البغاء (ص٤٢-٤٤).

السياسة الأسبوعية في ربيع الأول ١٣٤٥

ومن هذا كانت وزارة الداخلية جديرة الاجادة كلها وهي تلاف تنفيذ قرار مجلس عملي ملوي بالغاء نقطة البغاء الرسمي هناك، وتقفه الى أن تضع مشروع نظام جديد يوفق بين كل الضرورات ويحقق كل الرقابات التي يجب توافرها في تلك الناحية الخطيرة من نواحي الحياة في عصرنا الحديث.

وخير أن تنظم سير «الشرور المحتومة» من أن تقاومها مقاومة لا يمكن احكامها فتنقلب وبالا وحسرة

غالباً تتغافل الحكومات عن النصح الهادئ والتنبيه الهامس الذي ينطق به الناصحون، ولا تعيرها بالاً واهتماماً، فيتحول البوح الخفي تدريجياً من نصحٍ لطيفٍ إلى نصحٍ خشنٍ، ثم اتهامٍ وغيظٍ، ثم تؤول الأمور إلى إسلامٍ مُسلَّحٍ، وهذا ما تشير إليه الدراسات والواقع والتاريخ.

إنَّ المسوِّغين لتجاوز الحكومات والولاة لم تتغير حججهم منذ قديم الزمن، ولكن الجديد في مسوِّغاتهم المعاصرة هو التزامن مع الاحتلال الصليبي، فعلى الرغم من خضوع الحكام للاحتلال ظهر من علماء الشرع من يلتمس الأعذار، ويسوِّغ الفجور، ويفلسف طرق الغواية. وإن كانت مصيبتنا مع علماء السوء اليوم وعلماء الصمت، هي مثال يتكرر على مرِّ التاريخ.



جريمة قوم لوط

على الرغم من قذارة البغاء والزنى فإن ميل الرجل إلى المرأة، أو العكس، هي فطرةٌ أودعها الله في الأنفس السويَّة، وما عدا ذلك؛ من ميل الرجل إلى جنسه، أو ميل المرأة إلى جنسها، فهو شذوذٌ لا يقبله إلَّا منتكس الفطرة. ومتى وقع هذا الميل الشاذُّ فقد بلغ الانتكاس البشري مداه، ذلك الانتكاس الذي يجد مرتعه ومبتغاه تحت هيمنة الحكومات العلمانية؛ حيث يجري التسويق لجريمة قوم لوط، وغضُّ الطرف عن إجرامها، والسعي الحثيث إلى تطبيعها في المجتمعات، ولعلَّ ما يؤكد ذلك ما نقله كتاب (جرائم البغاء) عن القانون المصري بقوله حول جريمة قوم لوط: «لم يتعرض القانون المصريُّ للأفعال الجنسية المخالفة للطبيعة في ذاتها، فهو يسوِّي بينها وبين الأفعال الجنسية الطبيعية، من حيث هي ضرب من السلوك الخاص الذي لا يجوز للقانون التدخل فيه، ويستوي في حكم المادة ٢٦٩ الخاصة بهتك عرض القُصَّر بغير إكراه، أن يكون ذلك راجعاً لفعل جنسيٍّ طبيعيٍّ أو غير طبيعيٍّ، فالعقاب في الحالين واحدٌ، وسنُّ القصَّر فيهما -وهي ١٨ سنة- واحدةٌ كذلك، وإذا وقع الفعل المخالف للطبيعة لقاء أجرٍ فلا عقاب عليه أيضاً في القانون المصريِّ»[1].

يقول عبد الوهاب بكر: «في عام ١٩١٦م عندما كانت القاهرة تعجُّ بقوات الاحتلال البريطاني والدمينيون، قرر (هارفي باشا) حكمدار شرطة العاصمة اتخاذ إجراء يطهر به المدينة من العاهرات

---

(١) محمد نيازي: جرائم البغاء (ص٨٩).

غـير المسجلات والغلمــان المأبونــين؛ الذين قفــزوا خارج أحيــاء البغاء المرخصة»[1].

وأعلــن محمود أبــو العيون مخاوفه مــن تخطف ولده عنــوة لاستغلاله في مثـل هذه الجريمة فقــال: «يخرجُ ابني مِن المنزلِ إلى معهــده -أقولُ: ابني، لا ابنتي فحسْبُ- فيتخطَّفُه أولئك التُّجَّارُ، ويبيعونه رقيقاً، وربَّما تسوقُه المقاديرُ إلى الزَّعيــمِ (الغربــيِّ) فيَسلُبُه أيضــاً حياءَه وشرفَه. ولا تمتنــعُ الحكومةُ مِن التَّرخيصِ له[2] بالمهنةِ الجديدةِ، فلا أستطيعُ أن أراه بعدُ أو أتصوَّرَه»[3].

ويقول في موضع آخر: «الذي نعلمه أنَّ الحكومة ترخص للغلمان بالدعارة، وقــد رأينــا في تقرير الدكتور فخــري إحصائية رقمية لهــؤلاء الغلمان لسنة ١٩١٧م تقــدر بـ١١١ غلاماً. ولقد بحث (المؤلــف) عن إحصائية أخرى فلم يعــثر على مبتغاه؛ لاجتهاد الصحــة في منع ذلك؛ خشية التشنيع والفضيحة للبلاد»[4].

ويكرر ذكر وجود جريمــة الفاحشة بالغلمان، أو عمل قوم لوط، صراحة في كتابه (صفحة ذهبية) فيقول: «إنَّ الحكومة تنظمه وتحميه -أي البغاء- وتشجــع النــاس علــى ارتــكاب الفــاحشة، وتسمــح للغلمان غشيــان المواخير والمفاســق، فيكــون مصيرهــم مصير الباغيــات، وعندنــا إحصائية رقمية بذلك، وأخجل من التصريح بأكثر مما ذكرت»[5].

يقــول عماد هلال: «مع العلم بــأنَّ الرجل من المخنثين وغيرهم كان لهم دور في احتراف البغاء لا يقلُّ عن البغايا»[6].

---

(١) مجتمع القاهرة السري (ص١٣٨).

(٢) هــذا يثبت تشريع الحكومة لهذه الفاحشــة، وإصدار التراخيص لها، وليس التغاضي والسماح الضمني بها وحسب.

(٣) محمود أبو العيون: مذابح الأعراض (ص٣١).

(٤) محمود أبو العيون: مذابح الأعراض، حاشية (ص٥٧).

(٥) محمود أبو العيون: صفحة ذهبية-آراء وزراء الدولة المصرية في البغاء (ص٢٥-٢٦).

(٦) عماد هلال: البغايا في مصر (ص٩).

جـاء في الأهرام: «ولقد كان للشواذ جنسياً نصيبٌ من التنظيم العصابي؛ فقد ضبطت في ١٩٢٩/١٠/١٥م عصابة من ١٢ شخصاً، تدير شبكة للاتجار بأعراض ٤٧ صبياً مأبوناً بتقديمهم للشواذ جنسياً (القضية ٣٨ سائرة الأزبكية في ١٩٢٩/١٠/١٥)»[1]. وهذه وثيقة من مجلة الفتح تنصُّ صراحةً على إعطاء تراخيص رسميةٍ لجريمة الفاحشة بالغلمان في عددها الخامس:

صحيفة إسلامية علمية أخلاقية

تصدر يوم الخميس من كل أسبوع

٥ المحرم ١٣٤٥ — ١٥ يوليو ١٩٢٦

أني أراني أبعدت جداً، أليس بين أيدينا وعلى مسمع منا ومرأى نساء خصصن للزنا برخص رسمية؟ أليس بجانبهن غلمان يلاط بهم برخص رسمية؟ أليس الربا أماكن رسمية كل يوم يرغب في الذهاب إليها وفي الاقتراض منها على ألسنة الجرائد السيارة؟ أليس للخمر حوانيت برخص رسمية تباع لكل مشتر كما يباع الخبز والفاكهة؟ وكنا لا نعد الكفر من الامور التي يجهر بها الناس فأصبح تؤلف فيه المؤلفات

(١) الأهرام ١٩٣٢/٢/٢٤م. وقد قضت محكمة السيدة زينب عليها وعلى شريكيها في القضية بالحبس سنة ونصفاً في ١٩٣٢/٢/٢٣م. د. عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١٤١).

البغاء ومبادرات العتق

إن سعـي الحكومـات (لإلغـاء الرقّ) خطـوةٌ تبدو للوهلـة الأولى خطوةً إنسانيةً نبيلةً، ولكن الحقيقة أنَّ هذه الخطوة كانت الواجهة الرخامية البراقة لفرض البغـاء، فكانوا كالذي يغسل الدم بالـدم، ويغسل النجاسة بالخمر، فمـا كان منهم إلَّا أن استبشعوا شيئاً ليستحسنوا أقبح منه، فنقلوا الجواري والإمـاء مـن رقٍّ حسيٍّ أغلبه نعمـةٌ للمملوك، إلى استعبـادٍ معنويٍّ لم يشهد لـه التاريخ مثيلاً، ولكنه هـذه المرة دون حبل نخاسـةٍ، فجعلوا من الجواري والإمـاء بأعدادهـنَّ الكثيفة خطَّ إمدادٍ بشريٍّ لبيـوتِ البغاء ودور الدعارة، تدعمهـا بالإمـاء والجواري المعتوقـات واللاتي سهل عليهنَّ بيـع الأعراض، وهذا مـا جرى من الحكومة المصريـة بالاتفاق مع بريطانيـا المحتلَّة؛ حيث اتفقتـا على جعل (إلغاء الرقّ) هو الخطوة التمهيدية لفرض البغاء، وبذلت جهدهـا، واستماتت في حبك فصول هذا المكـر الكُبار، فأدخلت (الرقَّ) في حلقـات المسلسل الفاجر، فكانت الأعداد الكثيفة للجواري خير مزوِّدٍ لبيوت الدعارة بالعاهرات والبغايا، وجعلتهن الداعم الأكبر للمحال العمومية.





(اورنيات بوليس نمرة ٨١)

تذكرة حرية

اوصاف

صادرة من قلم عتق الرقيق ... باسم ...

الشروح اعلاه المحضره ...

بالسجل المعد لذلك وتحررت هذه التذكره لاعتماد ...

كسائر الاحرار وان يكون ... ولاية امر ...

كيف ... بلاقيد ولاشرط تحريرا في

١٩٠٤

تقـول حليمـة عبد الرحمـن عـن ارتبـاط البغـاء بتحريـر الرقيق في السودان: «يُرجِع بعض المؤرخين تاريخ نشوء الدعارة في المجتمع السوداني إلى بداية القرن العشرين؛ وذلك عقب ما أطلق عليه حركة تحرير الرقيق، وانتقـال المجتمع من مجتمع القريـة إلى مجتمع الحضر، حيث واكب ذلك نشوء المدن. في الماضي كانت الدعارة علنية، وتشرف عليها الحكومة حيث تلـزم العاملين التقـدم إلى الكشف الطبي دوريـاً للتأكد من سلامتهم من الأمراض المعدية. واستمر الحال هكذا إلى سبعينات القرن الماضي، حتى قـام الرئيس جعفر نميري (١٩٦٩-١٩٨٥م)، بإلغـاء تراخيصها، فذابت فئاتها في المجتمع»[1].

ويقول عماد هلال: «بعد انتهاء نظام الرقّ وصدور قوانين تحرير الرقيق بدايـة من عام ١٨٧٧م أصبح من حـقّ كلّ عبدٍ أن يحصل على ورقة الحرية في أيّ وقـت شـاء، وانتهـت رسميـاً طوائف تجـار الرقيق بنوعيهـا: الأسود (الجلابة) والبيض (اليسرجية)، ولكن الحقيقة أن الذي انتهى هو الجانب الحسـن مـن نظام الرقّ؛ حيـث كان السيد يرعى عبيـده ويؤويهم، ويضمن لهـم حياةً كريمةً، بينما ظهر نوعٌ جديدٌ من الرقّ يقوم على خطف الفتيات، وإجبارهـنّ على ممارسة البغـاء، وتحويلهنّ إلى ما يشبـه الجواري؛ يعملن لخدمـة سيـدٍ مستغلٍّ، ولكنّـه لا يستغلُّ جهدهـنّ ويشغلهـنّ في عمل ما؛ بل يستغل أعراضهنّ ويشغلهنّ بالبغاء»[2].

ويقـول في موضع آخر: «بعد توقيع معاهـدة الرقيق بين مصر وبريطانيا سنـة ١٨٧٧م تأسست في مصر مكاتب لعتق الرقيـق، مهمتها تسليم تذكرة الحرية لكلّ عبدٍ أو جارية يطلب العتق، وبعدها يذهب إلى حيث شاء، وانفتح المجـال من جديدٍ أمام الجواري اللاتي لم يجدن فرصة عملٍ مناسبة للعمل في الحرفـة التـي يصحّ أن نسميها (حرفة من لا حرفـة لها)، وقد استمرت

---

(١) صحيفة الراكوبة، بنم الواقي الذكري فقط، هل يكفي لإغلاق المايقوما، ٢٠١١/٢/٦م.

(٢) عماد هلال: البغايا في مصر (ص١١٧).

مكاتب العتق المفتوحة تمنح تذاكر العتق حتى السنوات الأولى من القرن العشرين؛ لتمثل مصدراً لا يمكن أن نغفله لسوق البغاء، ولكن وجود الجارية كعنصرٍ أساسيٍّ لم يصمد كثيراً خلال القرن العشرين؛ حيث لا نجد لهنَّ أثراً في الكرخانات بعد الحرب العالمية الأولى»[1].

«لعلَّ ظهور أبناء الطبقات العليا في دور البغاء يرجع إلى إلغاء الرق منذ أواخر القرن التاسع عشر، وتحديداً منذ عام ١٨٧٧م، وصعوبة تمتع الأغنياء بما كان مباحاً قبل سنوات قليلة من التسرِّي بالجواري وبدون قيود إلَّا قيود الشريعة التي تفرضها الشريعة الإسلامية»[2].

«وعلى أن الجارية كانت مجرد متاع تنتقل من تحت سيدٍ إلى آخر؛ فإن إدراك الجارية لقيمة العفَّة كان ضعيفاً جداً، لا تشعر به إلا فئة من الجواري البيض اللاتي صينت كرامتهنَّ وأعراضهنَّ في داخل حريم أحد الأمراء. وعلى هذا الأساس كانت الجواري السود من أول الفئات التي التحقت بالحملة الفرنسية»[3].

«ومن خلال الوثائق نجد أن الجارية السوداء كان لها دور مهم داخل الكرخانة[4]، حيث كان العمل الأول للجارية في داخل الكرخانة هو الخدمة»[5].

جاء في محافظ الوقائع المصرية أنه: «في أواخر القرن التاسع عشر، وبعد صدور قوانين تحرير الرقيق، حصلت الكثير من الجواري السودانيات على تذاكر الحرية، ثم عملن في البغاء، مما كان داعياً لإعادة التفكير في

---

(١) عماد هلال: البغايا في مصر (ص٧٠).

(٢) لمزيد من التفاصيل حول إلغاء الرق وحقوق التسري راجع للمؤلف: الرقيق في مصر، الفصل الخامس والفصل الثامن.

(٣) إلهام محمد ذهني: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن التاسع عشر (ص٢٧١). كتاب البغايا في مصر (ص٦٧).

(٤) الكرخانة: كلمة تركية تعني: (منزل الكار)، وهو مخصص لأماكن البغاء الرسمي.

(٥) ديوان مجلس الأحكام، سجل رقم: س٢/١٠/٧١. كتاب البغايا في مصر (ص٦٨).

طريقـة عتق الجواري؛ حيث اشترط تسليمهنَّ للأسرة المعتبرة للعمل بصفة خادمات»[1].

وجـاء في ديـوان الخديو تركـي أن بعض الوثائق: «تشـير إلى أن بعض المنتسبـين إلى طائفـة اليسرجية -تجار الرقيق الأبيض- كانوا يستأجرون بيوتاً في بعض أزقة القاهرة، ويجبرون جواريهم على ممارسة أنواع الدعارة والفجـور»[2]، «ومـع ذلك فـإن هناك بعـد العتـق سودانيـات معتوقات كنَّ يمارسن البغاء في الكرخانات»[3]، ويشير عبد الله النديم في (الأستاذ) إلى أنَّ «كثيراً من زبائن البغايا كانوا من أبناء الطبقات العليا الذين درجوا على تقليد الغرب في كل شيء»[4].



(١) محافظ الوقائع المصرية، محفظة رقم (١١). البغايا في مصر (ص١٧٠).

(٢) ديوان الخديو تركي، سجل رقم: س٢/٤٠/٢٣ (ص٥٩-٦٠). كتاب البغايا في مصر (ص٦٨).

(٣) دفـتر قيد النتائـج بضبطية إسكندريـة رقم: سـ٧/١٠/١٩ (ص٣٤). كتـاب البغايا في مصر (ص٦٩).

(٤) الأعداد الكاملة لمجلة الأستاذ، العدد الصادر في ١٢ ديسمبر ١٨٩٢م (ص١٢٢).

البغاء الرسمي بين المواخير والفنّ

يغـوي الشيطان بني آدم بتجميـل صورة البغاء في أعينهـم، حتى يسوّل لهـم الرغبـة في التجربة، مـع أنّ الواقـع الحقيقـي للبغاء تعافـه الأنفس، وتستقـذره الطباع السليمة، وتتعفّف عنه حتى البهائـم، فعيش البغاء أحطّ في المهانـة وأقذر من عيشـ الحيوان، لأنّ الحيـوان لا يتعاطى الجنس لأجل العبث أو الفجور؛ بل يتعاطاه لأجل الحفاظ على النوع، وأما أهل البغاء فعلى النقيضـ من ذلـك، فهم لا يتعاطـون الجنس لأجل العفـاف والحفاظ على النسـل؛ بل لأجل الفسـق والفجور والعدوان، ونظراً لامتـداد فترة البغاء في القـرن المنصرم، فإنّه تدحرج بأشكالٍ حربائية، مستبدلاً بجلده جلداً آخر، ومرتدياً قميصاً يواري به سوءة قميصٍ قبله، لذا فإني سأعرض هنا مراحل التدرُّج التي مرَّ بها من خلال النقولات التي وقعت بين أيدينا؛ بهدف إيضاح الصورة الأخيرة التي تهمنا، وتخالط حياتنا ومجتمعاتنا:

المرحلة الأولى (بدء الخزي التاريخي):

تكاد ترتسم المرحلة الأولية للبغاء الرسمي بوصف اللواء د. نيازي حتاتة حيـث يقول: «كانـت أماكن ممارسـة البغاء منحطّـة المستـوى، وأعني بها منطقـة (عرب المحمـدي) في القاهرة، حيث كانت عمليـات البغاء تتم بين المومسـ والعميل في حفرٍ مجهـزةٍ في منطقة التلال التي كانت تشكل منطقة (عـرب المحمدي) هـذه، وفي هذه الحفر كانت المومسـ تنتظر العميل الذي كان قد دفع الأجر مقدماً للقوّاد»[1].

---

(١) د. عبد الوهـاب بكـر: مجتمـع القاهـرة السـري (١٩٠٠-١٩٥١م). يذكـر ذلـك في إحدى =

وأمـا من ناحية المال الـذي تتقاضاه البغيُّ، فيظهـر ذلك في الاستغلال البشع من جانب القوَّاد للمومس وما كان يجري من نظام للمحاسبة في هذه الحفـر، إذ كانـت المومس تنتظر العميـل الذي يكون قد دفـع الأجر مقدماً للقـوَّاد الذي يسيطـر على المنطقة التي بها الحفر، وعنـد نهاية اليوم تقدم المومس للقوَّاد حصيلة إنتاجها (كيزاناً)[1].

وذكر أيضـاً: «أنَّ منطقة (عرب المحمدي) قـرب العباسية كانت مكاناً لنـوعٍ رخيصٍ مـن البغاء، كانت محـلات الممارسة فيه لا تتجـاوز حفرةً في الأرض ممهدةً للقـاء، وتغطَّى من أعلاها بستارةٍ تُثَبَّت ببعض الحجارة من أطرافهـا بواسطة القواد/القوادة الذي أو التي تنتظر حتى يفرغ العميل من مهمته لرفع الحجارة وإزالة الستارة»[2].

«وأمـا من ناحيـة الطعام الذي تتناوله البغي، فقـد عثرت الشرطة عند تفتيشهـا منزل أحد كبار القواد وتجـار الرقيق الأبيض في عام ١٩٢٣م على أكوام مـن (الدقة)، وغرائر من البصل، وقدورٍ مـن (المش) لا حصر لها، وتبـين أنَّ هـذا هو ما يقدِّمـه القواد لمومساتـه اللاتي يحتجزهـنَّ في بيوته المخصَّصة للدعارة»[3].

«(أمـا) الملابـس التي ترتديهـا البغيُّ (فهـي) باليةٌ قـذرةٌ. أما فراش النـوم فهو يئن مما فيه مـن الميكروبات. غطاؤه خَلِقٌ، لا يُبَدَّل إلَّا كلَّ شهرٍ أو شهريـن، البغيُّ ملزمةٌ أن تأكل وتشرب وتلبس ما يُقدَّم لها، وليس من حقها

= محاضراته التي ألقاها على ضباط فرقة البحث الجنائي بكلية الشرطة عام ١٩٦١م.

(١) محاضـرات اللواء الدكتور نيـازي حتاته على ضباط فرقة البحث الجنائـي بكلية الشرطة عام ١٩٦١م. د. عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١٠١).

(٢) محاضـرات البكباشي محمد نيـازي حتاتة، كلية الشرطة ١٩٥٤م، وقد اصطلح على تسمية هذا النـوع من البغاء ببغاء (النقر). د. عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص٣١).

(٣) البغاء-بحـث علمـي عملي (صـ١١٢). د. عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهـرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١٠١).

أن تعترض، ولو أرادت... الهروب لما استطاعت. وبفرض هروبها فإنها تقع أسيرة (بدرونة)[1] أخرى»[2].

المرحلة الثانية: تجميل البغاء بمهنة الرقص:

إنَّ الاحتلال الذي سعى لجلب البغاء، هو الذي سعى لتطويره خلال سبعين سنة، يقول عبد الوهاب بكر: «إذا كان للأجانب الذين وفدوا إلى البلاد خلال سنوات القرن التاسع عشر والعشرين فضلٌ في إدخال مظاهر الحياة الحديثة على مصر بصفة عامة، والقاهرة بصفة خاصة، فإنَّ دورهم في تطوير المهن الرديئة أيضاً -ومن بينها البغاء بالطبع- كان لا يُنكر»[3].

الواقع أنَّ شكل البغاء على الوصف الذي كان عليه في أول القرن كان لا بدَّ له أن يتغير ويتطور ويساير تطور المدنية الذي كان يأخذ إيقاعه السريع، تاركاً وراءه قاهرة القرون الوسطى والقرن التاسع عشر.

انتهت مرحلة البغاء المستتر، وتلتها مرحلة الظهور والاستعراض؛ حيث بدأت النفوس تقبل اقتحامه للحياة، والعيون تألف ما كان شبيهاً بالقذى، ففي وصفٍ لما شاهده في حي البغاء بالقاهرة في شتاء عام ١٩٢٩م، كتب (محمد فريد جنيدي) عن منطقة (كلوت بك): «سرت في طرقٍ وعرةٍ ضيقة المسالك، تنبعث منها روائح كريهة. قد وقفت على جوانبها المومسات، سافرات الأذرع والسيقان والنحور والظهور، منهنَّ الواقفات يعترضن المارة ويرجرجن كفولهنَّ، ويتراقصن في مشيتهنَّ؛ إغواءً للشبان على الفسق، وهنَّ -وربي- في هذا متكلفات، غير أنَّ الإملاق هو الذي يضطرهنَّ لإتيان

---

(١) البدرونة أو العايقة: كلمة إيطالية تعني العجوز الساقطة التي تدير بيت الدعارة، والبغي بمنزلة الجارية المملوكة لديها.

(٢) البغاء، بحث علمي عملي، مرجع سبق ذكره (ص١١٢). د. عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١٠٦).

(٣) د.عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١٥١).

كلُّ مبتذلٍ شائنٍ، وبيع أعراضهنَّ بأرخص الأثمان، ومنهنَّ الجالسات يشعن في السابلة النظر حاداً، ويتفوهن بألفاظٍ وكلماتٍ ينبو عنها السمع، ويمجُّها الـذوق السليم. ومن ذلك الفريق أيضاً -الجالسات- من قعدن القرفصاء، وقـد شمرن أثوابهنَّ، وهنَّ لا يرين في عملهن عيبـاً، وإلى جانبهنَّ وأمامهنَّ وحولهنَّ أصحابهنَّ وأتباعهنَّ يتبادلـون الحركات الدنيئة، ويملؤون الفضاء بألفاظهم البذيئة»[1].

كان لا بـدَّ للبغاء من اتخاذ الأماكن التجارية ستاراً للأبصار عن إدراك حقيقتـه السافلة، فقد ذكرت مجلـة المصوَّر ما يأتي: «يعتبر إدخال الرقص في المقاهي في أواخر القرن التاسع عشر أول محاولة لتجميل مهنة البغاء في القاهـرة، فقد اقتربت الراقصات اللاتي كـنَّ يسمين (بالغوازي)، واللاتي كـنَّ يرقصن في الشوارع أو أمام المقاهي لتسلية الزبائن، أقول اقتربن أكثر فأكـثر واختفـين داخل صالات الموسيقى في هذه المقاهـي التي حوَّلت شكلها إلى مقهـى له في الداخل منصَّـة خلفها ستارة، ويجلـس عليها الموسيقيون، بينما ترقص الراقصات أمامها على أنغام الموسيقى»[2].

---

(١) البغـاء، بحث علمي عملي، مرجع سبق ذكره (صـ١١٠). د. عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١١٢).

(٢) مجلـة المصور، ينايـر ١٩٥٠م. د. عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهـرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١٥٢).

الجرم ◄ مجلة المروسة في ١ مايو سنة ١٩٣٥ ►

أم البوليس غير مرة بالقبض على فتيات متكمات في شارع عماد الدين واحالهن على الكشف تطهر احهن مريضات ، وكثيرات منهن يخفن من هذه المطاردة فتعمد الواحدة منهن الى العمل كراقصة في صالة من الصالات نظير اجر لا يتجاوز ريالا في الليلة تستنكف أن تقدمه لسائق العربة التي توصلها الى البنسيون التي تقيم فيه

واذا قدر وطاردها ضابط من ضباط المباحث أو بوليس الآداب سرعان ما تجدها تذرعت بعذر قريب يجعلها تسرح وتمرح وتغدو وتروح آمنة مطمئنة ، وذلك الاعتذار لا يتعدى قولها انها أرتست ، ومتى قالت هذا وصدقت عليها مديرة الصالة أو أحد موظفيها أطلق سراحها واعتبرت محترفة فناً من الفنون الجميلة

وحاول البوليس أن يمنع الفتح في الصالات واجتماع الراقصات بالمتفرجين أو الجلوس معهم حتى لا تسطو الواحدة منهن على جيب الرجل المسكين التي تستلطفه وتستهويه بعباراته المعسولة وتفننها في الاغراء ، فلم يستطع البوليس كبح جماح هذا الجيش الموزعة وحداته على استحكامات الفجور

ولقد كثر هذا النوع من الأرتست الذي يطل من خلف ستائر الفن ليرى المعجبين من المغفلين ، والشباب له حكمه ، وهذا النوع من البناء المنتشر محتاج الى رقابة فعالة حفظاً لصحة الشباب ومنعاً لتسرب غيرها الى هذه البؤر العلنية المتمتعة بالامتيازات الفنية (الارتست)

مجلة العروسة في ١ مايو سنة ١٩٣٥

أما اليوم فليس أمامنا الا محلات تفتح بأسماء مختلفة هذه تسميها صالة وتلك تسميها كازينو وهذه تسمى جماعتها فرقة وجميعهم في مأمن من كل مطاردة ما دامت كلمة ارتست لها مدلولها وهي انهـا محترفة الرقص وهو فن من الفنون الجميلة ، مع أنها احق من المومس بمعاملتها تلك المعاملة ، فان كثيرات منهن كن يحترفن البغاء ولكنهن خفن من الكشف لأسباب قد يكون المرض واحداً منها فلجأوا الى العمل في الصالات راقصات

على ان هنالك فكرة أخرى وهي ان مصلحة الصحة اذا طبقت اللائحة على راقصات الصالات ينضب هذا المعين الذي يأتي بفقاقيعه كل يوم فيلوث الجو بجراثيم الغواية ، وهذا ما يتمناه كل مصري حتى لا تجد الفتاة الطائشة نفسها أمام سبيل سالك تستطيع ان تلجه باسم الحرية ولا يستطيع الوالد أو الوالدة أو الأخ ارجاعها عنه لأنها تتحصن بالقانون والحرية الممنوحة لكل فرد من أهلها وهم لا يجدون لهم نصيراً عليها

ومما يثبت إقحام البغايا في عالم الرقص قلةُ الاهتمام في بداية الأمر بمدى معرفتهنَّ بالرقص من عدمه، فمرحباً بها إن كانت تجيد الرقص، وإن لم تتقن الرقص فإنها ستظل مقبولة ومحتفى بها، يقول د. عبد الوهاب بكر واصفاً حال البغايا آنذاك، وواصفاً جهلهنَّ بالرقص حين انتقالهنَّ للمقاهي: «لكنهنَّ كنَّ ممن لا يعرفن الرقص، ولا أيَّ شيء من الفنون سوى البغاء»[1].

«ويفهم من روايات المعاصرين أنَّ المناظر الراقصة التي كانت تؤدَّى في الصالات خلال مطلع القرن العشرين كانت بعيدةً كلَّ البعد عن الفنون، فقد كانت الراقصات يقدمن أنواعاً من الرقص المثير للغرائز، والإتيان بحركاتٍ لا يُفهم منها إلا الدعوة للجنس»[2].

البغاء وتعدُّد أساليب النهب والاختلاس:

إنَّ الصورة القديمة للبغيِّ تختفي وتنزوي في الأحياء الفقيرة؛ ليحلَّ محلها صورة (الجرسونة) في المقاهي، أو صورة سيدة الحفلات الراقية، أو العاهرة الأرستقراطية ذات الوجه الاجتماعي البريء، التي تتولى مهمة المؤانسة والمضاحكة وفتح كؤوس الخمر، يقول عبد الوهاب بكر: «كما كان المفهوم أنَّ القصد من (المجالسة) هو توفير الربح للمحل من خلال فتح أكبر قدر من الزجاجات من ناحيةٍ، ومن ناحية أُخرى حدوث التفاهم بين (المجالِسة) و(العميل) لإتمام اللقاءِ المنتظر»[3].

يقول إدوارد وليم لين: «لكن المتجرين بالبغاء انحرفوا (بالفنِّ) المشار إليه إلى وجهةٍ أخرى بعيدةٍ كلَّ البعد عن الفنِّ، عندما دسُّوا على الصالات والكباريهات طوابير المومسات؛ لسلب أموال رواد هذه الأماكن بالمشاربة والمؤاكلة والمجالسة والمراقصة في مقابل إتمام لقاءٍ جنسيٍّ، أو التهرب منه، بعد تحقيق المطلب الأساسي، وهو الحصول على مال العميل. وفي هذه

---

(١) د.عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١٥٤).

(٢) د.عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١٥٥).

(٣) د.عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١٥٤).

الحـالات التي عرضنا لها كان الخاسر هو الفـنَّ المسرحيَّ؛ الذي استُبيحت باسمه الحُرُمات، وهُتِكت الأعراض، واتُّجِر بالنساء»[1].

ويقـول د. عبد الوهاب بكـر: «وتزايـدت الأرباح نتيجةً لاختـلاط الفنِّ بالمجالسة والبغاء، فاتخـذ العمل في الصالات شكلاً جديداً، في هذا الشكل الجديد تُرسل الراقصة التـي تنتحي ناحيةً قريبةً من الرواد أحد الوسطاء (الجرسـون -بائـع الفول السـوداني أو اللب- القواد)؛ ليميـل على من تقع عين الراقصة عليه بحسبانه منتفخ الحافظة أو مليء الجيب، فيسرُّ إليه أنَّ إحـدى الراقصات المتواجدات عن قرب ترسل إليـه بتحياتها، فيردُّ الزبون على التحية بأحسن منها؛ متمثلةً في عشرات الزجاجات»[2].

ويكشف د. نيازي حتاتة خبايا الأمر بوضوحٍ فيقول: «إنَّ نسبةً كبيرةً من بغايـا القرن العشرين كنَّ يعملن في الملاهي كمغنيـاتٍ أو راقصاتٍ، وكذلك كثيرٌ منهنَّ كنَّ ممثلات في الفرق المسرحية الجوالة، وكذلك ممثلات درجة ثانية»[3].

يقـول د. عبد الوهاب بكـر: «في عقيدتي أنَّ صـالات الرقص والشراب التي كانـت تباشر نشاطها في العشرينيـات والثلاثينيات كانت -بما تقدمه مـن (رقـص) و(مجالسة) و(خمور)- نوعاً من البغـاء المستتر وراء الفن؛ ذلـك أنَّ هذا الفـن المتمثل في (الرقص) الذي وصفناه لم يكن أكثر من نوع مـن الدعوة للبغاء، وأنَّ اللقاءات بين (العملاء) و(المجالسات) كانت غالباً مـا تتم بعد الزيارة للمحل، ودفـع الرسوم المتمثلة في قيمة أثمان المشروبات التي يدفعها العميل مقابل جلوس المجالِسة معه، حتى إذا انتهى من الشراب والإنفاق انصرف مع مجالسته لقضاء اللقاء في مكانٍ ملائمٍ»[4].

---

(1) إدوارد وليم لين: المصريون المحدثون (ص٢٦١). البغايا في مصر (ص١٤٣).

(2) د.عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١٥٣-١٥٤).

(3) محمد نيازي حتاتة: ظاهرة البغاء في القاهرة (ص٨٧).

(4) د.عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١٥٦).

مجلة العروسة في ١ مايو سنة ١٩٣٥

هل تطبق لوائح البغاء على الراقصات؟

مشروع خطير يطهر المدن من حشرات الانسانية

تسلب الفتاة التي لا تجد لها رادعاً ولا مؤدباً من بيت أهلها كما تنساب الحية الرقطاء من وكرها وتعيش بين الآمنين المطمئنين فتنفث سمومها في الجسم وتؤذي من لم يتق شرها

منه، والثانية عدم النائه، ففي حالة الالتقاء تكون الراقصات والاجنات التشبيات بالفتيان هن حاملات الجراثيم ولابد من حفظ الشباب الطائش من ذلك الجرم الخفي

وقد عبر أحد الصحفيين الأجانب عن هذه الصالات night clubs في ذلك الوقت بقوله: «إنَّ الفضيلة كانت تنتحر في هذه الأماكن، ويُحتمل أن تكون المشتغلات في الصالات من المصريات أيضاً قد اشتغلن كمومسات إلى جانب عملهنَّ في الصالات. فخلال العشرينات كان أصحاب الصالات يستأجرون مومسات للعمل كراقصات، ها نحن نقترب من اختلاط البغاء بالفن»[١].

يقول د. عبد الوهاب بكر: «كذلك فقد تأكَّد بما لا يدع مجالاً للشكّ أنَّ العلاقة منبتَّة بين مشاربة هاته الفنانات المزعومات ومؤاكلتهنَّ لرواد المحال، وبين الفنون بأنواعها المدَّعَى بقيام هاته النسوة بأدائها، وأنَّ كلَّ القصد هو عقد الاتفاقات وترتيب المقابلات لتحقيق (اللقاء) المطلوب.

وخلال الحرب العالمية الثانية انتشرت (دكاكين) بيع البيرة والمثلجات التي تديرها المومسات قريباً من أماكن تواجد المعسكرات البريطانية؛ حيث يتردَّد الجنود الأجانب على الدكاكين بدعوى شراء البيرة، لكنَّ أبواب هذه الدكاكين كانت تُقفَل بعد دخول العميل، ثم تفتح بعد أن يتم اللقاء»[٢].

«وزادت أعداد الراقصات زيادةً كبيرةً؛ فقد تزايد إعجاب الأجانب

---

(١) مجتمع القاهرة السري (ص١٥٣)، Ibid, p.46.

(٢) معلوماتٌ مستقاةٌ من بعض سكان منطقة ساحل روض الفرج المتقدمين في السن. د. عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص٣٤).

(برقصة البطن) الشهيرة، واشتهرت نتيجة ذلك تلميذات مدرسة (بديعة مصابني)، أمثال (تحية كاريوكا، سامية جمال، وحكمت فهمي) اللواتي تألقن في تقديم هذه الرقصة ورقصات أخرى، وأعادت الراقصة (شوشو البارودي) تسمية (رقصة البطن) (برقصة الحلفاء ونجاح الديمقراطية)»[1].

يقول عبد الوهاب بكر: «وقد اشتهر فترة الحرب الثانية شكلٌ آخر من أشكال (البغاء)، هو استخدام (المحالّ) فتياتٍ لمراقصة من يطلب من الرواد. وقد عُرِف هذا النوع من النشاط في الخارج باسم Taxi-girls، وفحواه استئجار المحال لفتيات لمراقصة الرواد لقاء أجر»[2].

«وقد انتقل هذا النوع من النشاط إلى مصر خلال الحرب العالمية الثانية، وشهدت المدن الكبرى ومن بينها القاهرة، صالات الرقص (المراقص) التي كان يقبل عليها جنود وضباط القوات المتحالفة باعتبار (المراقصة) واحدة من مجالات التسلية Entertainment في هذه المجتمعات»[3].

---

(1) Op. cit.، pp.46-47.

(٢) د.عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١٥٩).

(٣) قدم نجيب محفوظ في روايته (زقاق المدق) وصفاً تفصيلياً (لمدارس الرقص) في القاهرة في أثناء الحرب العالمية الثانية، وأدى الفنان (يوسف شعبان) دور صاحب المدرسة والصالة التي تعمل فيها الخريجات، في حين أدى الفنان (سمير صبري) دور معلم اللغة الإنجليزية والإتكيت للـ Taxi-girls المصريات، وكيف يتعاملن مع جنود الحلفاء وضباطهم في هذا الشأن. راجع رواية وفيلم زقاق المدق للروائي (نجيب محفوظ). مجتمع القاهرة السري (ص١٥٩).

﴿ مجلة العروسة في ١٦ يناير سنة ١٩٣٥ ﴾ ١٥

ثورة الشعوب عليها

كرامة الجندية في المراقص

تدفق سيل صغار ضباط الجيش المصري بثيابهم الرسمية على المراقص بحيث لا يخلو مكان منهم .. فاذا ذهبت الى كازينو وتيبة وانصاف رشدي فانك تراهم ، وكذلك تشاهدهم في كازينو امين صدقي وبديعة مصابني .. تراهم وتشاهدهم بنجومهم اللامعة وشواربهم المقصقصة وبذلاتهم الرسمية (الكاكية) يسكرون ويمجنون مع الراقصات غير حافلين كرامة الثياب التي يلبسونها ومعاني الجندية التي يمثلونها . بل ان بعضهم ليمعن في الابتذال الى حد أن يطوق بذراعيه احدى الراقصات وهي لابسة طربوشه وهو يطلق الضحكات العالية دون حياء أو وجل

وهذا امر لا يليق نلفت اليه نظر وزارة الحربية لاصدار اوامرها الى عموم صغار الضباط في الاورطة العسكرية بالقاهرة بعدم مجالسة الراقصات في الملاهي وتعاطي الخمور معهن

المرحلة الثالثة: البغاء في قميص إعلاميٍّ

حفظنا في أيام الصغر مقولةً لابن قيم الجوزية مفادها أنَّ الغناء رقية الزنا، ولكن حين هرِمنا وشابت رؤوسنا استثقلنا الإفصاح عن ذلك علانيةً، لأنَّ انتشار الغناء والطرب في عصرنا أصبح مما عمَّت به البلوى، ولكن اتضح لي خلال بحثي في مصيبة البغاء مدى الارتباط الوثيق بين الغناء والفاحشة، والتلازم القوي بينهما، ولعل خير مثال على ذلك أنَّ الشركة الأولى والوحيدة التي كانت تنتج الأسطوانات للمطربين كان مقرُّها وبداية انطلاقها من حي البغاء الرسمي في حلب بحيٍّ بحسيتا، وهذا ما نقله المحامي علاء السيد حيث يقول: «وقد كان هذا الحيُّ مقرّاً لشركة سودوا الوطنية لصناعة الأسطوانات، وهي الشركة الأولى والوحيدة التي كانت تنتج الأسطوانات وطنياً.

كان المطربون يزورون المعمل لتسجيل أغانيهم، من حلب وجميع المحافظات السورية، ومن مصر والعراق والبحرين واليمن، ينزل الغرباء منهم في فنادق باب الفرج طوال مدة تسجيل الأسطوانة التي تستغرق ثلاثة أو أربعة أيام»[1].

---

(١) علاء نديم السيد: تاريخ حلب المصوَّر (ص٢٤٦-٣٤٧).

نحن الآن وصلنا إلى مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية؛ حيث جرى إلغاء البغاء رسمياً عام ١٩٤٩م، إلا أن المؤسف أن هذا الإلغاء على الرغم من محاسنه الجمّة فإنّ البغاء ما زال يحظى بالدعم الحكومي الذي اضطره إلى التقولب والانصهار بشكل آخر، يقول عنه عبد الوهاب بكر: «فكان لا بدّ للبغاء كنشاط من أن يطوّر نفسه تبعاً للتطور الاجتماعي والحضاري الذي مرّت به المدنية على مدى نصف قرن، فتَجَمّل في شكل الانتساب للفنّ، والفنّ منه براءٌ، لكنّ محاولات تطوير المهنة مستمرةٌ حتى وقتنا هذا»[1].

تقول نجية إسحاق: «عقب إلغاء تنظيم البغاء، بل تجريمه وفرض عقوبات على ممارسته وعلى فتح وإدارة المنازل لهذا الغرض، لم ينجح هذا الإجراء في القضاء على البغاء، بل ظلّ باقياً متخذاً أشكالاً جديدةً؛ في محاولة للإفلات من قبضة القانون، فلم تعد هناك الصورة التقليدية للبغيّ، لكنّها تغيّرت عما كانت عليه، فأصبحت تسلك في مظهرها وأسلوب حياتها صورة لا تميزها عن النساء الأخريات»[2].

ويقول د. عبد الوهاب بكر: «عندما أُلغي البغاء المنظّم في فبراير عام ١٩٤٩م، تحولت كثيراتٌ من المومسات إلى البغاء السري، كما أنّ كثيرات منهنّ لجأن للعمل كمستخدمات لمجالسة جمهور الصالات، وممارسة النشاط الذي كنّ يمارسنه سابقاً.

وقد تأثرت حركة استتار البغاء وراء الفنّ بعد صدور هذا القرار، فقد بلغت أعداد المحالّ الموجودة في دائرة المدينة نهاية الفترة موضوع الدراسة ستة فقط»[3].

ومن لطيف المعاني ما ينقله ياسر حمد، وهو ممن عاش في العراق، أنّ لقب (فنانة) يطلق رسمياً على العاهرة، فيقول: «خصص العراق بعض

---

(١) د. عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١٦٤).

(٢) نجية إسحاق عبد الله محمد: سيكولوجية البغاء-دراسة نظرية ميدانية (ص٤٨).

(٣) د. عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١٦٠).

التجمعات لممارسة الدعارة، حتى إنَّ الشرطة تحمي بيوت الدعارة في بغداد. وتخضع العاهرات كذلك لفحص شهري للاطمئنان على خُلوِّهنَّ من أيِّ مرضٍ معدٍ. أما التصريح الرسمي الذي يحمله فيسمي العاهرة بحسب رخصة ممارسة البغاء (فنانة)»[1].

وكان قد لوحظ في الخمسينيات المبكرة (١٩٥١-١٩٥٢م) «اتجاه البعض من الفنانات والمستخدمات اللاتي سبق لهنَّ العمل كأرتيستات بالصالات والكباريهات -وهنَّ مومسات كما أوضحت في السطور السابقة- إلى طلب السفر للخارج للعمل»[2]. وأخيراً لم يجد البغاء شكلاً جديداً يستتر وراءه تحت دعوى الفنّ ليخرج من ماخوره الصغير كي يقدم محاولةً جادةً لنقل المجتمع إلى الدعارة الشاملة، وتقديم البغايا والمومسات بصفتهنَّ قدوات، وهو ما تشرحه السطور القادمة. وأعني به تصدير البغاء تحت مسوِّغ تسفير البغايا إلى خارج أوطانهنَّ بدعوى العمل الفني.



(١) مقال بعنوان: كله بالقانون - دول عربية وإسلامية تقنن الدعارة بشكل رسمي، ياسر حمد.
https://www.nmlar.com

(٢) د. عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١٦١).

الإعلام وتصدير البغاء

كانت الخطوة الأخيرة في مسلسل البغاء الإبليسي هي تصدير البغاء لينتقل إلى كلّ دولة من دول العالم الإسلامي، ولم يكن لهذه الخطوة الفاجرة من جلباب سوى جلباب الأعمال الفنّية، الذي صار وظيفةً معلنةً للبغايا، وخديعةً لا تكتفي بستر البغاء، بل تهدف إلى إقناع المصونات أن يقتدين بالبغايا، ويكُنَّ هنَّ السيدات الأوليات في عالم العفيفات، ويصبحنَ القدوات لكلّ نساء المجتمع: فمرور السنين كفيلٌ بتحقيق ذلك وترويض نفوس الطاهرات العفيفات عليه لتتقبل ممارسة الفاحشة، أو تتقبل النظر للدعارة باستقباحٍ خجولٍ اقتداءً بالقدوات العاهرات.

يقول د. نيازي: «فخطورة تسفير النساء من دولةٍ إلى دولةٍ، فرادى أو في هيئة مجموعات، للرقص والغناء والموسيقى، أو للعمل في الحانات والأندية الليلية، قد ظهرت بوادر خطره عقب الإجراءات التي بدأت الدول تباشرها تطبيقاً لأحكام اتفاقية سنة ١٩١٠م في مكافحة الاتجار بالرقيق الأبيض»[١]، «وأصبح معروفاً منذ ذلك الوقت أنَّ الكثيرين من تجار هذا الرقيق قد بدؤوا يستعيضون عن طريقتهم القديمة بطريقة أخرى مستورة، يتجنبون بها

---

(١) يقول نيازي: «الواقع أن الاتجار بالنساء وتسفيرهن لهذا الفرض باعتبارهنَّ فنانات لم يكن مجهولاً منذ بداءة القرن العشرين؛ إذ إنَّ الأعمال التحضيرية للاتفاقية الدولية لمكافحة الرقيق الأبيض الموقع عليها في باريس ١٩٠٤م، قد تضمنت مناقشة سفر الفنانات للخارج لاتصاله بتجارة الرقيق، وكان أن صدرت الاتفاقية وهي تتضمن في المادة السادسة منها التزام الدول الأطراف فيها بأن تقوم -بقدر المستطاع، وفي حدود القانون- بمراقبة المحالّ التي تشتغل في تخديم النساء أو الفتيات في الخارج».

أحكام التشريعات التي بدأت تصدر لمكافحة الظواهر الدولية في كلّ مكان، ألا وهي طريقة إخراج الفتيات من دولة إلى دولة بدعوى العمل الفني في دور اللهو أو المحالّ العامة المماثلة، ولم يكن الغرض المستور إلّا تسخير هؤلاء الفتيات في مجالسة الرجال من رواد هذه المحالّ واستدراجهم للشراب أو الطعام أو الرقص استدراراً للأرباح الطائلة يقتسمها تجار الرقيق مع أصحاب المحالّ على حساب الصفقات التي تعقد على البغاء، كنتيجة حتمية لهذا الاختلاط الشائن بين الفتيات والرجال»[1].

«ويبدو أنّ عدم كفاية مثل هذه الإجراءات لم يكن من نصيب دولة دون أخرى، فالشكوى تتزايد في كلّ مكان في العالم ضد تسفير الفنانات فرادى أو جماعات للعمل في البلاد الأجنبية؛ باعتبار أنّ قصد العمل الفنيّ في الغالبية الساحقة من الحالات لم يكن إلا ستاراً يخفي قصد البغاء»[1].

«وقد أثبتت التحقيقات الرسمية، على المستويين المحلي والدولي، أنّ هذا النوع من النشاط ليس إلا اتجاراً بالأعراض في أغلب الأحوال، وأنّ الكثير من العقود التي تعقدها هاته النسوة ليست إلا ضرباً من (الخداع) يخفي وراءه الهدف الأساسي من هذا النشاط؛ وهو (الدعارة).

وفي مجال تسفير النساء خارج أوطانهنّ للعمل في الفنّ، فإنّ سمعة الوطن تمرغ في التراب؛ نتيجة النشاط الحقيقي الذي تقوم به سفيرات الفساد»[2].

وفصول هذه المسرحية النكدة هي استنساخٌ وترجمةٌ لفصولها النكدة في الغرب، فقد كان من نتائج الاتجار بالفنانات هناك بقصد البغاء أن استمرت الصيحات تتعالى من كلّ جانب بزيادة الإجراءات والتدابير الكفيلة بإيقاف هذا النوع الجديد من البغاء، «وأخذت الهيئات الدولية

---

(1) جرائم البغاء (ص٤٣٢).

(2) محمد نيازي حتاتة، جرائم البغاء (ص١٣٥).

(3) د. عبد الوهاب بكر، مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١٦٢-١٦٣).

المختلفة، المهتمة بمحاربة الاتجار بالنساء، تعلن استعدادها لتوجيه النصح للفنانـات اللاتي ينوين مغادرة أوطانهنَّ للعمل في الخارج، وأخذت التقارير الرسمية الصـادرة من حكومات الأرجنتين عـام ١٩٣٢م، وكوستاريكا عام ١٩٤٦م، وهولنـدا عـام ١٩٤٧م، والنمسا وسنغافـورة والفلبين وفرنسا عام ١٩٤٨م و١٩٥٠م تؤكد أن هذا النوع من عمل الفنانات في المحالّ لا يستهدف إلا احـتراف البغـاء، وأنَّ هـذه هي الصـورة الجديدة من الاتجـار بالرقيق الأبيض الواجب مقاومتها بكل الوسائل»[1].

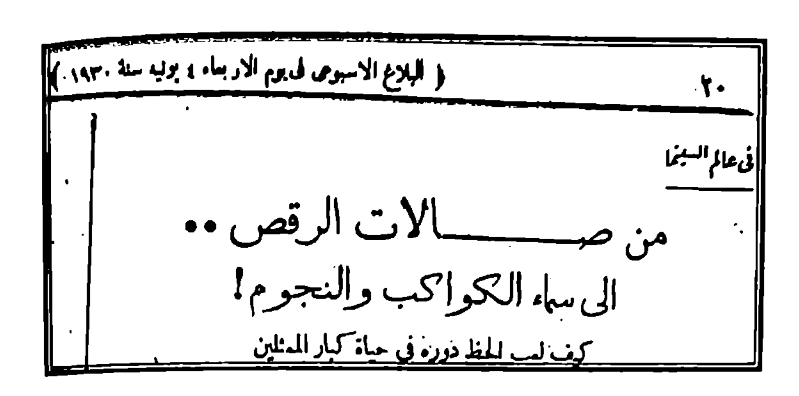


---

(١) جرائم البغاء (ص٤٤١).

تعهير العفيفات

أقصى حالات الغفلة الدنيوية والضياع الديني نجدها في دور البغاء وعيشة الخنا وما يحيط بتلك الأجواء من فنٍ وتمثيلٍ وطربٍ راقصٍ، وقد كان التمثيل المسرحي في بواكيره مقصوراً على الرجال دون النساء، وبالتالي كان الغلمان يقومون بدور العنصر النسائي وبارتداء الزي النسائي كذلك حتى بدأت «بديعة مصابني» بإقحام البغايا والمومسات والعاملات في دور الدعارة إلى عالم المسرح والرقص داخل الكازينوهات؛ ومع بشاعة هذه الحقيقة إلا أنَّ العلمانيين استطابوا نقل الشعوب إلى تلك الأجواء الغافلة، واجتهدوا في جعل (البغايا) مثلاً أعلى آسراً لقلوب العفيفات، ورمزاً شامخاً تتطلع إليه أعين الشريفات، وأسرفوا في منح الفنانات ألقاب الفخامة والعظمة؛ كلقب: سيدة الشاشة، وملكة الاستعراض، وبلبلة الشرق، ونجمة المسرح، ونجمة الشاشة البيضاء، وزهرة المسرح، وكوكب الشرق، والسندريلا، وسفيرة النجوم، وحسناء الشاشة، وآخر العظماء، ونابغة الطرب، وغيرها، فكان الباطل وأعوانه يطمحون إلى انتقال فكرة البغاء من ماخورها المحدود ببضعة أمتار، وعددٍ محدودٍ من البغايا، لتشمل عموم النساء، ولتكون قناعةً وممارسةً لهنَّ قدر الإمكان، أو على أقلّ المكاسب الاكتفاء بأن تكون البغايا هنَّ القدوات المعاصرات والمثل الأعلى لنساء المجتمع، ولو بتقليدهنَّ في المظهر والسلوكيات العامة فقط.


(البلاغ الاسبوعي في يوم الاربعاء ٤ يوليه سنة ١٩٣٠)

٢٠

في عالم السينما

من صـــالات الرقص ..

الى سماء الكواكب والنجوم !

كيف لعب الحظ دوره في حياة كبار الممثلين



سجايا البغايا

بعد هذه الجولة المؤلمة في حياة البغايا والمومسات، أجد من المناسب التعريج على أبرز ملامح شخصية البغي وطباعها، وما انفردت به من سجايا يُراد زرعها في نفوس العفيفات، وغرسها في طباع الطاهرات، وقد جرى في الأمثال: (الطبع سرَّاق)، وهذه المرة بئست الطباع وبئست السرقة.

«كثير من الحضارات القديمة والحديثة اعتبرت المومسات طبقةً متميزةً بزيٍ معينٍ، ولغةٍ معينة، وأماكن إقامةٍ معينةٍ، كما كانت تميزهنَّ ملابس وقصات شعرٍ خاصة»[1]، فالبغايا لا يتناغمن مع نساء المجتمع في مظهرهنَّ وسلوكهنَّ؛ بل لشدة كره المجتمع لهنَّ، واستقذار النساء بالذات لمظهرهنَّ ومخبرهنَّ، أصبحن منفرداتٍ متميزاتٍ أشدَّ حالات التميُّز عن الطاهرات العفيفات، ومن هنا يحسن بك أن تتكرم بقراءة فصل (البغاء والفن)، حتى يتناغم الفهم بين ذلك الفصل وهذا الفصل الذي يتحدث عن خصال العاهرات وسجايا البغايا التي أرادت الأنظمة العلمانية نشرها بواسطة إعلامها؛ كي تنتقل فكرة البغاء من المواخير المنبوذة في أطراف المدن، لتشمل جميع البيوت، وتتغلغل طباع مومساتها في كلِّ أسرةٍ عفيفةٍ، وللأسف كان ما كان، وانتقلت صفات البغايا اللصيقة بهنَّ إلى المؤمنات الغافلات دون شعورٍ وبحسن غايةٍ ونبل قصدٍ، وسأعدد بعضاً من تلك الصفات:

١. **نزع الحجاب عن الوجه**: وهو ما كان سلوكاً مستنكراً في المجتمعات المسلمة قبل حقبة البغاء الرسمي، ومثيراً للسخط، ولافتاً للأنظار في

---

(١) د. عبد الوهاب بكر: البوليس المصري ١٩٢٢-١٩٥٢ (ص١٨٤).

أوساط العامة، ولم يكن يصدر كشف الوجه إلا من الإماء والجواري، أو من نساء النصارى واليهود، أو من البغايا الفاجرات؛ حيث إنَّ من أبرز خصوصيات البغايا (كشف الوجه)، ويؤكد ذلك ما ذكره شمس الدين محمد بن أبي العباس الرملي الشافعي في سياق ألفاظ القذف بقوله: «(قوله: يا قحبة) لامرأة (قوله صريح كما أفتى به)، فلو ادعى أنها تفعل فعل القِحاب؛ من كشف الوجه ونحو الاختلاط بالرجال، هل يُقبل أو لا؟ فيه نظر، والأقرب القبول؛ لوقوع مثل ذلك كثيراً»[1]، ويزيد هذا كله ما ذكره سونيني sonnini: «أنَّ دمنهور كان بها عددٌ من النسوة الساقطات يكشفن وجوههنَّ، ويتواجدن قرب المقاهي، ويفرشن الخيام لاجتذاب الناس»[2]، زد على ذلك قول البكباشي في صفة خلع الحجاب عن وجوه البغايا حين قال: «ويمكن أن تراهم في طرقات الأزبكية حاسرات الوجوه والصدور، مسدلات الشعور، يغازلن هذا بالكلام، ويطارحن ذاك عبارات الغرام»[3].

٢. طلاء الوجه والشفاه والأصباغ الفاقعة لغير حاجة: «مما تميزت به البغايا عن نساء المجتمع الإسراف في طلاء الوجوه والشفاه بكميات كبيرة من الألوان (Make up)، فقد كان شغل البغيِّ الشاغل طوال مدة ممارستها لهذا النشاط، حيث يرتبط الإفراط في التجمُّل والتزيُّن ارتباطاً مباشراً بلقمة عيشها، فرأسمال المومس هو قدرتها على اجتذاب العملاء، واجتذاب العملاء يتوقف على قدرة المومس على إقناع العميل بصلاحيتها للقاء، واقتناع العميل بهذه السلعة يتوقف على مدى الجاذبية التي لدى المومس، هي حلقةٌ أو دائرةٌ لا تنتهي إلا بفقد المومس لمقومات وعناصر نشاطها، لذا فإن أهمَّ ما تحرص عليه المومس هو التمسك بجمالها وقدرتها على الجذب»[4].

---

(١) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للنووي (٨/٢٧٢)، بتصرف يسير.
(٢) عماد هلال: البغايا في مصر (ص٢٩).
(٣) الحرية، العدد (١٧٥)، ١٩٠٦/٦/٧م، د. عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (ص٢٦).
(٤) د. عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١١٧).

٣. الإسـراف في التعطُّـر بالعطور الصارخة: وهـي خصلةٌ انفردت بها البغايا في البـدء دون نساء المجتمع، وقد كانت علامةً بارزةً كافيةً لتصنيف المرأة، وكونها من البغايا أو من الطاهرات العفيفات، ولعلَّ هذا ما يفسر ما جـاء في المراجع من وصف المومسات: «بالمبالغة في وضع المساحيق والأصباغ الفاقعـة، والتعطر بالعطور ذات الرائحة الصارخـة الذي كان أحد مظاهر شخصية المومس»[1].

٤. ارتـداء الملابس العاريـة: وهـو علامـةٌ فارقـةٌ تتميـز البغايا بها، أوضحهـا حسنـي عبد الرازق حـين وصف مواكـب المومسـات الذاهبات للكشـف الطبي في مكتب الحوض المرصـود في الأربعينات فقال: «إنَّ هاته النسـوة كنَّ يأتين راكبـات حناطير، ويتميـزن بارتدائهـنَّ لملابس تكشف أذرعهـنَّ ونحورهـنَّ، وأنهنَّ كـنَّ يتسامحن في تغطيـة أفخاذهنَّ ومواضع أخرى من أجسامهنَّ»[2].

٥. رقص الإثـارة والإغـراء: حيـث كان المألوف من رقـص النساء أنه يهـدف إلى الرشاقـة وخفة الحركـة، ويتجه في اهتزازه وحركتـه إلى إبراز جمال الشعر والجزء الأعلى من جسد المرأة، ولكن بعد اعتلاء البغايا عرش القـدوة في حياة النساء، أصبح النمـط الجديد السـائد في رقص النساء هو مـا يعرف (بالرقص الشرقـي)؛ وهو استهداف مناطق الإثـارة، والتهييج، والإغراء، وتحريـك الغرائز؛ طامعين وطامحـين أن يصبح هذا النمط من الرقـص هـو السائد المألـوف الذي تنهجـه جميع النسـاء، ولعل تغير نمط الرقص لدى نسائنا، وانتقاله من نثر الشعر والتمايل لإظهار الجمال وإبراز الأنوثـة إلى صورة الرقص الشرقي الذي يـبرز جانب الإغراء الجنسي؛ هو نـوع من تأثر العفيفات بسلوك البغايـا في مجال الرقص، دون إرادة سوء أو إضمار شر.

---

(١) د. عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١١٧).

(٢) د. عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص١١٧).



العروسة والفن السينمائي

٥ مليم

AL AROUSSA

العدد ٥٣٥ — في ٥ يونيو سنة ١٩٣٥ —

كريمات الاسر الشريفة يتعلمن الرقص الكلاسيكي



مدرسة

للعائلات الكريمة

لا شك ان الرقص هو خير رياضة للفتيات فاذا ارادت العائلات النبيلة ان تعلم فتياتها هذه الرياضة فليس أمامها مدرسة الا مدرسة الاستاذ ميردجان القاصرة على العائلة الاوروبية والمصرية الكريمة والكائنة بشارع قصر النيل نمرة ٢٣ بمصر

دروس خصوصية كل يوم . حفلات راقصة أيام الاثنين والاربعاء والجمعة من الساعة ٧ الى العاشرة

٦. تدليل الأسماء الأنثوية: وما ظهرت ألقاب الدلال والتغنُّج في العفيفات إلا مقتبسةً من شاشات الإعلام، تلك الشاشات التي كانت تنقل واقع المومسات، لتقدمهنّ بصفتهنّ سيدات المجتمع وقدوات حقيقية، زوراً وبهتاناً، فانتقلت صورة التدليل إلى واقع المؤمنات الغافلات، فأصبح من الدارج ألقاب الدلال مثل: سوسو، لونا، فتو، شوشو، كيكي، لوسي، زيزي، ميمي، فيفي، توحه، زوزو، سومه، وغيرها، ولذا يقول صاحب كتاب (مجتمع القاهرة السري): «ما كان يصلح للأمس لا يصلح لليوم: (فمواوس) اختفى وحلَّ محلَّه الترام، ولمبة الجاز استبدلت بالمصباح الكهربائي، وزينب الفحلة وفتحية العمشة ونفيسة الشبينية استبدلن بفوزية ورجاء وزوزو»[1].

وهذا ما يبدو في تلك المرحلة من انتشار هذا النمط من الأسماء بين الفنانات والراقصات بصورة لم تكن مألوفة في المجتمع؛ بل كان منشؤها في مناخات الفنّ وما تمنحه من الألقاب المستعارة؛ تفادياً لظهور شخصياتهنّ الحقيقية.

٧. الاستقلال السكني والمالي عن الوصي والمحرم: ومن الجهود المبذولة في تعهير العفيفات ما كان موجوداً في القديم، وما زال باقياً إلى اليوم، ما ذكره د. فخري ميخائيل حين قال: «وظهرت أنواع جديدة من البغاء السري انتشرت في القاهرة والإسكندرية»، من هذه الأنواع -حسب تصنيف الدكتور الفخري-: «محلٌّ خاصٌّ للتسلي garconniere system وفيه تتخذ إحدى النساء شقةً أو منزلاً خاصاً تستقبل فيه عشاقها، وتعيش عيشة السيدة الفاضلة، ولا تخشى رقابة عرفية، ونوع آخر يعرف باسم (محل نصف خاص للتسلي)، وفيه تشترك مجموعة من النساء في مصاريف الشقة، وتعيش كل منهم في غرفة مستقلة، وإيرادها الشخصي خاص بها»[2].

---

(١) د. عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (ص١٥١). ولقد جاء النهي الشرعيُّ عن وصف الفاسق والمنافق بالسيد.

(٢) د. فخري ميخائيل فرج: تقرير عن انتشار البغاء والأمراض التناسلية بالقطر المصري وبعض الطرق الممكن اتباعها لمحاربتها، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٢٤م (ص٢٠-٢١).

٨. بقية السجايا: وأسرد هنا بقية السجايا والخصال التي تأباها نفوس العفيفات في أيٍّ مجتمع في بادئ الأمر فراراً من مشابهة المومسات، وما هي إلا مدة يسيرة من المخالطة الجسدية أو المخالطة بواسطة شاشات الإعلام حتى تنتقل جرثومة العهر الفضائي لطباعهنَّ، والطباع لصوصٌ، ولعلَّ في النص الآتي عدداً من تلك الخصال المشؤومة، يقول عبد الوهاب بكر عن البغايا: «كان يمكن تمييزهن بملابسهن الزاعقة، وفساتينهن المختصرة، وشعورهنَّ المقصوصة، ووجوههنَّ المصبوغة بالأحمر، وتدخينهنَّ للسجاير، وشربهنَّ للمشروبات الروحية، ولغتهنَّ السوقية، وسلوكهنَّ الوقح. وبكلمات أخرى، لم تكن التفرقة بين المرأة (الجيدة) والمرأة (السيئة) حادَّة فقط، ولكن كان يمكن تحديدها بسهولة عن طريق التمايز الثقافي Cultural Insignia... بالإضافة إلى ذلك فإن كثيراً من المومسات يشربن بإفراط، ويستخدمن المخدرات، وفي بعض الأحيان يصبحن مدمنات»[1]، يقول د. أحمد خضر: «وتدمن نسبة كبيرة منهنَّ المخدرات، ويدخلن سوق ممارسة الجنس، إما بالإنفاق على أنفسهنَّ أو رفقائهنَّ، أو للصرف على المخدرات وشرب المسكرات»[2].



(١) د.عبد الوهاب بكر: البوليس المصري ١٩٢٢-١٩٥٢م (ص١٨٤).

(2) https://goo.gl/6Q5E3d

تدييث المجتمعات

سابقاً كانت العقوبة تطال كلَّ بغيٍّ أو مومسٍ تخرج عن سياق الآداب العامة في الطرقات، ولكنَّ كما هو المعتاد من مشاريع التغريب الوثني أنه يحرص على صرامة البدء، وتطبيق الضوابط والاحتياطات بقوةٍ وقسوةٍ، وهي جزءٌ أصيلٌ من خطط العلمانية لتمرير الفساد دون مصادمة المجتمعات الغيورة، يصف تلك الحال صاحب كتاب جرائم البغاء فيقول: «أصبح بعض القوانين يعاقب على مجرد الإخلال بحياء النساء في الطرقات، ولو لم يكن القصد من ذلك هو الدعوة الحقيقية إلى الفسق، وذهب بعضها الآخر إلى حماية النساء من كلِّ ما يمس حياءهنَّ، ولو في غير علانيةٍ»[1].

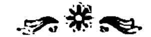
وبعد أن كانت القوانين الحكومية تراعي الآداب العامة وعدم خدش الحياء علانيةً، وتقوم بعزل البغايا قسراً عن المجتمع، وتؤدبهنَّ حين إخلالهنَّ بالآداب وسط العامة، انقلبت الحال واختلف اتجاه الريح تماماً، لتقف القوانين الحكومية نفسها خلف إدخال فكرة البغاء إلى المجتمع، إلَّا أنَّ الجديد أنَّ البغاء هذه المرة لم يتسلَّل إلى المجتمع بصفته رذيلةً، ولم تخالط البغايا نساء المجتمع بصفتهنَّ فاجراتٍ خبيثاتٍ؛ بل كانت اللقيا بهنَّ هذه المرة بصفتهنَّ رائدات الجيل وسيدات المجتمع؛ ولهذا فإن المطالع للأسباب التي دفعت العديد من النساء للبغاء يجد أنَّ ولاة الأمور ومن بيدهم القرار أحالوا المجتمع إلى مناخٍ يحتضن تلك الأسباب لتكون في متناول النساء العفيفات بعد أن كانت خاصة بفئة العاهرات، ولكن بعد أن

---

(١) جرائم البغاء (ص٢٦١).

كان مـا كان واختلط حابـل العفيفات بنابل المومسـات، تولَّدت الحاجة إلى التفريـق بين تلك الفئتين بسبب التشابـه الكبير بينهما، كما جاء في مذكرة وزيـر الداخليـة في نوفمـبر ١٩٢٥م، ممـا يدل علـى الحاجـة إلى التفريق بـين الفاجرة والطاهرة، ومممـا جاء في المذكرة: «وتـزداد هذه الصعوبة في عصـر اندمج فيه البغايا بالنسـاء الأخريات، وأصبح من غير الميسور دائماً تمييزهن عنهـن، بسبب التشابه بين الطائفتين في المـأكل والمشرب والملبس والتزين ووسيلة الحياة»[١].

«أمـا اشـتراط أن تكون المـرأة بغيـاً عمومية فمرجعـه إلى ضمان عدم الخلـط بين البغايا وغيرهن، وإلى توفير حماية أوفر للنساء الشريفات ضد إجراءاتٍ قد يتعرضن لها نتيجةً للخطأ أو سوء التقدير»[٢].



---

(١) جرائم البغاء (ص١٨٠).

(٢) انظـر في ذلـك مذكرة وزيـر الداخلية بإنجلـترا في نوفمـبر ١٩٢٥م إلى لجنة تحقيـق موضوع التحريض على الفسق بالطرقات. جرائم البغاء (ص١٨٢).

دراسة حول أسباب البغاء

كانت هذه الدراسة وهذا الفحص عبارة عن حوار دار بين صاحب الدراسة والمومسات؛ كلاً على انفراد: ما (السبب)؟ ما العمل الحاسم في احتراف المومس للبغاء؟ وجاءت النتائج كالآتي:

١. علاقة مع رجل تنتهي بالاستسلام والتفريط في العذرية، ولعدم القدرة على مواجهة العائلة يحدث الهروب من منزل الأسرة إلى المجهول؛ حيث تلتقطها أيدي أهل الفساد، ثم السقوط.

٢. المعاشرة الجنسية مع الخطيب قبل الزفاف، ثم حدوث حمل، ثم الهروب من المواجهة العائلية، ثم السقوط.

٣. العلاقة غير الشرعية مع رجلٍ، ثم فقد العذرية، ثم الهروب من المواجهة العائلية، ثم السقوط.

٤. التفريط في العرض والإغواء من الجارة أو الصديقة، ثم السقوط.

٥. إهمال الأب واستهتاره، وتركه بناته يفعلن ما يحلو لهنَّ، ثم السقوط.

٦. تغرير الحبيب بمحبوبته بعد وعد بالزواج، ينتهي بالخوف من العار، فالهروب، فالسقوط.

٧. استهتار الزوج وتركه زوجته تعبث دون مبالاة، ثم السقوط.

٨. الخيانة الزوجية، وطرد الزوج لزوجته الخائنة فتتلقفها أيدي السوء لتسقط في هاوية البغاء.

٩. فساد الأم وإغواؤها لابنتها لممارسة الرذيلة[١].

وفيما يتعلق بالروابط العائلية بين العاهرات والوالدين، فإن الحالات الـ ١٧٤ التـي كان آباؤهن يعيشون، لم تكـن على اتصال بالأب إلا بالنسبة لـ٨١ حالـة، ولم يكن متصلاً بالوالديـن إلا ٧١ حالة، وهو ما يعني أنه رغم وجود الآبـاء في هذه الحـالات فإنَّ أكثر مـن النصف كان مقطـوع الصلة الفعلية بهم.

ويمكـن ردُّ هـذا الوضـع إلى إهمال الآبـاء في رعاية بناتهـم، أو هروب البنات أنفسهنَّ من منـازل عائلاتهنَّ خشية الآباء، أو ابتعاد الآباء أنفسهم عـن بناتهم خشية العـار والفضيحة. وفي حالة وجود الأم -وقد قلنا إنَّ عدد العاهـرات التي كانت تعيش أمهاتهن كان ٣٢٠- فقد تبين أنَّ ٢٤٣ عاهرة لا تـزال على اتصال فعليٍّ بـالأم، و٧١ متصلات بالأبويـن. ويخلص من ذلك إلى أن نسبـة صلـة العاهرات الفعليـة بأمهاتهنَّ مرتفعة عـن نسبة صلتهنَّ بالآباء[٢].



(١) محمـد فريـد جنيـدي: البغاء-بحـث علمي عملـي، مطبعـة النصـر، القاهـرة، ط١، ١٩٢٤م (ص١١٩-١٤٠).

(٢) عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص٧٢).

البغاء ونزع الحجاب عن الوجه



هذه صورة أحد أعيان ومشائخ البحرين على خليج العجم أثناء زيارته للندن وتراه ماشياً بكوفيته وعقاله وملابسه العربية مع صديق له وتسير معه حرمه المصون وهي محجبة وجهها وقد صورت صورتهما في ميدان ترفلجار في قلب مدينة لندن

وفي المصور ١٢ فبراير ١٩٢٦م هذا النقل عن حجاب المسلمات في الهند

(١١)

المرأة المسلمة في الهند

ان جميع نساء الامراء والادباء المسلمين محتجبات مقصورات في البيوت لا يخرجن منها ليلا ولا نهاراً إلا إذا اقتضت الضرورة ذلك كالذهاب الى الافراح والمآتم واذا أردن الخروج فتجتمع عدة من النساء ويتبرقعن ويركبن الجياد أو الهودج أو العربات المغطاة أو يمشين راجلات مع الخادمات اذا كانت المسافة قريبة . ويتعلمن القراءة والكتابة والخياطة في المنازل أو المدارس النسائية وكذلك يعلمن أولادهن. و بعضهن ينسجن الجوارب أو يغزلن القطن والصوف

مترجمة عن الانكليزية [محمود الخادم]

شرفت المسلمة المعاصرة باستتارها وراء الحجاب، تحت برقع الهيبة، شأنها شأن كلّ العذارى المصونات عبر التأريخ، فطمحت شياطين الجنّ والإنس من بني جلدتنا إلى نزع حجابها وانتزاعها من بيتها وإرجاعها إلى البهيمية الرعناء، بأكذوبة الحضارة والمدنيَّة، وكلُّ حضارة بلا إسلام فهي دون حظيرة الحيوان؛ عقلاً وقدراً وكرامةً.

تلك الشرذمة لم تكن إلّا مدرسة استعمارية تردد ما ينفخ اليهود، لتجعل

المـرأة المسلمـة أداة لإهلاكنا، فسعوا سعيـاً حثيثاً ليحيلوا المـرأة (الحرة) (حربـة) يغرسونهـا في خاصرة الأمة، فجلبت هذه البـاء لنا الوباء، وغدت المسلمـة المخدوعة معـولاً لهدم الديـن، وسيلـة للمهلـكات والنقائص وبثُّ الفساد.

لقـد صوبوا نحو الحجـاب سهام الطعن ونبال القـدح، واتهموا المحجبة بالأباطيـل والمكـر والخديعة، وقالـوا: لو لم تنطوِ على ما يسـيء لما استترت واحتجبت، وتجاهلـوا عمداً أنَّ استتارها قداسة لها من عبث الأيدي التي لا ترعـى حرمةً ولا ميثاقاً، وأبدع من قـال: (السفور مطية الفجور)، ولا مراء أنَّ اللـوم يطال المدرسـة العصرانية التـي ضمَّت بـين انحرافاتها المتعددة انحـراف المناداة بكشف وجه المرأة تحت ذريعة (الخلاف الفقهيّ) في هذه المسألة. وسـواءً علموا أم جهلوا فإنهم أسهموا في تسويغ الخطوة الأولى من مسلسـل البغاء تحت مسوِّغ (إباحة كشف الوجه)، وبالقرب من الحدث كان الاحتلال يراقـب الأحداث ويبدي ابتسامة الرضا لهـذا الرأي الفقهي، لأنَّ الاحتـلال يدرك أنَّ المرأة متـى كشفت وجهها فإنها ستتـدرج إلى كشف ما عـداه؛ فراح يجعل من كشـف الوجه كاسحة ألغام تزيـح العوائق المتصدية لـه. وهذا اعترافٌ من مجلـة (الاثنين والدنيا) في عددهـا ١١٧٥، الصادر عام ١٩٥٦م، ببعض نتاج نزع الحجاب، كاعتراض المجتمع أولاً، ثم سكوتهم ورضاهـم بذلك، ثم إقحامها في ميدان التمريض، ثم قيادة السيارات، وكلُّ ذلك الفساد لا بدَّ له من أن يستند إلى فتوى، وكانت الفتوى في سوريا صادرةً من سماحة مفتي سوريا، الذي جعل نزع الحجاب عن وجوه المسلمات واجباً من واجبات الدين.

رفع الحجاب من أجل الجهاد ضرورة!
... وقصص أخرى

فتوى من سوريا

قبل ثورة مصر في سنة ١٩١٩، كان الناس يتحدثون عن الحجاب والسفور ...

وقد احتدم يومئذ أوار المعركة بين قاسم أمين وطلعت حرب، ذلك يدعو للسفور وهذا يناهض دعوته

وحدث يومئذ أن اتفقت طالبات المدرسة السنية على القيام بخطوة عملية لرفع الحجاب لركوب العربة التي تعود بهن إلى بيوتهن في آخر النهار، وقد كشفن عن وجوههن

وراع الناس، فتكالبوا على العربة وأتبعوها في شوارع القاهرة يقذفونها بالطوب والحجارة، حتى شجت رؤوس عدد كبير من الفتيات

ثم اندلعت ثورة سنة ١٩١٩، فخرجت المرأة تجاهد مع الرجال، وحسرت عن وجهها في ميدان المعركة، فلم يستطع أحد أن يتكلم

وانتهت الثورة، وانتهى معها الحجاب ...

وما حدث في مصر بالأمس، يحدث في الشقيقة سوريا اليوم

لقد نفرت المرأة السورية للجهاد، وقصرت جهادها في أول الأمر على ميدان التمريض، ولكن عندما دعيت السوريات إلى الاستعداد للمقاومة الشعبية متطوعين للاشتراك في التدريب العسكري، وتعلم قيادة السيارات وضرب النار إلى جانب التمريض

وكان لا بد لتنفيذ هذه الدعوة من رفع الحجاب. فثارت التقاليد، وقد يدهشك أن تعلم أن السيدة عقيلة الزعيم السوري المعظم الأستاذ فارس الخوري كانت في طليعة الثائرات للتقاليد

ولكن سماحة مفتي سوريا أفتى بأن رفع الحجاب من أجل الجهاد ضرورة يتوجبها الدين

تماما كما حدث عندنا في ثورة ١٩١٩

وارتفع الحجاب في سوريا، وأصبحت ترى شوارع دمشق اليوم غاصة بشابات القطر الحبيب، سافرات الوجوه في زي الجندية

لقد سعى الاحتلال إلى تجنيد الفاسدين للدعوة إلى كشف وجه المرأة، واستمات في نشر هذا الرأي الفقهي بصورة مكثفة، ليسهل له بعدها بقية الخطوات، كإبراز هذا الحكم الفقهي والترويج له حتى ينسف ما عداه من الأقوال المعتبرة في تغطية الوجه، فبعد أن كانت المسلمات في جميع أرجاء الأمة يغطين وجوههن رغم اختلاف مذهبهن، انقلبت أحوالهن فصرن يخلعن الحجاب من غير رأي فقهي بسبب ضغط الاحتلال واستناده إلى أقوال أولئك المبيحين لكشف وجه المرأة، وهم ما بين ضالٍّ من المفسدين أو مصاب بغفلة الصالحين، ثم تنفرط الخطوات المتبقية كانفراط الخرز،

كما أوضحت ذلك بتفصيل وإسهاب في كتابي (هل يكذب التاريخ؟!)، ويحسن أن أسوق مثالاً عابراً على تدرج العلمانيين في خطوات الفساد، وهو ما جرى في الشام من فرض الاختلاط في مجال الطب، حيث كانت البواكير تنصُّ على تخصيص مقاعد للسيدات خلف الذكور، كما تناقل ذلك المصور، في عددها ١١٩ بتاريخ ٢١ يناير ١٩٢٧م:

النهضة النسائية في سورية

جاء في صحف دمشق أن بعض أولياء الاوانس المسلمات في دمشق (وهن من الفتيات المتعلمات الراغبات في تلقي علم الطب في المعهد الطبي العربي بدمشق) رفعوا عريضة الى الحكومة يطلبون فيها قبول بناتهن في المعهد المشار اليه فأحيلت طلباتهم الى وزير المعارف فكتب عليها الشرح الآتي :

« لا نرى مانعاً من قبول السيدات في المعهد الطبي وتدريسهن مع الذكور على شرط أن تخصص لهن مقاعد وراء مقاعد الذكور ويعنى باحترامهن الاحترام اللازم »

وتدل الاخبار على أن المزمعات تعلم الطب من محصنات دمشق كثيرات وهذه هي الخطوة الاولى في نقض التقاليد القديمة المتحجرة

في عنوان المقال وصفوا الاختلاط بالنهضة، وفي وسط المقال يتضح أنه قرارٌ حكوميٌّ نافذ، وفي ختام المقال يعيب من يخالف الإفساد بأنهم أسرى للتقاليد القديمة المتحجرة.

ويكشـف أبـو الأعلى المـودودي سبب انحـراف المدرسـة العصرانية مع الحجـاب بقولـه: «وذلـك أن رجـال الإصـلاح من المسلمـين لمـا رأوا المرأة الأوروبية وما هي عليه من زينة وتجمُّل، وحرية في الحركة والجولة، ونشاط زائد في الاجتماع الغربي.. لما رأوا كل هذا بعيونٍ مسحورةٍ وعقولٍ مندهشةٍ، تمنـوا -بدافع الطبيعة- أن يجـدوا مثل ذلك في نسائهم أيضاً، حتى يجاري تمدنهـم تمدن الغـرب أيضـاً»، إلى أن قـال: «كأنَّ هـؤلاء تـكاد تسوح بهم الأرض من فرط الخجـل حينما يرون الغربيين يتهكمون بنسائهم المتنقبات المستورات في اللباس العادي، وينبزونهنَّ بـ (الجنائز المتحركة)، وإلى متى، يا ترى، يطيق القوم الصبر على هذه الوخزات؟.. لذلك استعدوا آخر الأمر -بالرضا أو بالكره- لأن يقوموا فيدفعوا عن أنفسهم هذا العار المخزي»[1].

ثـم تأتي الخطـوة التي تليها. وهي أكـثر جرأة: وهـي تشريع الاختلاط وفرضـه بقوة الأنظمة، ثم تبعتها خطوات المسلسل المتكرر طويل الذيل للنيل من عفة المرأة وعرضها.

ومـن مظاهر الهزيمة وعدم الاعتزاز في المجتمعـات المسلمة أن يتحدث الليـبرالي والتنويـري وصاحب الهـوى عن حجـاب المرأة علـى أنه (كشف الوجـه). فيسـود السكون والهـدوء دون أن يعترضـ عليه أحد. فـإذا قيل: إنَّ حجـاب المـرأة هو (تغطية الوجـه). ضج الأفق وعـلا الصراخ، وهاجم المعترضون بقولهم: ليس من حقك التنكُّر لبقية الأقوال في المسألة، فلا تقل: إنَّ الحجاب هو تغطية الوجه، لأنَّ المسألة خلافية بين العلماء المعتبرين.

لا شـكَّ أنَّ الخلاف الفقهي واردٌ وسائغٌ في أيِّ مسألة، لكنَّ واجب الفقيه أن يراعـي مـآلات القول، وما يفضي إليه بين الخلـق، فربَّ قول فقهيٍّ يجيز أمـراً مـا، ولكن واجـب العالم أن يمنعه منعـاً باتاً من وجه آخـر، كما يقول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وما أنت بمحدثٍ قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم

(١) أبو الأعلى المودودي: الحجاب (ص٤٧-٤٨).

إلا كان لبعضهم فتنة»[1]، وما أكثر الأقوال المفضية إلى فتح أبواب الفتن وأمواج البلاء.

وهذا هو ما جلبته المدرسة العصرانية، التي أضنت أتباعها من أجل زحزحة الإسلام وسماحته إلى أقصى نقطة ممكنة باتجاه إنسانية الغرب وسواحل العلمانية، وراحوا يمتطون صهوة إعمال العقل في فهم النص بطريقة تخالف النص أصلاً، فبدأ تفريخ الاعتزال من جديد بنكهة دينية عصرية.

ولقد كان الحجاب السائد في أنحاء العالم الإسلامي هو تغطية المرأة لوجهها، حيث تظافرت الوثائق المصورة والنقولات التاريخية والشرعية على ذلك، وخذ على سبيل المثال ما وصفه الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكرياته من حجاب نساء الشام؛ فقال: «كانت التلميذات في المدارس الابتدائية فضلاً عن الثانوية بالحجاب الكامل، حتى إنَّ أختين لي، وزوجتي، كنَّ يذهبن إلى المدرسة الابتدائية بالملاءة السابغة، وعلى وجوههنَّ هذا النقاب، أي القماش المثقَّب الذي كان يُدعى عند العامة (المنديل)، وأذكر أنَّ دمشق أضربت مرَّةً، وأغلقت أسواقها كلها، وخرجت المظاهرات تمشي في جاداتها، لأنَّ وكيلة مدرسة دار المعلمات جاءت المدرسة سافرة»[2].

يقول سلام خياط: «لقد ظلَّت مكانة الحرائر في العهد الإسلاميِّ تطغى على مكانة الإماء والجواري، وكان يُفرَّق بين الحرائر وغيرهنَّ بالحجاب؛ حيث كان الحجاب شعاراً مفروضاً على الحرائر دون الجواري والإماء اللواتي يمشين حاسرات، يقول الإمام الفخر الرازي: وكان في الجاهليَّة تخرج المرأة الحرَّة والأمة مكشوفات، فيتبعهن الزناة، وتقع التُّهم، فأمر الله الحرائر بالتجلبب، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ ...﴾ الآية [الأحزاب: ٥٩]»[3].

(١) رواه مسلم.

(٢) ذكريات (٨/٢٧٠).

(٣) سلام خياط: البغاء عبر العصور (ص٩٢-٩٣).

وألفت النظـر إلى حقيقة بالغة الأهمية أنَّ حجاب الحرائر وهو تغطية الوجـه، كان على خلاف وصـف الإماء والبغايا في العـالم الإسلامي حيث كان علـى العكس من ذلك، فيذكر سونيـني sonnini أنَّ: «دمنهور كان بها عـدد من النسـوة الساقطات يكشفـن وجوههنَّ ويتواجـدن قرب المقاهي، ويفرشـن الخيام لاجتـذاب الناس»[1]، بـل كان استيـاء الناس من كشف البغايـا لوجوههـنَّ يجبر الحكومة علـى إصدار قرارٍ يلـزم البغايا بتغطية وجوههـنَّ حين مرورهـنَّ في الشوارع، ودليل ذلك مـا تقوله المادة الحادية والستـون من القانون المصـري: «الحريمات الباغيات غـير مرخص لهنَّ بـأن يمررن بالطرق التي بها مساكنهـنَّ مكشوفات الوجوه وغير مستورات بالإيـزار؛ بـل ولا في جلوسهن علـى الأبـواب والشبابيـك منازلهن فيلزم منعهنَّ من ذلك»[2].

ولنـا الحق أن نتوقف هنا لنسأل دعـاة تحرير المرأة: لماذا تجاهلتم هذا الاسترقاق العلنيَّ، وتعاميتم عن هذا الاستعباد الذي هو أوضح وأبشع صور امتهـان المرأة على الإطلاق، بـل وتماديتم بالمطالبة بإزالـة حشمتها، ونزع القوامة عنهـا، وأجبرتموها على الاختلاط بالرجال؛ لكي يسهل إيقاعها في أفخاخ الاسترقاق والبغاء مرة أخرى؟!

وإن كان مستنقـع البغاء هو أحطَّ مراحل العبودية والمتاجرة بالمرأة، فإنَّ أولى خطـوات العبودية هي نـزع حجابها عن وجهها، والاستمتـاع برؤيتها، ثـم التنادي باختلاطها، ثـم الالتفاف التدريجيُّ للوصـول إلى آخر المراحل مـرة أخرى، وهذا ما نصَّ عليه المكتب الدولي صراحةً، وربط جريمة البغاء بنـزع المـرأة للحجاب بقولـه: «غير أنَّ إبطـال الحجاب ترتـب عليه اندفاع عـددٍ عظيـمٍ من النسـاء التركيات نحـو بيوت الدعـارة، والذيـن يشتغلون بهـذا الاتجار هناك ليسـوا خاضعين لمراقبةٍ قانونيـةٍ، والبوليس على اتفاق

(١) عماد هلال: البغايا في مصر (ص٢٩).
(٢) فيليب جلاد: قاموس الإدارة والقضاء، مطبعة بني لاغوداكي، إسكندرية، ١٨٩٥م (٢/٢١٥).

معهـم ومع المومسات في غالب الأحيان»[1]. وقـد وجدت كلاماً قديماً يربط الفاحشـة بخلع الحجاب والاختلاط بالرجال، وهو ما جعلهم يترخصون في وصفهـا بوصف البغايا، إذ يقول شمس الدين محمد بن أبي العباس الرملي الشافعي حين ذكر في سياق ألفاظ القذف: «(قوله: يا قحبة) لامرأة (قوله صريح كما أفتى به) أي ابن عبد السلام، فلو ادعى أنها تفعل فعل القِحاب من كشف الوجه ونحو الاختلاط بالرجال هل يُقبل أو لا؟ فيه نظر، والأقرب القبول لوقوع مثل ذلك كثيراً»[2].

ولا يحسن بعاقلٍ أن يصدق مزاعم قاسم أمين التي تكوَّمت في كتابه (تحرير المرأة)، الذي صدر عام ١٨٩٩م، أي بعد سبعة عشر عاماً من معايشته لفاجعة البغـاء، ومشاهدتـه لظلم المـرأة، واستهانتـه بكرامتهـا، بترخيص الحكومة للبغـاء الرسمـيّ، ومـع ذلك خـلا كتابه تماماً مـن أيِّ مطالبـة بحفظ عرض المـرأة، وأيِّ إشـارة، ولو بإيمـاء، إلى تحريرها من أسْر البغـاء، أو مناصرتها -بالتلميـح أو بالتصريـح- لتنجو مـن المتاجرة بها كرقيق أبيض، بل ما كان منـه إلَّا أن راح يحـذِّر من الحجاب، ويعلن الحرب عليـه، بقوله: «إنَّ الحجابَ ليس عائقاً عن التقـدُّم فحسب، بل هو مدعاةٌ للرذيلـة، وغطاءٌ للفاحشة، في حـين أنَّ الاختلاطَ يهذِّب النفسَ، ويميت دوافـع الشهوة»[3]. ولو ألغينا عقولنا وافترضنـا جـدلاً أنَّ حرب قاسم علـى الحجاب سببها هـو أنَّ الحجاب يدعو للرذيلـة -كما يزعم- فلمـاذا صمت عن الرذيلة المقنَّنـة والبغاء المعلن وسط الميادين في رابعة النهار، وبذل قصارى جهده في البحث عن الفجور والرذيلة خلـف حجاب المرأة فقـط، وعمي بصره عن رؤية الرذيلـة ومواخير الدعارة، ودور البغاء الرسمـيْ، وحوانيت الزنى، في الطرقات والأزقة وفي المستشفيات، وعلى صفحات المجلات والصحف؟ فلعنة الله على الكاذبين.

---

(١) المكتب الدولي لمنع الاتجار بالنساء والأطفال، بحث في منـع الدعارة المرخص بها من الحكومة (ص٢٥).

(٢) الرملي: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (للنووي) (٢٧٢/٨).

(٣) قاسم أمين: تحرير المرأة (ص١٩).

وقل مثل ذلك في مصداقية هدى شعراوي، التي كانت تزعم مناصرة المرأة، وقد عميت بصيرتها عن تعاسة البغايا وذبيحات الأعراض وضحايا الإجهاض وأبناء السفاح، خصوصاً أن هذا هو الواقع المأساوي الذي كانت تعايشه هدى شعراوي آنذاك، فإذا كنّا اليوم، وبعد مضيّ قرنٍ من الزمان، نرى بوضوح ضخامة الفادحة التي أصابت المرأة في ذلك الحين، فكيف بها وهي امرأة تدرك معاناة المرأة أكثر من غيرها، إلّا أنّها فقط استجمعت كل قواها عام ١٩١٩م لأجل نزع الحجاب، وفرض الاختلاط، ومحاربة القوامة، والمطالبة بسفر المرأة بلا محرمٍ، وغاب عن مقالاتها ومحاضراتها وتخبطاتها أيُّ مناداة بتحرير الأسيرات في رقّ البغاء، وما حاولت ولو بمكرٍ يسيرٍ أن توجه انتقاداً للبغاء الرسميّ، ولو انتقاداً خجولاً يرفع عنها الحرج من محاسبة التاريخ لها ذات يومٍ، وما ذاك إلّا لانشغالها وصديقاتها بتمزيق الحجاب، وحرقه في الميدان العام الذي أطلقوا عليه فيما بعد اسم (ميدان التحرير).

وكيف لعاقلٍ أن يحسن الظن بسعد زغلول الذي ملك السلطة والجند والإعلام، واختفى دوره عن تحرير المرأة من الرقّ والبغاء الرسمي، واقتصر دوره على إفساد المرأة المصريَّة فقط، واستحب العمى عن معاناة المرأة البغيّ، وتجاهل تصاريح البغاء الممنوحة لها من داخليته، فلم يصلح حال البغي، ولم يمنع تصاريح البغاء، ولا نحسن الظنّ بكلّ من انتقد ولمز الحجاب، في زمنٍ عشّش فيه البغاء الحكومي، وفرّخ فيه الزنى المقنّن.



الحرب على القوامة

يقـول نيازي حتاتة: «إنّ إبعاد الشخص عـن محلّ إقامته المعتاد يضعف من مقاومته، ويسهل الاستحواذ والسيطرة عليه، ولا سيما إذا أصبح موجوداً في منـزل البغاء، والأصل في نشوء هذا النص هو الاتجار بالنساء الذي كان يُعـرف بالرقيق الأبيض إذ كان يقتضي هذا الاتجار نقل النساء من مكانهنّ الأصلـي إلى مكان استخدامهـنّ في البغاء؛ حيث تقطـع الصلة بينهنّ وبين ذويهـنّ، ومن ثم يمكن التسلط عليهـنّ. غير أنّ هذا النص أصبح عامّاً؛ أي يمكن تطبيقه إذا كان الاتجار بالبغاء دولياً أم إقليمياً»[1].

تقـول د. لطيفـة محمد سـالم: «واستفحـل الأمـر في السنـوات الأولى مـن القـرن العشرين، مع انتشار المسـارح والملاهي، وحصـول الفتيات من الطبقات العليا على حريات مطلقة في التردد على تلك الأماكن. وقد خلقت هـذه الظـروف تغيراً كبـيراً في أخـلاق بعض الفتيـات، وساعـد على ذلك ظـروف مصر أثناء الحـرب العالمية الأولى. وقد رَصَـدت هذا التغير بعض الصحـف مثل: الأفـكار، والعفـاف، ووادي النيل، التي تتحـدث عن انتشار التهتك والخلاعة لدرجة قيام بعض الفتيات بالتزين بأفخر الأزياء، وخروج الفتـاة من بيتها حيث شاء لهـا الهوى أن تغازل من يعجبهـا، فإذا ما كانت الإشارة أو الابتسامة، كان الكلام فالموعد فاللقاء»[2].

(١) محمد نيازي حتاته: جرائم البغاء (ص٣٣٠).

(٢) د. لطيفة محمد سالم: مصر في الحرب العالمية الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (ص١٩٩).

وتشير (اللطائف المصورة) إلى انتشار التبرُّج بين الفتيات، وخروجهن على حدود الطاعة الأبوية والعادات القويمة، وساعد على ذلك التبرُّج والتهتُّك انتشارُ البضائع اليابانية الرخيصة، حتى أصبح في مقدور الخادمة أن تتمشى مع سيدتها في هندامهما[1].

ويقول د. نيازي أيضاً: «ولم تعد خطورة استخدامهنَّ لهذا الفرض قاصرةً على حالة انتقالهنَّ من دولة إلى أخرى؛ بل تفشَّى مثل هذا الاستخدام بين المقيمات في داخل الدولة»[2].

هل لفقد الأب صلة بممارسة حرفة البغاء؟

تأتي الإجابة بالإيجاب؛ فوجود الآباء يوفر حصناً يمنع من سقوط الفتيات، ذلك أنَّ الأب بصفةٍ عامةٍ ينفق على الأسرة، ويراقب سلوك أبنائه.

لقد أثبتت الدراسة التي نقدمها أن ٤٠٢ فتاة من بين ستمئة فتاة اللاتي فحصت حالتهنَّ قد توفي آباؤهنَّ، وأنَّ ١٧٤ فقط يعيش آباؤهنَّ، وأنَّ ٥ غير معروفات الأب، وأنَّ ٣ كنَّ من اللقيطات، في حين لم تتأكد حالات ١٥٠ منهنَّ.

فقد الأب أو غيابه يمكن أن يكون له آثاره الخطيرة على البنات، خاصة عندما يفقدنه في سنٍّ صغيرةٍ، فهل لوجود الأم أو عدم وجودها علاقة بسقوط البنت إلى هاوية البغاء؟

وهل هذا يعني أن حكمة الأب أكثر ضرورة من حنان الأم؟

ليس من المستطاع تعليل النتيجة بسهولة، لكن ما يمكن قوله هو أنَّ

---

(١) اللطائف المصورة. في ١٠ يونيو ١٩٢٥م (ص٩). قلت: وهكذا تدأب الحكومات العلمانية على توفير ما يخدم غاياتها المفسدة، وجعلها ميسورة حتى في متناول أيدي الفقراء، بصورة مستغربة لا تنسجم مع تعمُّد تفقير الشعوب الذي تسعى من خلاله إلى تركيعهم، فتفاجأ بصورة متناقضة تجمع غاية الفقر مع إتخام الأسواق بآخر الموضات العارية وأقل الأسعار، وتجمع شدة العوز مع أحدث وسائل الترفيه الجالبة للفجور والإفساد، وما عدا ذلك من متطلبات الشعب فالحكومات العلمانية تتجاهلها تماماً.

(٢) جرائم البغاء (ص٤٣٤).

الأمهـات قـد يكنَّ أكـثر تساهلاً مـن الأب في مراقبة سلوك البنـات، أو قد يكـنَّ أكثر تساهلاً في إصلاح اعوجاجهنَّ، بل إنَّ بعضهنَّ يغرين بناتهنَّ على الفساد؛ ابتغاء الكسب[1].

كذلك فقد أثبت فحص حالة ١٦٠ من أمهات العاهرات أنَّ ٣٥ منهنَّ من المومسـات، و١٢ مديرات منازل للدعارة، و٤٤ مـن سيئات السمعة، ولكنهنَّ لسن عاهرات، و١١ مسجونات في جرائم متنوعة ولم يكن هناك من الأمهات العاديات سوى ٥٨ امرأة[2].

ولعلَّ وجود المحرم، وقوة السلطة الأبوية، هو السبب الحقيقي وراء ندرة البغايـا في الريف، حيث المجتمـع صغير وأفراده معروفـون للجميع، ولذلك فـإنَّ البغيَّ في الريف لا بدَّ أن تكون غريبة عن مجتمع القرية، أما المدن فإنَّ البغـيَّ تستطيـع أن تذوب في زحـام المدينة، خاصة القاهـرة[3]، ومع غياب السلطة الوالدية تمتد المطامع إلى المحارم، وتحوم حولها قلوب أهل الشكوك والريب.



---

(١) د.عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص٧١).

(٢) د.عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص٧٢).

(٣) عمـاد هـلال: البغايا في مصر (صـ٥٤). قلت: وهـذا ما يفسـر اهتمام الحكومـات العلمانية بالوصـول إلى الأريـاف، ومحاولـة اختراق التماسـك الاجتماعي هناك، وبـذل أموال الحكومة لأجـل تكثيف جوانـب الإفساد هناك، وتوليـة مديرين ورؤسـاء يفقهون تلك الغايـة، وينشطون لنشـر الفسـاد سراً، ويتعامون عن معاقبة المجرمين وذوي الانحـلال، والتضييق على من ينشط للإصـلاح، وكلمـا ازداد التدين والتمسـك في منطقة ازداد الغموض وراء سرعة تحللها وسبب تعدد انحرافاتها، ويبقى المجرم لدى العامة مجهولاً، والتحليلات مضطربة.

إحصائيات

ومــن دراسة أجرها نيازي حتاتة علــى ٦٠٠ بغي اتضح له أنَّ ٥٠٦ منهن سبــق لهن الــزواج، واتضح أنَّ ٢٢٣ امرأة منهنَّ تزوجــت في سن ١٦ سنة أو أقــل، واتضح أنَّ ٧٠٪ ممن تزوجن في سنٍّ مبكرة قد تعرضن للطلاق، ومن ثــم احتراف البغاء. ويشــير حتاتة إلى أنَّ الــزواج كان وسيلــةً مهمةً لإيقاع الفتيــات وإجبارهنَّ على البغاء، وكثيرٌ من القواديــن مارسوا هذه الوسيلة، حتى إنَّ أحدهم تزوج ٢٧ مرة. كان يحتفظ بزوجتين فقط يقدمهما للدعارة عاماً أو نصف عام. ثــم يطلقهنَّ ويستبدل بهنَّ غيرهنَّ. وكان حريصاً على الزواج من الفتيات الأبكار، حتى بلغ عدد الأبكار اللاتي تزوجهنَّ ٢٠ فتاة[1].

ولهــذا فــإنَّ خمس اللائي كــنَّ يعملن وقت إجــراء المســح (١٨٥ بغياً أو ٣٩,٤٪ مــن العامــلات) كنَّ يعملن خادمات في المنــازل (خادمات مقيمات أو غســالات يترددن على أكــثر من منزل). في حــين أنَّ قرابة ربعهنَّ (١١٣ بغيــاً، أو ٢٤,١٪ من العاملات) كــنَّ يعملن في أعمالٍ تجاريةٍ، وأكثرهنَّ من البائعات الجائلات، ويتناقص عدد البغايا في المهن الأخرى، فنجد أنَّ (٦٦ بغيــاً، أو ١٤,٠٪ من العاملات) كنَّ يعملــن في أعمالٍ (فنيةٍ)، وأغلبهنَّ من فتيات الكومبارس، أو كنَّ يعملن في صالات الرقص والملاهي الليلية.

ويتناقــص عدد البغايــا اللائي كنَّ يعملن في المهن الأخــرى، فيبلغ عدد مــن كــنَّ يعملن في المصانــع (٣٠ بغياً، أو ٦,٤٪ مــن العاملات)، وعدد من كــنَّ يشتغلن بالحياكــة -سواء لحسابهنَّ الخاصــ أو لحساب الآخرين- ٢٧

---

(١) محمد نيازي حتاتة: ظاهرة البغاء في مدينة القاهرة (ص٨٢-٨٣). البغايا في مصر (ص١٢٨).

بغيـاً أو ٧, ٥٪ من العاملات، وهناك ١٤ بغياً فقط، أو ٩, ٢٪ من العاملات، كنَّ يشتغلن في أعمال التمريض، سواء في المستشفيات أو العيادات الخاصة. وهنـاك قلة من البغايـا (٧ بغايا، أو ٥, ١٪ من العاملات) كنَّ يُدِرن مقاهي ثابتـة أو متنقلـة[١]، ولم يكن يشتغل في أعمالٍ كتابيـةٍ سوى ٦ بغايا فقط، أو ٣, ١٪ مـن العاملات، وثمـة ٢٢ بغياً أو ٧, ٤٪ من العامـلات، كنَّ يعملن في مهـنٍ أخرى مثل بيع تذاكر تبرعـات للجمعيات الخيرية، وتعليم الرقص في صالات الرقص، أو قراءة البخت[٢].

وقـد اتضح أنَّ مـا يقرب من نصـف البغايـا العامـلات (٤٣١ بغياً، أو ٢, ٤٥٪ منهـن) بـدأن بالخدمة المنزليـة، وأنَّ ١٠٥ بغايـا أو ٩, ١٣٪ بدأن بأعمـالٍ تجاريـةٍ، في حين تبلغ نسبـة من بدأن بالمهن الفنيـة ٢, ١٢٪، ومن اشتغلن في المهن الصناعية ٩, ١١٪، ولا يخفى أنَّ طبيعة العمل في هذه المهن تيسـر للإناث تكوين علاقات بالجنـس الآخر، إما بسبب الزمالة، أو تنظيم العمل في المهنة، أو بسبب التعامل مع الجمهور[٣].

ولعـلَّ مـا يدفع أولئك اللائي يَـرِد إليهنَّ دخلٌ من مصـادر أخرى (غير البغاء) إلى ممارسة البغاء، هو أنَّ دخلهنَّ قليلٌ لا يكفي بمطالبهنَّ الكثيرة، ولا يحميهنَّ من إغـراء الدخل الكبير نسبياً الذي توفره ممارسة البغاء، إذ إنَّ أعلـى دخـلٍ شهريٍّ من غير البغـاء لا يزيد كثيراً عن أقـلِّ متوسط دخلٍ شهريٍّ من ممارسة البغاء[٤].

---

(١) المقصـود بالمقاهي المتنقلة العربة التي تحمل أدوات المشروبات لتقديمها للجمهور في زوايا بعض الميادين، أو نواصـي الشـوارع في الأحياء الشعبية، أو أمـام بعض المنشآت التي مـا زال العمال يقومون على عمليات بنائها.

(٢) البغاء في مصر، مسح اجتماعي ودراسة إكلينيكية (ص٢٧-٣٨)؛ البغايا في مصر (ص١٦).

(٣) البغـاء في مصر، مسح اجتماعي ودراسـة إكلينيكية (ص٣٩). قلت: وهذه الأسباب الثلاثة التي جاءت عابرة، وساقها المؤلف عفو الخاطر، هي مما يحرص الإعلام في الحكومات العلمانية على نشـر ثقافته، وتطبيعـه في النفوس، وجعله حضارة وعلامة للمثالية والمدنية والتقدم، ومن امتنع عنه أو احتسب وأنكر عليه فقد جمع طباع التخلف والتشدُّد والرجعية-زعموا-.

(٤) البغاء في مصر، مسح اجتماعي ودراسة إكلينيكية (ص٤٣).

فقـد تبين لنا فيمـا سبق أنَّ ٤٣٤ بغياً، أو ٤١,١٪ من مجموع البغايا، قد اعترفـن بممارستهن البغاء، وعند تصنيـف أعمارهنَّ عند بدء ممارستهنَّ البغـاء يتضـح أنَّ نسبـةً كبيرةً منهـنَّ تقـع أعمارهنَّ بـين الخامسة عشرة والخامسـة والعشريـن. وكلما تقـدَّم العمر، أو صغرت السـن عن الخامسة عشـرة، تناقص عـدد البادئات بممارسة البغاء تناقصـاً ملحوظاً. فقد بلغ عـدد من بـدأن الممارسة في سن أقل من ١٥ سنــة ٤٥ بغياً، أو ٤,١٠٪ ممن اعترفن[1].



(١) البغاء في مصر، مسح اجتماعي ودراسة إكلينيكية (ص٤٩).

البغاء والزواج

ينفرد المجتمع المصريّ بكونه الأكثر صموداً بمناف أهله أمام فرض البغاء الرسميّ مقارنة بغيره من دول العالم الإسلامي، التي ضربت هي الأخرى أمثلة رائعة في الصمود أمام تقنين البغاء الحكومي؛ وأودّ أن ألفت النظر إلى أنّ هذا الصمود بالذات أمام فرض البغاء الرسمي كان أقوى بمراحل وأطول امتداداً من صمود تلك الدول أمام الثالوث الفاجر (تأخير الزواج -ومحاربة تعدد الزوجات- وإلغاء الرقّ). إذ نجح هذا الثالوث ببراعة في رسم مخطط إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، وفي تعهير المصونات العفيفات أضعاف ما نجحت مؤامرة البغاء الرسمي، فالمجتمعات الإسلامية حين جرى فرض البغاء الرسميّ كانت تعجّ بالجواري والإماء، فضعف حينها مسوّغ البغاء ومقارفة الفواحش، فالشابّ إن لم يتزوج حينها ويعدّد الزوجات، فأمامه فرصة الزواج بواحدة، فإن عجز عن الزواج بواحدة، فله من الإماء ما أحلّ الله تعالى، ولكن من غير الوارد في الحسبان في ذلك الوقت أن يقع في الداء القتّال داء الفاحشة والزنى، فبادرت الحكومات العلمانية إلى فرض ذلك الثالوث: فعسّرت أمور النكاح، وسهّلت أسباب الرذيلة والسفاح، وتبرّعت غير مشكورة بإلغاء الرقّ إجباراً على رغم أنوف المالكين: لتنتزع الإماء والجواري من أيديهم وتضعها في أيدي القوادين وملاك بيوت الدعارة، ثم يضطر أولئك المالكون بعد ذلك للبحث عن جواريهم وإمائهم في المباغي، ليتواصلوا معهنّ بالحرام. ثم أسرفت الحكومات العلمانية في الإفحاش فمنعت زواج القاصرات بحجة إنسانيّة مكرورة، ولكنها حين قننت البغاء وفرضته رسمياً لم ترحم براءة

القاصرات، ولم تتعفف تراخيصها عن استغلال براءتهنَّ؛ بل جمعت الخبث والفجور من أطرافه، فمنعت زواجهنَّ من رجل في حلالٍ بحجة أنهنَّ قاصراتٌ، واستباحت أعراضهنَّ لكلِّ الرجال في فجورٍ ورذيلةٍ وامتهانٍ.

كانت الشفقة العلمانية الكاذبة خير مسوغ لمحاربة زواج القاصرة، زاعمين أنَّ السبب وراء شفقتهم هو أنَّها ما تزال صغيرةً، وقد بان كذب دعاواهم في هذه الحقبة المظلمة التي أماطت اللثام عن المكر الكبار، وعما يزعمونه من (حقوق المرأة) والرفق بها، فإذا بها مستباحةُ العرضِ بسبب قراراتهم، وإذا بها زادٌ للرائح والغادي بسبب مؤامراتهم وبسبب مشاريع البغاء والفجور.

إنَّ انتشار بيوت الدعارة سببٌ حتميٌّ في تأخير الزواج، حيث انفلات الشباب، وحيث البديل الأسرع والأقلُّ تكلفةً وثمناً، وهو ما نراه في العالم الإسلاميِّ بسبب كثرة الاختلاط وتسهيل الزنى، ثم تكشير الأنياب بالمطالبة بمنع زواج القاصرات، فكانت النتيجة تردد الشباب على بيوت الدعارة والاستغناء عن الزواج، وانتشار جرائم الفسق وهتك العرض، ولكن هذه المرَّة صار المعتدي على المرأة المسلمة، والذئب الضاري الذي يمزق إهاب الفضيلة ويهيض جناحيها هو أخوها المسلم، وفضحت شمس الصباح الغاية الحقيقية من وراء الشفقة على القاصرات وأنها حرب على الدين، بسلاح العهر والدعارة.

لا يُلام الذئبُ في عدوانه ... إنْ يكُ الراعي عدوَّ الغنمِ

الزواج المبكر درهم وقايةٍ من الاضطرار إلى الفواحش، وشتان بين قرار الدولة العثمانية إجبار الرجال على الزواج وعلى تعدُّد الزوجات، وبين قرار الحكومات العلمانية الذي اضطر الشباب إلى تأخير الزواج، وإلغاء الرقِّ، وتقنين الزنا وتسهيل الفاحشة بالغلمان رسمياً.

نشرته مجلة العروسة في ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٥

الزواج بالنبوت

الارغام على تعدد الزوجات

ذكرنا في عدد سابق من العروسة ان الحكومة التركية قررت ان تفرض الزواج على كل شاب يبلغ الخامسة والعشرين من عمره . على ان سن الزواج الاختياري تبدأ من الثامنة عشرة وتنتهي في الخامسة والعشرين . وقد نشرت الحكومة قانون الزواج التركي وهو يرمي (كما يؤخذ من مواده) الى تكثير النسل بكل الوسائل الممكنة . والغريب في هذا القانون انه يرغم الرجل على الاقتران بزوجتين او اكثر في احوال معينة واليك ترجمة مواده

١ تبدأ مدة الزواج الاختياري من سن ١٨ وتنتهي في سن ٢٥ ومن لم يتزوج في سن الخامسة والعشرين يجبر على الزواج

٢ اذا امتنع رجل عن الزواج بعد بلوغه الخامسة والعشرين بدعوى انه مريض يفحص طبيا فان كان مرضه قابلا للشفاء يؤجل اجباره على الزواج الى ان يبرأ وان كان المرض غير قابل الشفاء يمنع من الزواج

٣ اذا اضطر الرجل الى السفر الى بلد آخر والاقامة به سنتين فاكثر لمهمة او وظيفة او لاي غرض ولم يكن في استطاعته استصحاب زوجته معه وكان قادرا على الزواج مرة ثانية في البلد الآخر فيجب ارغامه عليه واذا انتهت مدة اقامته بالبلد الآخر وجب عليه ان يجمع زوجتيه في مكان واحد

٤ اذا امتنع رجل من الزواج بعد سن ٢٥ بلا عذر شرعي يؤخذ منه بالقوة وبلا محاكمة ربع دخله سواء كان ريع ملكه او ريع تجارته او اجرة صناعته ويوضع في البنك الزراعي لينفق منه على من يريد الزواج من الفقراء

٥ اذا سافر المتزوج من بلدة الى اخرى لاي غرض كان يعامل بمقتضى المادة الثالثة فان لم يكن قادرا على الزواج في البلدة الاخرى يؤخذ منه ١٥ في المئة من ايراداته لتنفق طبقا المادة الرابعة وبعد مضي سنتين يلزم باحضار زوجته معه

٦ كل من لم يتزوج بعد سن ٢٥ يعامل بمقتضى المادة الرابعة ولا يوظف مطلقاً في مصالح الحكومة العمومية والخصوصية ولا ينتخب في هيئة من الهيئات ولا يعهد اليه في امر من الامور وان كان موظفاً يعد من المستعفين

٧ كل من جاوزت سنه الخمسين وكان متزوجاً امرأة واحدة وفي استطاعته مالياً وصحياً ان يتزوج اخرى يكلف الزواج مرة ثانية ليكون مشتركاً في سد حاجة من الحاجات الاجتماعية فاذا اعتذر باسباب غير معقولة يكلف مساعدة اولاد الفقراء والايتام في معيشتهم وتربيتهم من واحد الى ثلاثة حسب استطاعته المالية

وبعد زوال الدولة العثمانية وتلاشي أنظمتها العفيفة، وعنايتها بالزواج، وإجبار الرجال على إحصان النساء، زالت دولة الخلافة الإسلامية، وافتقد الأتـراك رقي الدولة العثمانية في التعامل الأسري، ليذوقوا شراسة أتاتورك وعنف حكمه، وليتجرعوا الاستبداد المهين الذي ظهر منه تجاههم.

إنَّ الـزواج نعمـةٌ مندوبٌ إليها شرعاً، وإنَّ تعـدُّد الزوجات هو الأصل في العلاقـات الزوجية، وحين كان الإسلام مهيمنـاً على دول العالم الإسلامي، كانـت الإماء والجـواري يسهمن في الإعفاف وزيـادة الإنجاب، فالذي يميز

هــذه الأمة المحمدية أنها أمّةٌ مباركةٌ ولودٌ، وأنّ نموها العددي يعوّض أعداد شهدائهــا الأبطال في الجهاد، وهذا ما جعل أعــداء الأمّة يشمرون بخطورة النظام الأسري والاجتماعي الذي تقوم عليه هذه الأمّة، فما كان من الغرب إلا أن صــاغ انتقامــه منها بإبعادها عــن دينها ونبذهــا لشريعة الله تعالى، وكان خير أدواته في ذلك هو وأد العفاف ونشر الدعارة والانحلال الذي يمرُّ بإفساد المرأة، وتعطيل الزواج، ووضع العراقيل أمام نكاح الحليلات، وتسهيل الزنى بالخليلات، وتقليل أعداد المسلمين، وانظر إلى التعداد العام الصادر عــن وزارة الماليــة والاقتصاد في مصر وقت انتشار البغــاء، والذي جاء فيه مــا يأتي: «اتضح من البيانات الخاصة بديانات البغايا أن الأغلبية الساحقة منهــن مسلمات (١٠٣٢ بغياً، أو ٩٨٪ من المجموع)، أما الباقيات، وعددهنَّ ٢٢ بغيــاً فقط، أو ٢٪ من المجمــوع، فكنَّ مسيحيات. وجديــرٌ بالملاحظة أنَّ نسبة المسلمات إلى مجموع المسلمات والمسيحيات في محافظة القاهرة فقط في التعداد العام للسكان لسنة ١٩٤٧م كانت قرابة ٨٧٪»[1].

أدرك الغــرب خطورة الــزواج في أمة الإسلام، وغــدا التنامي السكانيُّ بعبعــاً قادماً يزعج مصالحهم. وهذا ما يســوغ حربهم الشعواء على الزواج وكــثرة الإنجــاب في العالم الإسلامــي. يقول باترك جيه بوكاتــن: «ما تزال أمريــكا وأوروبــا واليابان متقدمة بأجيــال للأمام، ولكن العــالم الإسلامي يتمتــع بشيء قد فقده الغرب، وهو الرغبة في أن يكون لديه أطفال، والإرادة لمتابعة حضارتهم وثقافتهم وعائلاتهم وإيمانهم، ومن الصعب اليوم أن تجد أمــة غربيــة لا يموت فيها السكان المحليون، ومــن الصعب على الفرار نفسه أن تجــد أمَّةً إسلاميــةً لا ينفجر فيها عدد السكان المحليين. قد يكون الغرب تعلَّــمَ ما لا يعرفه الإسلام. ولكــن الإسلام يتذكر ما قد نسيه الغرب: (ليس هنــاك رؤية إلا بالإيمان)[2]، وحقيقةً أصبحَ مُعظَمُ الشُّبَّانِ الآنَ مُضرِباً عن

---

(١) انظر التعداد العام للسكان لسنة ١٩٤٧م، مصلحة الإحصاء والتعداد، وزارة المالية والاقتصاد، القاهرة، ١٩٥٢م (ج١).

(٢) موت الغرب، أثر شيخوخة السكان وموتهم وغزوات المهاجرين على الغرب (ص٣٢٩).

الزَّواجِ؛ لانتشارِ أماكنِ الدَّعارة ووجودها، ولولاها لكانَ الإقدامُ عليه كثيراً، وانتصارُ الفضيلةِ عظيماً، وإليك بعض النصوص الصادرة عن دراساتهم:

«حيثما تنتصر العلمانيَّة، يبدأ السكان بالانكماش والموت»[1].

«كلَّما ازداد الوعي الديني عند شعب؛ سواء كان مسيحيًّا أم مسلماً أم يهوديًّا، كان معدل الولادة عنده أعلى»[2].

«اقتل إيمان الأمَّة، فيتوقف شعبها عن التوالد»[3].

«إنَّ الإنجليز لا ينجبون ما يكفي من الأطفال لإعادة إنتاج أنفسهم، وهذه هي المرَّة الأولى في التاريخ -كما تقول لندن أوبزيرفر- التي يصير فيها سكانٌ محلِّيون رئيسيُّون، طواعية منهم، أقليَّة من غير طريق الحرب أو المجاعة أو المرض»[4].

إن إعلان الحرب على الأسرة هدفٌ علمانيٌّ ظاهرٌ للغافل والمتأمل، وأسلحة الحرب على الزواج كثيرةٌ، تبدأ بإفساد المفاهيم، ثم تبشيع صورة الزواج، مروراً بالحرب على التعدُّد، والتعقيد المرهق للطلاق، وخلق الخصومات بين المرء وأهله، ختاماً بإفساد الجيل الذي يحقق مزيداً من الفساد العلماني حيث يجد المناخ مهيئاً.



(١) موت الغرب، أثر شيخوخة السكان وموتهم وغزوات المهاجرين على الغرب (ص٣٤١).

(٢) موت الغرب، أثر شيخوخة السكان وموتهم وغزوات المهاجرين على الغرب (ص٣٤٠).

(٣) موت الغرب، أثر شيخوخة السكان وموتهم وغزوات المهاجرين على الغرب (ص٣٤٢).

(٤) موت الغرب، أثر شيخوخة السكان وموتهم وغزوات المهاجرين على الغرب (ص٤٦).

البغاء الحكومي وتفقير الشعوب

ظاهـرة الفقر بريئة من جريمة البغاء بـراءة الذئب من دم يوسف، ولا يصـحُّ القول بأنَّ المـرأة الفقيرة سبيلهـا المحتوم أن تتخذ مـن البغاء مهنةً وحرفةً، بل لا بدَّ من توافر استعدادات داخلية لدى المرأة تعطي هذه الجريمة قسطـاً وافراً مـن القبول والرضا، وقـد درج في أمثال العرب مـا يؤكد هذا المعنـى بقولهم: تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها، ولـو كان الفقر سبيلاً للزنى، فضـلاً عـن أن يكون سبيلاً للبغاء، لخافـه المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته، ولنالـه نصيبٌ ضخـمٌ من التحذيـر الشرعي، خصوصاً حـين يرتبط ذلك السبب المزعوم بأشدِّ الفتن وهي النساء، فالقرآن الكريم لم يربط الفاحشة بالفقر مطلقـاً؛ وإنما ربط الفاحشة والمـراودة بمجتمعات الغنى والقصور، حيث إنَّ امرأة العزيز وهي الغنية راودت نبي الله يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو الفقير.

وليـس إلى هنا وحسب؛ بل إنَّ مجتمع الغنى والترف يقدم أنموذجاً آخر مـن دعاة الفاحشة، وهنَّ (نسوة المدينة) صويحبـات امرأة العزيز، ويقدم أنموذجـاً ثالثاً كذلك وهم (عِلية القوم)، والذيـن أشار إليهم يوسف (بواو الجماعة) في دعائه: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾ [يوسف: ٣٣]، فـدلَّ ذلك علـى أن (علية القـوم)، وهم الأغنيـاء، هم الدعـاة الوحيدون للفاحشة في القصة، وهم فقط المطالبون بها.

ولم يتوقف القـرآن الكريم عند هذا وحسب؛ بل أوضح أنهم ليسوا دعاة فاحشـة وكفـى، بل إنهـم يعاقبـون العفيف ويعـادون الطاهـر، ولا مانع أن يسجنوه بضع سنين بجريمة عفافه وامتناعه عن الفاحشة، فالمشهد القرآني

يوضح أنَّ الفقر ليس سبباً للفاحشة، فالفقير يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ استمسك بالعفاف على الرغم من فقره واستعباده، وضرب المثل الأسنى في العفاف والصمود أمام الرذيلة والاستماتة في الفرار منها، وعلى العكس من ذلك أرباب الغنى والثروة؛ كامرأة العزيز والنسوة في المدينة وعلية القوم وهم الأغنياء، ضربوا المثل القبيح في الدعوة إلى الفاحشة والمطالبة بها حتى ولو بالإكراه والسجن.

ثم إنَّ المؤمن يتأمل خوف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته من الغنى، دون أن يخاف علينا من الفقر، ثم إنه أقسم -وهو الصادق المصدوق- أنه يخشى على أمته الغنى وبسط الدنيا والتنافس عليها، دون أن يخشى من الفقر، فقال: «فوالله ما الفقر أخشى عليكم...»، وكانت حياته دليلاً ساطعاً على عدم خوفه من الفقر؛ بأن عاش صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقيراً، هو وزوجاته فقراً دون حدِّ العوز؛ وعاش صحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حياة الفقر حتى ربطوا بطونهم بالحجارة؛ ونال قومه وعشيرته ما نالهم من الفقر، وكانوا حينها على الكفر في حصار الشعب ثلاث سنين حتى أكلوا أوراق الشجر، ومع ذلك لم يؤثر في مرحلة فقرهم حادثة زنى واحدة وقتذاك بسبب ظروف الفقر العصيبة.

وأقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدَّ الرجم على المرأة الغامدية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين زنت، ولم ينظر إلى السبب الماليِّ، ولم يعط اهتمامه لوجود فقرها من عدمه، ولو كان الفقر سبباً معتبراً وحجةً مقنعةً لجرى السؤال عنه.

وقد جمعتني الظروف بأحدهم فجادلني في قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار[1]، ليثبت لي أنَّ الفقر والاحتياج إلى

---

(١) الحديث رواه البخاري ومسلم والشاهد فيه قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وقال الآخر: اللَّهُمَّ كانتْ لي بنتُ عمٍّ، كانت أحبَّ النَّاس إليَّ، فأردتُها عن نفسها، فامتنعتْ منِّي حتَّى ألمَّت بها سَنةٌ من السنين، فجاءتني فأعطيتُها عشرين ومئة دينار على أن تُخلي بيني وبين نفسِها، ففعلتْ، حتَّى إذا قدرتُ عليها قالت: لا أحلّ لك أن تفضَّ الخاتم إلاَّ بحقِّه، فتحرَّجت من الوقوع عليها، فانصرفتُ عنها وهي أحبُّ النَّاس إليَّ، وتركت الذَّهَب الَّذي أعطيتُها، اللَّهُمَّ إن كنتُ فعلت ابتغاء وجهك، فافْرُج عنَّا ما نحن فيه، فانفرجت الصَّخرة غير أنَّهم لا يستطيعون الخروج منها... الحديث".

المــال كان سبباً قوياً في إجبار المرأة على الخضوع للفاحشة، فقلت له: الأمر خلاف ما ذهبت إليه، فالواضح من سياق القصة أنّ ابن عمها (الغني) هو السبــب الرئيس للفاحشة، وهو صاحــب المطالبة المتكررة بالزنى، وهو الذي سمحــت له شهوتــه أن يستغلَّ فقر ابنــة عمه وحاجتها، فــراح يلوي ذراعها بطلــب الفاحشة مقابل أن يتصدَّق عليها بماله، فاحذر أن يخدعك الانطباع الأولي للقصــة، فتظن أنَّ الفقر هــو الدافع للوقوع في الفاحشة، بل الصواب أنَّ الغنى هو الذي يؤدي في بعض أحواله إلى الفاحشة وإلى المحاولة المتكررة للابتزاز، حيث إنَّ الرجل الغني هو الذي ابتدأ بالعرض وهو الذي كرره، وهو الــذي حاول استغلال فقرها، وهو الذي اعــترف بجريمته لله تعالى، وأعلن توبته منها في آخر القصة، فتاب الله عليه، وختاماً انفرجت لهم الصخرة.

إنَّ الدافــع الحقيقــي للفاحشة هو ضعف الإيمــان، وإنَّ المانع من الوقوع فيها هو قوة الإيمان، يتساوى في ذلك الأغنياء والفقراء، فابنة العم الفقيرة المحتاجــة امتنعت من الفاحشة خوفاً مــن الله تعالى حتى اللحظة الأخيرة، ومــا زالت تذكِّــر ابن عمها بالله وتخوفــه من عقوبته، وتقــول: «اتق الله ولا تفضَّ الخــاتم إلا بحقه»، حتــى أيقظت موعظتهــا إيمانه، وأزالــت غشاوة البهيميــة عن قلبــه، فاحتسب الأجر وقام وتركها، وتوقفــت دوافع الفاحشة بتوقف سببها الأصيل وهو الرجل الغني.

وهــذا الــرأي يؤيده د. نيــازي حتاتة: إذ ينقــل في إحــدى دراساته: «أنْ المومســات يجمعن في الغالب بــين مهنتهن (البغاء) ومِهَــنٍ أو حِرَفٍ أخرى بنسبــةٍ عاليــةٍ، وهو ما يبــين إلى أيّ مدى تغلغلت مهنــة (البغاء) في شرائح المجتمــع المصري خلال الفترة موضوع الدراسة. فقد بين الجدول المرفق أنَّ ثلــث المومسات فقــط اقتصرن في معيشتهنَّ على البغــاء، بينما كان لثلثيهنَّ وسائل أخرى للمعيشة بجانب الدعارة»[1].

ويقول د. فخري ميخائيل: «كما أنَّ معظم العاهرات الرسميات في مصر

---

(١) د.عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠-١٩٥١م) (ص٨١).

ينتمين إلى طبقة فقيرة، والنتيجة الطبيعية لذلك هي أنه لا بدَّ من وجود بغاء غير رسمي بين الطبقات المتوسطة والغنية، تسدُّ حاجة الرجال من هاتين الطبقتين، خاصة وأنَّ الوضع الاجتماعي للطرفين لا يسمح بالتواجد في تلك البؤر الحقيرة»[1].



(١) د. فخري ميخائيل فرج: تقرير عن انتشار البغاء والأمراض التناسلية بالقطر المصري وبعض الطرق الممكن اتباعها لمحاربتها، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٢٤م (ص٢٧-٢٨). كتاب البغايا في مصر (ص١٩٠).

وبعد قرن من الزمان

وبعد وقتٍ كلمح البصر أو هو أقرب، رحل ذاك الزمان وانطوى عن الصالحات وعن الطالحات، وانتقل الجميع إلى الدار الآخرة، فالفقيرة العفيفة تعبت وصبرت، وأحصنت فرجها، وستلقى ربَّها لتتقاضى ثمن صبرها من الكريم الأكرم، وكذلك الفقيرة الخبيثة التي باعت عرضها لأجل الفقر رحلت دون أن تصبر أو تحصن فرجها؛ وكانت تختلق لفجورها الأعذار، وسوغت لنفسها الوقوع في الرذيلة، ولو أنها صبرت على الفقر لكان خيراً لها وأعظم بركة، ولكن الشيطان أخذ بناصيتها إلى الفجور والإفساد في أمة محمد ﷺ، فعاشت سنين ثم ماتت لتقابل ربها -سبحانه- وذهب عملها معها، والله أعلم بحالها إلى أيّ مصيرٍ تصير إليه.

وأقسم بالله إنَّ البغيَّ لو صبرت وعفَّت عن فعل الحرام وعن المال الحرام الذي تتقاضاه من البغاء، لفازت بالأموال نفسها، ولكن ستنالها رزقاً حلالاً طيباً، فالله تعالى كتب لكلِّ نفسٍ رزقها الذي ستستوفيه لا محالة، فإن تعجَّلت وأخذته في حرامٍ فات عليها أخذه من حلالٍ، وإن صبرت عن أخذه من حرامٍ أخذته في حلالٍ، وهذا ما وعدنا به النبي ﷺ؛ بل وأقسم على ذلك الصادق المصدوق، كما في الحديث: **«والذي نفس محمد بيده، لن تموت نفسٌ قبل أن تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه في غير طاعة الله، فما عند الله لا يؤخذ إلا بطاعته»**[1]، فالأرزاق من الله تعالى وحده، ولا يمكن بأيِّ حالٍ

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٢٧/١٠)؛ والقضاعي في مسند الشهاب (١٨٥/٢)، رقم (١١٥١)؛

أن تحصل البغيُّ على درهم إلا بإذن الله تعالى، فإن كتب الله لها الرزق، فإنها سوف تناله لا محالة، فليكن اجتهادها على أن تأخذه في حلال.

وحينما شرح المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث، قال كلاماً عظيماً يوضح هذا المعنى، فقال: «إنَّ نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها الذي كتبه لها الملك وهي في بطن أمها، فلا وجه للوله، والتعب، والحرص، والنصب إلا عن شك في الوعد. (وتستوعب رزقها) كذلك، فإنه -سبحانه وتعالى- قسم الرزق، وقدَّره لكلِّ أحدٍ بحسب إرادته، لا يتقدم ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص، بحسب علمه القديم الأزليِّ، ولهذا سُئل حكيمٌ عن الرزق، فقال: «إنْ قُسم فلا تعجل، وإنْ لم يُقسَم فلا تتعب». (فاتقوا الله) أي ثقوا بضمانه، لكنه أمرنا تعبداً بطلبه من حلِّه، فلهذا قال: (وأجملوا في الطلب): بأن تطلبوه بالطرق الجميلة المحلَّلة، بغير كدٍّ، ولا حرص، ولا تهافت على الحرام والشبهات. (ولا يحملنَّ أحدكم استبطاء الرزق): أي حصوله. (أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى لا يُنال ما عنده) من الرزق وغيره (إلا بطاعته)»[1].



وصححه الألباني في (صحيح الجامع)، رقم (٢٠٨٥).

(١) فيض القدير (٢/٤٥٠-٤٥١).

شبهات المطالبين بالبغاء

الجميع يعلن مقته لهذه الفعلة الشنيعة، ولكن البغايا لهنَّ أعذارٌ ومسوغات يزينها الشيطان بهالةٍ برَّاقة، ويضفي الإعلام على فجورهنَّ فيض الرضى والاستحسان، ورغم تعاقب الأعوام، ومرور السنين، فإنَّ أعذار الخبيثات عاشت زمناً أطول من أعمارهنَّ البائسة، وتكررت شبهاتهنَّ قرابة القرنين، روَّج لها التغريب، وأسهم في ترويجها بغية الدفاع عن البغاء وفاجراته، وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]، فقد جمعت عدداً من شبهاتهم، وأعرض أشهرها هنا للرد عليها:

١. شبهة: إلقاء التبعة كاملة على الرجال، وتبرئة البغايا منها:

فالبغي الجانية -من وجهة نظرهم- بريئة، والرجل هو الجاني! وهذه الشبهة قد انطوت على خداعٍ شيطانيٍّ لأنفس الخبيثات وامتدَّت كذلك لأنفس البريئات المتعاطفات مع الرذيلة؛ ولك أن تتخيل مقدار الارتياح في نفوس البغايا والفاجرات حين يأتي من يوهمهنَّ بالبراءة ويقنعهنَّ أن تجاوزاتهنَّ مغفورةٌ، وفواحشهنَّ جاءت من باب الاضطرار؛ تماماً كما يأكل المضطر لحم الميتة، وهكذا تقع الخبيثة في الخديعة، ويتلاشى من قلبها الشعور بالذنب أو الانكسار أو الحياء من الله تعالى حين تبيع عرضها.

إنَّ الناظر في كتاب الله تعالى يجد أنَّ المسؤولية في جريمة الفاحشة مرتبطٌ بالرجل والمرأة، وكلُّ امرئٍ بما كسب رهينٌ؛ بل إنَّ كتاب الله تعالى يأتي بذكر المرأة مقدَّماً على الرجل في ميدان الفاحشة بالذات، ويحمِّلها المسؤولية منفردةً دون إلقاء التبعة على الرجل، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ

﴿وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]، بخلاف تقديم الرجل على المرأة حين الحديث عن نكاح الزناة والزواني؛ حيث قدَّم القرآن الكريم الرجل على المرأة: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ [النور: ٣].

الفاحشة جريمةٌ مشتركةٌ، وحين جاء الحديث عنها كان التقديم من حق النساء، فبدأ الله تعالى الحديث عن المرأة فقال: ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ [النساء: ١٥]، ثم أعقب الحديث بعدها عن حكم المرأة والرجل معاً في مجال الفاحشة، فقال: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا﴾ [النساء: ١٦]، وقل مثل ذلك عن تقديم النساء على الرجال بعد الحديث عن قصة الإفك، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ﴾ [النور: ٢٦].

فالمسؤولية في هذا الإطار تقع على المرأة أولاً؛ لأنَّ انجذاب الرجل إليها أشد من انجذابها هي للرجل، ولذا جاء الأمر لها بالحجاب والقرار في البيت، واختصها الله تعالى بكثير من الأوامر التي جاءت تخاطبها وحسب، دون أن يؤمر بذلك الرجل، فهي أشد الفتن على قلب الرجل، حيث قال النبي ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضرَّ على الرجال من النساء»(١).

٢. شبهة: التماس العذر للبغي بالحاجة والفقر:

سبق الحديث عن الفقر وبراءته من الفاحشة في موضعٍ سابقٍ من الكتاب، وأعاود الإلماح هنا إلى أن عذر الفقر لممارسة البغاء كان وسيلةً لخديعة البسطاء، ولكسب تأييدهم وتطبيلهم للفكرة، مع أنَّ الله تعالى يبين أنَّ الفقر بلاءٌ يجب الصبر عليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، ومن سوَّغ للبغي وقوعها في الفاحشة فعليه لزاماً أن يسوِّغ للمرأة القبيحة الفقيرة وقوعها في جريمة السرقة والسطو؛ بحجة أنَّ النفوس

---

(١) رواه البخاري.

تعافهـا ولا تقبلهـا للفجور، ويلزمـه كذلك أن يسوغ للعجـوز ارتكاب جريمة الاختلاس والتزويـر أو الربـا من أجل الحصـول على المال؛ لعـدم أهليتها للفواحش، أو مناسبتها للبغاء.

ومهمـا تشدَّق المدافعون عن الفاحشـة بحجة فقر المرأة، واحتياجها إلى المـال، فـإنَّ دعاواهم المفسـدة مردودةٌ بما تـؤول إليه طبيعة المـرأة الزانية وأسـيرة البغـي مـن استمـراء الفاحشـة والاعتياد عليهـا، حتى لـو توافر لديهـا كفايتها، واستغنـت بالمال مستقبلاً عن الفجـور، ولعل مصداق ذلك مـا حدث عام ١٩٤٩م في مصـر: «عندما أغلقت الحكومـة المصريَّة منازل البغـاء المرخَّص به نهائياً، وأقامت وزارة الشؤون الاجتماعية مؤسسة (بيت الضيافـة) في طُرَّة: لاستقبال الراغبات في التوبة والاستقامة من المومسات المرخصـات بعد غلق بيوتهنَّ، فإنَّه لم تتقدم لهذه المؤسسة امرأةٌ واحدةٌ من هـؤلاء، واضطرت المؤسسـة أخيراً إلى غلق أبوابها. وربمـا كان ذلك راجعاً لكونهـنَّ من محترفات البغاء لسنوات طويلـة، وأنَّ نفوسهنَّ لم تعد مستعدةً لقبول أيِّ عملٍ آخر»[1].

تقـول نجيَّـة إسحـاق: «إنَّ النظريـة الاقتصاديـة في تفسـير البغاء قد تطـورت، فبعـد أن كان الافتراض الأساسي الذي تقوم عليه هـو أنَّ البغايا يُجـبرن على ممارسـة البغاء تحـت ضغط الفقـر والحاجـة إلى متطلبات الحياة الأساسية، وأنه لا بديل لبغائهنَّ سوى الجوع، تحوَّل الأمر وحلَّ محله الافتراض الذي يـرى أنَّ الحاجة لوسائل الترف والرفاهية والبذخ والكسب الوفير هو الدافع إلى البغاء.

تلـك هي أهـم الآراء التي تأكَّد من خلالهـا دور العوامل الاقتصادية في تفسير البغاء، ويؤخذ عليها عدة تحفظات؛ أهمها:

أ) أثبتت الدراسات التي قام بها العديد من الباحثين أن كثيراً من النساء

---

(١) جرائم البغاء (ص٢٤٩).

لا يصبحــن بغايا لأسبــاب اقتصادية، إذ إنهنَّ قــادرات بوسائل أخرى على الحصــول على مستــوى معيشي مناسبٍ، وأنَّ هــذا يفضل بكثير ممارستهنَّ لسلوك يتنافى مع اعتبارات وقيم المجتمع.

ب) يترتب على الاقتصار على العوامل الاقتصادية أن يصبح من الممكن أن تتحــول جميع النساء اللائي لديهنَّ ضغوط اقتصادية أو رغبة في مستوى معيشــي أفضل إلى بغايــا، ولكننا نرى أنَّ كثيرات ممــن يعانين من الحاجة الاقتصادية لا يتحوَّلن إلى بغايا»[1].

٣. شبهة: المطالبة بالبغاء العلني من أجل تقليل البغاء السري:

«المدافعون عــن البغاء الرسمي المعلن يعللون ضــرورة البغاء بأنَّه السور الــذي يحمي العائلــة، والحارس الــذي يدافع عــن الآداب العامــة، ويحمي أعراضــ العفيفــات، أو هــو المجرى الآمن الــذي يخفِّف عــدوان الشباب أو محــاولات المساس بشــرف المتزوجات، ووصفــوا البغايا أنَّهــنَّ البوتقة التي تُصْهَــرُ فيهــا خطايا الرجــال، وأنهنَّ حمــاة الفضيلة، وقد صــور بلزاك في أحــد مؤلفاته كيف تضحي البغايا للإبقاء علــى النساء الأخريات، ولحماية العائلات الشريفة، كما وصفهنَّ شوبنهاور بأنَّهنَّ الضحايا البشرية في سبيل تجنُّب تعدد الزوجات»[2].

وقد شاعت هــذه الشبهة، وباتت حجةً صلبةً دامغةً في عصرهم آنذاك، وبدلاً مــن أن تكون هذه الشبهة أضحوكة وتهريجاً تنبذه العقول نبذ الحذاء البــالي، أصبحت حجةً متداولــةً تقفز على أفواه الأدبــاء والمفكرين وأرباب الشــأن، فإن كانت هــذه الشبهة ذات وجاهةٍ وقبولٍ عنــد أولئك القوم وعند حكوماتهم بحجَّــة أنَّ الجرائم المعلنة تقلل شيوع الجرائم السرية، فإنَّ على تلــك الحكومات أن تقبل أيضاً بهــذه الحجَّة في التنظيمات السريَّة المسلَّحة،

---

(١) نجية إسحاق عبد الله محمد: سيكولوجية البغاء، دراسة نظرية وميدانية (ص٥٣).

(٢) محمد رجب بيومي (ص٢٧٤-٢٧٥)؛ كتاب البغايا في مصر (ص٢٢٤).

فتفتح لها المجال علناً، بحجَّة أنَّ الإرهاب العلني يقلِّل شيوع الإرهاب السري ضد الدولة، وعلى تلك الحكومات أيضاً أن تفسح المجال لبيع المخدِّرات والمسكرات علانيةً بحجَّة تقليل بيعها سراً، وبدلاً من محاربة السطو ومنع السرقات التي تحدث في الخفاء وجنح الليل، فعليها أن تسمح بكل ذلك علانيةً؛ كي لا يزداد السطو سراً، وبدلاً من التحفظ من نشر فضائح الملوك والرؤساء التي يجري تداولها في السرِّ، فعلى الحكومات -تحت هذه الحجة- أن تسمح بتداولها علانية تفادياً لشيوعها سراً، وصدق من قال: «إنَّ الجنون فنون».

وهذه الشبهة مردودةٌ كذلك بوجود الزواج الذي هو البديل الفطري الصحيح، أو الصوم وهو البديل الآخر، وبإقامة الحدود الشرعية الرادعة، وبتشديد المراقبة، ويقظة المجتمع، والتنفير المتواصل، وإشاعة الإيمان الذي يخرج لنا نماذج تقتفي سيرة يوسف بن يعقوب عليه السلام.

٤. شبهة: إلغاء البغاء الرسمي سيتسبب في ثورةٍ شعبيةٍ:

تزعم الحكومات أنها تسعى لإبقاء الحال كما هو نظراً لتلك الاعتبارات! وهذا التخويف المزعوم ينفيه أنَّ الحكومات في بداية فرض البغاء الرسمي تجاهلت مشاعر الناس وتجاهلت ردود الأفعال الشعبية، فلم يكن في حسبان الحكومات أو حساباتها ردود أفعال الشعب أو غضب الجماهير المعترضة، وكما يذكر عبد القادر عودة: «يوم أباحت الحكومة المصريَّة المسلمة الخمر، لم يكن في مصر واحدٌ في كلِّ مئة يعرف ما هي الخمر، ولم يكن في مصر كلِّها شخصٌ واحدٌ يطالب بإباحة الخمر، أو يشكو من تحريمها»[1]، علماً أن المجتمعات طوال عهد فرض البغاء كانت مستاءة منه، وتتطلع إلى الخلاص عاجلاً غير آجلٍ، ومن دواعي سرورها وفرحها أن تخلو البلاد من هذا الخنجر في خاصرتها، ومما يؤكد فرحهم وسعيهم للخلاص من البغاء ما

(١) الإسلام وأوضاعنا القانونية (ص٢٣).

حصل من بعض المحافظات حين بادرت بإلغاء البغاء بصورةٍ مفاجئةٍ دون وجود هذا التدرج المزعوم، كما جرى من مجلس فاقوس المحلي ومجلس بلبيس المحلي ومجلس ملوى المحلي، ثم أخذت المجالس المحلية تتبارى في هذا المضمار، وتقول مجلة الفتح متفائلة بقبول الناس لهذه البادرة: «ونظنُّ أنَّه سوف لا يمضي غير زمنٍ قليل حتى لا يبقى أثر للبغاء الرسمي»، وبين يديك بقية المقال:

تصدر يوم الخميس من كل أسبوع

٢٥ صفر ١٣٤٥ — ٢ سبتمبر ١٩٢٦

الحملة على البغاء

عقب تقرير مجلس فاقوس المحلي ومجلس بلبيس المحلي ومجلس ملوى المحلي الغاء البغاء وسيباً من بلاد تلك المراكز المصرية أخذت المجالس المحلية تتبارى في هذا المضمار فقرر مجلس طنطا المحلي منذ يومين الغاء البغاء من مدينة طنطا

واقترح محمود بك حنطور عضو مجلس دسوق المحلي على ذلك المجلس الغاء البغاء وسينظر المجلس في ذلك بأول جلسة

ووافق مجلس السنبلاوين المحلي بالاجماع على اقتراح الغاء البغاء

ولن وزارة الداخلية كلما أبلغتها المجالس المحلية قراراتها من هذا القبيل تبادر الى اقرارها وتأمر بتنفيذها

ونظن أنه سوف لا يمضي غير زمن قليل حتى لا يبقى أثر البغاء الرسمي الا في بضع مدائن كبرى من المملكة المصرية فيضطر الاجانب الى عدم الوقوف في طريق إجابة الجمهور الاسلامي في مصر الى رغبته في تطهير هذه البلاد من هذا الوث المزري بها

٥. شبهة: إنّ البغاء آفة مستأصلة من القدم فلا يمكن إلغاؤه بقرار:

العادات تمحوها عادات، والطباع المتأصلة يكون اقتلاعها بطباعٍ أخرى، وهكذا فطر الله تعالى بني آدم؛ يعيشون ولديهم الاستعداد للتقلُّب الدؤوب، ولو سايرنا أصحاب هذه الشبهة وافترضنا جدلاً قبول هذه الذريعة، وللاستسلام أمام شبهة أن البغاء آفةٌ بشريةٌ قديمةٌ، فإنه يلزمنا إهمال جميع الرذائل وجميع الجرائم بالحجة نفسها؛ حيث إنَّ كثيراً من الجرائم موجودةٌ في حياة البشر منذ القدم، ولكن من الخيانة للمريض أن نسكت عن أمراضه المزمنة حتى يحالفه الموت دون السعي إلى علاجه؛ بحجة أن أمراضه تلك هي أمراضٌ مستأصلة منذ القدم. فجريمة القتل جريمةٌ قديمةٌ من لدن قابيل حين قتل أخاه هابيل، ومثلها جريمة السرقة وشرب الخمور فقد رافقت الإنسان منذ فجر البشرية، وقس على ذلك طبائع السوء التي تشملها طبيعة الإنسان، فهو ظلومٌ وجهولٌ، ولربه كنودٌ، وهو يطغى أن رآه استغنى، وغيرها من الخصال السيئة التي ذكرها القرآن الكريم عنه، وزامنته منذ هبط إلى الأرض، والاحتجاج بهذه الشبهة يستلزم التوقف عن إيجاد الحلول لكلِّ إشكالياته الفطرية قبل إشكالياته المكتسبة، وهذا ما لم يقله عاقل، فالمنطق السليم يوجب أن تتضاعف الجهود بقدر انتشار الجرم حتى يتم النصر للفضيلة في النهاية.



موقف العلماء.. وموقفنا منهم

إنَّ الذين عاصروا سرقة القرامطة للحجر الأسود من علماء الأمة، كانوا منهمكين في تعليم الناس أمور العبادات كصفة الحج والعمرة، وكانوا في تصنيفهم لكتب الفقه يقولون: «ثمَّ يستلم الحجر الأسود إن كان..»[1]؛ أي: «إن كان الحجر الأسود موجوداً في بنيان الكعبة وقتها»، ورغم القسوة على النفس في هذا اللفظ، ومرارة الضيم في معناها فإنَّ العلماء لم يعلنوا النفير للجهاد في سبيل الله، من أجل المطالبة بإرجاع الحجر الأسود، وانتزاعه من أيدي القرامطة الذين سرقوه، ولا أدري كيف ساغ لهم الحديث وقتها في (سنَّة من السنن) وهي أداء العمرة، وساغ الصمت لكثيرٍ منهم عن (واجب من الواجبات) وهو الجهاد في سبيل الله!

ولو سألنا أولئك العلماء قبل سرقة الحجر الأسود: ما قولكم للحاجِّ والمعتمر لو أراد أن يستلم الحجر الأسود ولكن لم يجده في موضعه من الكعبة؛ لأنَّ القرامطة قتلوا الحجيج وسرقوا الحجر الأسود إلى البحرين،

---

(١) اقتلع القرامطة الحجر الأسود (في أحداث سنة ٣١٧هـ)، وحملوه إلى البحرين؛ ثم نقلوه بعد ذلك إلى الكوفة (كما في الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٢٩٠-٢٩١)، وبقي عندهم قرابة اثنتين وعشرين سنة، وقد ردَّه بعد ذلك من الكوفة إلى مكة أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حيي النيسابوري شيخ نيسابور في عصره، وأحد العباد المجتهدين المتوفى سنة (٣٦٢هـ).

ولهذا؛ حين ألف الإمام الخرقي -رحمه الله تعالى- (المتوفى سنة ٣٣٤هـ) مختصره في الفقه في تلك الأيام العصيبة، قال حين جاء على ذكر مناسك الحج (ثم أتى الحجر الأسود -إن كان- فاستلمه(، قال صاحب المغني (٣/٣٧٠):« وقول الخرقي (إن كان) يعني إن كان الحجر في موضعه لم يُذهب به كما ذهبت به القرامطة حين ظهروا على مكة».

فما الواجب في حق المعتمر حينها؟ إنَّ المتوقع من العلماء أن يصرخوا وقتها رافضين معارضين لجرأة السؤال ولو كان محض خيالٍ.

العالم الشرعيُّ بشرٌ ممن خلق الله، ولديه قابلية للتأثر بالهزيمة السياسية، أو ضعف الوازع الدينيِّ، والمستوى الأخلاقي، وتراجع الغيرة في قلوب الناس، ومن طبع العوام أن يقتفوا خُطا العلماء دون أن يدركوا الفارق بين صلاح دينهم وتأثير فساد البيئة عليهم وعلى فتاويهم، فربما ضعف لهيب الغيرة في قلب أحدهم، فراح ذلك العالم يصف الغيورين بالمبالغة والتشدد، ويتهمهم بالإفراط المذموم البعيد عن الانضباط والوسطية والاعتدال.

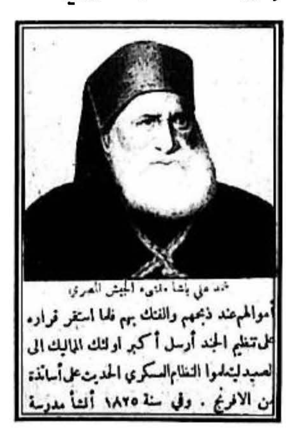
إنَّ الله تعالى أمرنا أن نُخضِع كلام الناس ومستوى مطالباتهم لميزان الشرع الرباني المستلهم من الوحيين: (قال الله، قال الرسول ﷺ)، لا أن نمنح التسليم المطلق لقول العالم فلانٍ أو موقفه الذي اجتهد فيه فخالف كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فربما تأثَّر ذلك العالم بانفتاح عصره أو قربه من السلاطين، أو بالهزيمة الروحيَّة التي تكتنفه، أو ربما لانحرافه بعد صلاحه وبيعه لدينه بثمنٍ قليلٍ.

إنَّ مرحلة تقنين البغاء شهدت صمتاً رهيباً من قطاعٍ كبيرٍ من العلماء، والعجيب أنَّ صمتهم لم يكن شاملاً لتفاصيل حياتهم، بل كان لهم الحضور البهيُّ والصوت العالي في صولات وجولات ومؤلفات تزامنت مع ذبح الأعراض وهتك المحارم واستحلال الرذيلة التي غابت آثارهم غياباً تاماً عنها -إلا من رحم الله، وقليلٌ ما هم-، ولذا فيصدق في كثيرٍ من علماء اليوم ما وصف به محمود شاكر علماء الأزهر الكبار الذين صمتوا عن عدوان نابليون وإفساده، وصفهم بـ(المشايخ المدَجَّنين). ونقل رسالة نابليون إلى كليبر كبش الفداء يقول فيها: «يجب أن تحذر روح التعصُّب وتنوِّمها، إلى أن تتمكَّن من استئصالها، إذا حُزت ثقة كبار مشايخ القاهرة، فإنَّك تجمع حولك أفكار مصر بأجمعها، وأفكار كلِّ زعيمٍ من زعماء الشعب، لا شيء أقل خطراً من المشايخ الذين يرهبون القتال ولا يعرفون طرقه، ولكنهم مثل

القسيسين يوحون بالتعصب دون أن يكونوا في أنفسهم متعصبين»، حتى قال: «وموقف المشايخ الكبار له تفسيرٌ ليس هذا مكانه الآن، ولكنَّهم ضعفوا، وجبنوا، وأخطؤوا على كلِّ حالٍ»[1].

ولمحمد جلال كشك تفسيرٌ مقنعٌ لهذه المشكلة، يتمثَّل في احتواء الاستعمار لعلماء الدولة التي يستعمرونها بصورةٍ ماكرةٍ، تجعلهم مكبَّلي الأفواه والأيدي، كما يصف حال الأزهر وسيطرة نابليون عليه فيقول: «كان رفض الوجود الغربي على أرضنا رفضاً عاماً شاملاً وعنيفاً، وكان لا بدَّ أن تُصفَّى قيادة الأزهر؛ لا عن طريق احتلاله بالخيل، ولا بتسمير أبوابه، بل بتسمير باب قيادته الفكريَّة للأمة؛ بتغريب المجتمع من حوله حتى تقطع جذوره أو تذوي، ويبدو نشازاً متخلِّفاً، بل ويصبح رمزاً (للتخلُّف)، ومثاراً للسخرية والتندر.

هذه هي المهمة التي تولاها بنجاح رجل الغرب وممثل مصالحه (محمد علي باشا) الملقب (بالكبير)، مؤسس مصر (الحديثة) وباعث (نهضتها)، ومسلِّمها فريسةً عاجزةً إلى الاستعمار الغربي.


محمد علي باشا منشيء الجيش المصري

أموالهم عند ذبحهم والفتك بهم فلما استقر قراره
على تنظيم الجند أرسل أكبر اولئك المماليك الى
الصعيد ليتعلموا النظام العسكري الحديث على أساتذة
من الافرنج . وفي سنة ١٨٢٥ أنشأ مدرسة

(١) محمود شاكر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا (ص١٠٨).

وعندما جاء نابليون بجيشه، واجه شيوخ الأزهر: القيادة الشرعية والواقعية للأمة، لذلك كانت سنواته الثلاث هي سنوات حرب متصلة، ومقاومة لا تهدأ، ولكن بعد ثمانين عاماً من تحضير وتمدين وتغريب أسرة (محمد علي) لمصر، انتقلت القيادة نهائياً من الأزهر، وأصبحت في هذه المرَّة في الجيش... ونَعِمَ الإنجليز بهدوءٍ دام أكثر من ربع قرنٍ، لأنَّ الأمة كانت بلا قيادةٍ، لأنَّ قيادتها الطبيعية كانت قد نُحِّيت وصُفِّيت؛ لأنَّ عملية التغريب كانت قد تمت بنجاح، وأصبحت البلاد ناضجةً لكي يتناولها السيد الغربي، وقد كان[1].

مجلة العروسة في ٢ يناير سنة ١٩٣٥

الخوف على سمعة مصر وجرى هذا القلم ينبه المسئولين بوزارة الداخلية الى ضرورة اتخاذ الحيطة مع هذه الشركة من الآن . . . فقد سبق أن حضر الينا في عهد الطغيان المنقرض بعض شركات سينمائية ساعدتها حكومة الفساد عهدئذ على التقاط مناظر فاسدة منحطة نهشت بها سمعة البلاد ومرغت كرامتها في الطين والأوحال . . ونذكر من ذلك ان احدى تلك الشركات رمزت الى « شيخ الاسلام » برجل حقير هائل العمامة مسبل الزر يمتطي عربة كارو ويعقد قران النساء على الرجال بالجملة . . !

مما نرناله واهبنا بشيخ الأزهر المحترم أن يتقدم ، ولكن الشيخ تراجع واختفى وأحجم ودمدم . . . واظهر تخاذله المعلوم امام كل ما يسيء العربية والاسلام

لا لزوم لتقليب القديم . . ونحن الآن حيال داهية مقبلة سوف تنقض علينا لتعيد الدور الخسيس الذي مثله المستر جاك هولبرت بطل فلم الجمال قادمة والفصل البارد الذي لعبته شركة اوفا . . .

---

(١) محمد جلال كشك: ودخلت الخيل الأزهر (ص١٧).

وقد كتب الشيخ محمود أبو العيون إلى محبّ الدين الخطيب وصحيفته (الفتح) خطاباً فيه من الصراحة والحزن على صمت العلماء، ما جعل محب الدين الخطيب يتردد كثيراً في نشر الخطاب، كما يقوله هو عن نفسه في المجلة، وجاء في ذلك الخطاب: «حضرة الأستاذ الجليل السيد محب الدين الخطيب، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فإذا كان أداء الواجب يعتد فضيلة ترفع من قدر صاحبها، فما أجدرك بأن تُرفع فوق الهامات، وأن يُضرب بك المثل الأعلى في الاضطلاع بأقدس واجب تقاصرت دونه أعناق العلماء وهم كُثُر؛ ذلك الواجب هو خدمة الدين الحنيف. والذود عنه ذياداً حقاً أحوج ما يكون إليه في ذلك المعترك المادي الصاخب.

رفع المبطلون وأهل الزيغ والهوى رؤوسهم، وتطاولت أعناقهم، وتبوؤوا بأيديهم كبراً وفخراً...»، إلى أن قال: «خلا الجو لهؤلاء، ونام العلماء... ذلك لأنَّ الغيرة على الفضيلة، والذياد عن الدين لم يكونا متوفرين في النفوس، ولم يكونا خُلُقين فينا، فما أجدر ألا يثبتا إلا كما يثبت الزبد، ولا يلبثا إلَّا كما يلبث سحاب الصيف.

إن الحرب بين الدين والإلحاد أصبحت نظامية، وإنَّ الملحدين دائبون على نظام صفوفهم، وتعبئة جيوشهم،... أما نحن -وقاك الله السوء- فلا صفوف منظَّمة ولا جيوش معبأة، ولا قوامة ولا حياة.

كُتب علينا القعود، ولزمنا الجمود، فلا جرم أن يثور الناس ويجأروا بالعيب فينا، والحطّ من كرامتنا، ولكن هل بقيت لنا كرامةٌ،... الدين يا سيدي أصبح غريباً يندب حظه ويشكو أهله، ويودِّع مجده ويدعو ثبوراً، فإذا كنت أيها السيد تقارع خصوم الدين، فلست واجداً من أهله ما يحمي ظهرك ويشدُّ عضدك، فجاهد ما استطعت، وكن قوياً بربك، صائلاً بإيمانك، مؤمناً بوعد الله ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]»[1].

---

(١) مجلة الفتح، العدد (١٤)، ٩ ربيع الأول ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م.

ولم يكن الشيخ أبو العيون هو الوحيد الذي شكا في ذلك العهد من خور العلماء وخرسهم عن الصدع بالحق؛ فها هي الشكوى نفسها يعلنها عبد الباقي سرور نعيم حين يستصرخ العلماء بلهجة شديدة فيقول: «يا حضرات العلماء.. كنتم ورثة الأنبياء، وسادة الحكماء، ومرجع الكبراء، وموضع ثقة الأمراء، وقادة الأمم، ومصابيح الظلم، عندما كنتم من ذوي النظر البعيد، والرأي السديد»، حتى قال: «وأما اليوم -وما أدراك ما اليوم- فأنانيةٌ ممقوتةٌ، وفرقةٌ وانقسامٌ، وتحاسدٌ وخصامٌ، وعملٌ لأشخاصكم لا لدينكم وربكم، فشُغلتم بذلك عما يدبره أعداء الدين للدين، ويكيد به المارقون من الملحدين لهذه الأمة التي ضيعتموها فضيعتكم، ويوشك أن يجتاحكم ذلك العدو الذي لا يجد سبيلاً إلى ما يريد من الإباحة المطلقة، إلا أن يبيد خضراءكم ويستأصل شأفتكم وأنتم ساهون لاهون، وكأنكم نسيتم الله فأنساكم أنفسكم.

فيا قوم إن لم تعملوا لدينكم فاعملوا لدنياكم، فإنه يُراد بكم وبالدين في أشخاصكم -واللهِ- أمرٌ عظيمٌ، ومن لم تنبهه الحوادث وتوقظه الكوارث فهو سائر إلى الفناء غير صالح للبقاء»[1].

إنَّ احتساب الثلَّة المدافعة عن المحارم حينها كان شاهداً على انفرادهم بالذود عن نساء الأمة وأعراض المسلمات في تلك الحقبة، حيث انبرت تلك الفرقة المصطفاة من العلماء والأخيار، وصدعت بما أوجبه الله عليهم تجاه الذبِّ عن الأعراض، كالشيخ محمود أبو العيون وعبد الله النديم ومحب الدين الخطيب وآخرون، وكان لقربهم من عصر الخلافة والتمكين الأثر الواضح في نخوتهم، فهم ما زالوا يحملون في كيانهم اعتزاز المنافِح لا تبعية الذليل، وغيرتهم على الأمَّة تجاوزت غيرتهم على الأوطان، وهذا هو الشيخ محمود أبو العيون يشكو بثَّه وحزنه إلى الله ويقول: «استر وجهك يا صاح، فحسبك من شرٍّ سماعه، فلعمري لا يسمع ذلك القول كريمٌ إلا استغشى ثوبه

---

(١) مجلة الفتح العدد (٩)، ٤ صفر ١٣٤٥هـ/١٢ أغسطس ١٩٢٦م.

وغطَّى وجهه، وتمنَّى لو انفرجت الأرضُ تحت قدميه فابتلعته، أو مادت به فأهلكته»[1].

إنَّ الأسى الذي يكسو حروفه وأسطر كلامه يجعلك تتوهم أنَّ الشيخ أبو العيون يكتب ما يكتب وهو يمزِّق من شرايينه؛ ليخطَّ المعنى الذي يمور بخاطره، مع أنَّ الوثائق التي وصلتنا عن زمانه تدلُّ على أنَّ احتشام النساء أوفر من احتشام نسائنا اليوم، وأنَّ نسبة الفساد وانتشار الرذيلة في وقته أقلُّ عشرات المرات من انحلال نسائنا وانتشار الرذيلة في عصرهنَّ، ومع ذلك لا نرى ألسنة العلماء اليوم تردد ولو شطراً من كلماته التي قالها، فضلاً عن أن تجد كتاباً تخطه يمينٌ تنبض في شرايينها غيرةٌ كغيرته.

لامستْ أسماعهمْ لكنَّها   لم تلامسْ نخوةَ المعتصمِ

وتأمل بناظريك كلَّ بلدٍ إسلاميٍ حلَّ فيه البغاء الرسميُّ، وانتهك فيه شرف المسلمات بقوة النظام؛ لتعتريك الدهشة من علماء ذلك البلد وصمتهم عن الكارثة؛ حين علت أبصارهم غشاوة، وارتضوا لأنفسهم مغبَّة الجمع بين خطيئتين؛ خطيئة الصمت عن بيان الحق للناس وإنكار المنكر، والخطيئة الأخرى أن يورث صمتهم تطبيع المنكرات فيصبح الحق باطلاً والباطل حقاً، وأن يصبحوا -بصورةٍ غير مباشرةٍ- أداةً لشرعنة الفجور والفسق، حيث إنَّ بقاءهم على تلك الحال يؤكد للعامَّة شرعيَّة حكوماتهم، فإذا ما نطقوا وجدناهم يسبغون الألقاب المتدينة على حاكميهم ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤].

وأعجز عن إحسان الظن بعالمٍ شرعيٍّ يشدُّ رحاله شرقاً وغرباً بهدف الاستجمام، ويسرج خيله مهاجراً إلى بلادٍ مسلمةٍ ابتليت بتقنين الرذيلة، واستباحة أعراض أخواته المسلمات، ثم لا ترى إنكاره لتلك الكارثة، ولو

---

(١) صفحة ذهبية - آراء وزراء الدولة المصرية في البغاء وآراء رجال مسؤولين وأمير من كبار الأمراء (ص٢).

بتمعّر وجهه على أقلّ الأحوال، فضلاً عن أن يغصّ بطعامه، أو يتجرّع شرابه فلا يكاد يسيغه، بل يمرّ على المصيبة مبتسم الثغر، يرفل برغد العيش، وطيب اللحظات في الأجواء والطبيعة الخلابة، التي يقضّيها مع زوجه وأولاده، قد اكتنفه البرود وعدم الاكتراث، أمام أعظم انتهاك تاريخيٌّ للأعراض، فإذا ما أنكرت صمته عن هتك الأعراض، راح يلتمس لنفسه المعاذير ويردد: «الله المستعان هذا مما عمت به البلوى».

فأين علماء الوهن والصمت عن صرخة الشيخ أبو العيون حين قال: «ها إنّ ذئاب الأعراض ومناسر الفي تجوس خلال الديار، وتختطف كل طفلة ومعصرٍ، وتنهل من كرامة الأمة وتعلّ، ويد العدالة لا تصل إليهم، وأحكامُ القضاء لا تنزل بهم، فهل مات الإحساس وغاض الحياء وفقد الشعور؟!

فإن أنتمْ لم تغضبوا بعد هذه فكونوا نساءً لا تغبُّ من الكحلِ»

إلى أن قال: «أوّاه لقد شقيت بنا أبناؤنا، وستشقى بنا -إن لم يتداركنا الله- أحفادنا وذرارينا، وحتى الأجنّة في بطون أمهاتنا»[1].

وإنّ علماءنا الذين أتوا بعد الشيخ أبي العيون رأوا من الفجور والبغي على الأعراض أعظم مما رآه، ولكن تغافل أغلبهم عن الكتابة في هذا الموضوع العظيم، ولم يصعدوا المنابر لينطلقوا بكلامٍ شبيهٍ بقوله، ولم يصنعوا كصنيعه في مناصحة حكوماتهم، ولم يطيلوا النَّفَس ويواصلوا الإنكار.

بل إنّ صمت العلماء أضعف شعيرة الاحتساب لدى العوام؛ لأنهم هم القدوات وقلب المجتمع النابض، حتى تجاوز الإفحاش مداه، فاستحلّت المساجد لتؤجرها على دور البغاء بموافقة الأوقاف ومباركتها وتأييدها بكلّ أسف، وهذا ما ذكرته د. لطيفة محمد سالم حيث تقول: «وكثير من الكرخانات كانت ملكاً للعايقات، ولكن بعضها كان مستأجراً، ولكن الغريب

---

(١) صفحة ذهبية - آراء وزراء الدولة المصرية في البغاء وآراء رجال مسؤولين وأمير من كبار الأمراء (ص٢).

أن نجد أن بعض هذه الكرخانات كانت مستأجرة من وزارة الأوقاف، فلقد أشارت جريدة (اللطائف المصورة) في عام ١٩٣٥م، إلى أن كثيراً من دور البغاء أصلها أوقاف خيرية إسلامية تابعة لوزارة الأوقاف المصرية، كذلك بعضها أوقاف خيرية مسيحية تابعة للبطركخانة القبطية، بل وهنالك أيضاً أوقاف تابعة لحاخام اليهود. وكانت هذه المسألة قد أثيرت على صفحات الجرائد، وقد حاول بعض أنصار وزارة الأوقاف الدفاع عنها، فراح ينشر مقالاً يقول فيه: إنَّ الوزارة مضطرَّة إلى ذلك بحكم القانون، فهي تشرف على أعيانٍ كائنةٍ بهذا الحيِّ الذي لا يسكنه غير العاهرات، وكلُّ بيوته ودكاكينه تؤجر للعاهرات وبيع الخمور، فهل يريد لانمو الوزارة أن تؤجر تلك الأعيان التي يعيش من إيرادها ألوف الناس؟ أو يريد منها أن تزور في عقود الإيجار وتقول: إنها أجَّرتها للوعظ والإرشاد والعبادة؟»[1].

«وتشير الجريدة إلى أنه قد صدر مؤخراً قرار لوزير الأوقاف بإخلاء المنازل المؤجرة للبغايا، وألّا تؤجر في المستقبل لتكون ماخور فجورٍ وفسقٍ، ولو بقيت خالية، وتأمل الجريدة ألّا يكون

تأجير الأوقاف للدعارة

أذاعت وزارة الأوقاف المنشور الآتي على مأموريها:

تملك الوزارة أماكن في الجهات المعدة للدعارة، ولا بد أن يتقدم لتأجيرها من يعد استعمالها لهذا الغرض، وحيث أن الوزارة لا توافق على استغلال هذه الأعيان من هذا الطريق فيجب الامتناع في مثل هذه الأحوال من تأجير هذه الأماكن لمثل هذه الأغراض وفي الوقت نفسه يجب رعاية لمصلحة الوقف التخلص منها بطريق الاستبدال حتى يمكن شراء أعيان أخرى بمال البدل يمكن استثمارها بالطرق المشروعة

مجلة الفتح العدد ٤١٥ جمادى الآخرة ١٣٥٣ هـ

(١) د. لطيفة محمد سالم، مصر الحرب العالمية الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (ص٢٠٢). و(العايقات) ومفردها (عايقة) هن النسوة اللاتي يدرن المنازل التي تخصص لممارسة الدعارة، وتقابل (العايقة) الـ Padrona أي مديرة الدار في الإيطالية.

مصير هذا القرار رفَّ المهمــلات كسابق القرارات، وينتهز المحرر الفرصة ليطلب مــن رؤساء الأديان الثلاثة أن يصدروا فتوى شرعية بتحريم البغاء، فهي كافيــة للقضاء على البغاء وإحراج الحكومة التــي تتبناه[1]. ولكن هذه الفتوى لم تصدر على أية حال، فلم يكن رؤساء الأديان إلا موظفين في سلك الحكومة»[2]، ولعل الجملة الأخيرة تختصر فهم المؤامرة المكررة في كل بلد؛ حيــث الحكومات العلمانية تصنع رموز المجتمــع بأشكالهم كافة، ومن ذلك رجــال الدين أو علمــاء الدين، وتبرزهــم في إعلامها ومناهجهــا، وتلقنهم كالببغــاء كلَّ ما يريــده الحاكم من مفاسد؛ ليصوغــوا الدين ويحرفوه على هواه.

إنَّ العلمــاء المصلحين عبر التاريخ كانت لهم عنــد الناس كلمةٌ مطاعةٌ، وأمــرٌ مسموعٌ، واعتبارٌ لا يقف عند حــدٌ، وتقديرٌ لا يساميه تقديرٌ، وما نالوا ذلك عفواً ولا استحقوه بلا عمل؛ بل نتيجةً لدفاعهم عن الدين وتضحياتهم العملاقــة في الذبِّ عنه، ومساعيهم الدائمة في تفضيل العمل للإسلام على العمــل لأنفسهم وسمعتهم وحظوظ أنفسهــم، وإيثار مصلحة العامة وحفظ آخرتهــم على المصالح الخاصة بأولئــك العلماء، فمن أوجب واجبات العالم أن يكــون صادقاً في إيضاح الحقيقة، فالله تعالى لعن العلماء لأجل كتمانهم للحــقِّ، وتقصيرهم في تبيانه للناس، كمــا قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩].

يقــول هتلــر: «إن أسمى الفِكَر تظل بغير قيمــة إذا لم يُقيَّض لها الزعيم الذي يمكنه أن يؤلِّب الجماهير حولها»، وهكذا فالعلماء الربانيون يستشعرون دورهــم في شحن الجماهير للدفاع عــن دينهم وأعراضهم، لا أن يخدروهم بالتغــزُّل بأعين الحكومات، فالشرائع السماوية جاءت بالويل والثبور لجميع

(١) اللطائف المصورة في ١٥ إبريل ١٩٢٥م (ص٥). كتاب البغايا في مصر (ص٢٢٨).

(٢) عماد هلال: البغايا في مصر (ص٢٢٨).

الأمم التـي تظهر فيها الفاحشة، وتنذر المنغمسـين فيها بسوء المنقلب، فإن فاتهم عقاب الدنيا فإن العقاب الأخروي لا مناص منه ولا فرار.

وإنَّ عظـم الفجيعـة ليدعـو الطبيب الماهـر إلى الإسراع بالعـلاج، وإنَّ النفوس المسلمـة الأبية لا يمكـن أن تقبل بحالٍ أن يحـلَّ في مجتمعاتها هذا العبث القذر المستورد عبر لوائح حكوميةٍ وأنظمةٍ رسميةٍ.

عـن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: «كيف أنتم إذا ألبستكم فتنةٌ يربو فيهـا الصغير، ويهـرَم فيها الكبير، إذا ترك منها شـيءٌ قيل: تركت السنَّة» قيـل: متى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: «ذلـك إذا ذهب علماؤكم وكثرت جهالكـم، وكـثرت قراؤكم وقلَّت فقهاؤكـم، والتمست الدنيـا بعمل الآخرة، وتُفُقِّه لغير الدين»[1].

إنَّ الأمَّـة التـي ترفـع شعار (الأمـر بالمعـروف والنهي عـن المنكر) قد ابتُليـت بإلقاء المسؤولية على العلماء والرؤساء والجماعات دون أن يستشعر أحدهم دوره وواجبه، فراجت بينهم حججٌ رعناء، تناقلها كسولٌ عن كسول؛ (يقـال: نحـن في ذمَّة العلماء والحـكام، أو يقال: المسلمون غـيري كثيرٌ، أو يقال: سينهض بهذا الواجب غيري، أو يقال: هذا مما عمَّت به البلوى، والله المستعان).

أبدعـت (الأكثرية الصامتـة) في التصفيق (للأقليـة المحتسبة) للدين والمجاهدة للباطل، ورضوا لأنفسهم من نصرة الدين بالثناء على المصلحين بلغـةٍ اتكاليَّةٍ ونبرةٍ هاربةٍ عن المسؤوليَّـة، ومَن تكاسل عن واجبه لن يتكاسل عن صناعة الأعذار، وتوزيع مسؤولياته على الآخرين.

إنَّ ديـن الله لم ينتصـر في الأرض بتفاؤل الصوفيـة وتمتمات العُبَّاد، أو الابتهـالات بالقصائـد، ورسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما نال التمكـين في الأرض حينمـا كان يتحنَّث في غار حراء؛ وإنما أعطـاه الله التمكين في الأرض حين

---

(١) رواه ابن أبي شيبة، والدارمي والحاكم، والبيهقي في الشُعَب، وابن وضاح في (البدع).

اشترى منه ومن المؤمنين أنفسهم وأموالهم لأجل نصرة دين الله، فكم لأجل هذا الدين أريقت من دماء غالية زكية، جادت بها الأمة ضاحكة مستبشرة، ومـن ابتغى المجد أرخصـ في سبيله كلَّ شيء حتى دمه، ولو كان الحصول علـى التمكين بهذه السهولة لما قاسى الأنبيـاء عليهم السلام ما قاسوه، ولما استنجدوا بربهم وطلبوا منه النصرة والمعونة.

ومتـى تقاعسـتُ أنا وأنت عـن القيام لدين الله وحفـظ أعراض الأمة ومحارمهـا، فإنَّ الله يستبـدل بنا غيرنا، ثم لا يكونـون أمثالنا، فمجد هذه الأمَّـة باقٍ ما دامـت السماوات والأرض، فهنيئاً لمن اختـاره الله واصطفاه حارسـاً للديـن والحُـرَم، وتعساً لمن تخاذل عـن أداء هـذا الواجب، وتوانى والتحق بالقاعدين، وراح يلتمس لخذلانه المعاذير والمسوغات:

تزوَّجت البطالة بالتواني	فأولدها غلاماً مع غلامة
فأما الابـن لقَّبه بفقر	وأمَّا البنت سمَّاها ندامة

إن مـن زرع التضحيات حصد السيادة والتمكـين، ومن نظر إلى أجداد اليهـود اليوم، أمثال تيودور هيرتزل وبن غوريـون، رأى فيهم مثالاً حياً على ما بذلوا من التضحيات لأجل مشروعهم الذي لم يكن يوحي بالتفاؤل بإقامة دولـة إسرائيل، فبدأت الهجـرة أواخر الخلافة العثمانيـة على وعد بإقامة الدولة اليهودية عام ١٩٤٨م، حينها رحل كهول اليهود وقد تجاوزت أعمارهم الستـين والسبعين، وهـم على يقين أنهم لن يدركوا وقـت إقامة الدولة فيما تبقى من أعمارهم، فأعمارهم لن تصمد حتى ذلك الحين، ولكنهم صمدوا كي ينال أحفادهم التمكين على أرض مسلمة مقدسة، أما أجدادنا فصمتوا، وتألمـوا، وتأولوا تقديم المصلحة العامـة، وآثروا السكوت بلا عمل، فأضاعوا الأمانـة، ورضوا بالـزرع، وتبعوا أذناب البقر حتى ضاعـت بعدهم الأحفاد والأجيال، والتمكين في الأرض لا يتبع من يتنازل عنه.

إنَّ مـن طبع المهزوم أن يمتطـي صهوة الألقاب حينمـا يخسر الأمجاد، وعندما تتطلع النفوس إلى جلائل الأعمال فإنها تتجاهل الألقاب والأشكال،

ومن مفاسـد عصرنا أننا عظَّمنا ملوكنا وزعماءنـا إلى رتبة تفوق تعظيمنا للأنبيـاء عليهم السـلام، والصحابة رضوان الله عليهـم، والسلف الصالح رحمهـم الله، حيـث صرنا نذكـر أسماءهم دون ألقـاب، بخلاف ما نمنحه للملـوك والزعمـاء والعلماء، فبات يجري على ألسنتنـا ذكر أبي بكر وكفى، وعمـر وعثمان وعلي والعشرة المبشرين وكفـى، دون أن نترضى عنهم، وقد كانـوا بمقياس السياسة يملكون ربع العـالم، وبمقياس العلم بالله تعالى هم أعلـم أهل الأرض، فجمعـوا الدين والدنيا حقيقة لا مجـازاً، وسقطت على أيديهم أعظم الممالك بأساً وتاريخاً.

وبعدمـا ساد الضعـف، وطوى الدهر بساطـه، وصرنا كالغثـاء يلهو بنا القسيس والحاخـام، لم ننهض بجهد الأنبياء عليهم السلام؛ بل قمنا نستر سوءاتنـا بتمويه العبـارات وتزويق الألقـاب الخادعة، مـع أنَّ أولئك الذين نكسوهـم جلبـاب الفخفخة لا يرتقون إلى قدر صحابـيٍّ أو تابعيٍّ، ومع ذلك يصيب ألسنتنا الشلل إذا ذكرنا أسماءهم عاريةً دون ألقاب، بل بالغ بعضنا بالاهتمام بالصغائر حتى صار يعتريه الطيش من تسمية (الخليج العربي) بالخليج الفارسي أكثر من غضبه لاحتلال الفرس للعديد من الدول المسلمة يقتلون رجالها وأطفالهـا، ويختطفون الحرائر، وتغصُّ سجونهم بالعفيفات اللاتـي يتمنـين الموت بسبـب عيشٍ أشقى مـن الموت، حقاً إنـه الاكتفاء من العنتريات بالاهتمام بالأسماء والألقاب، بخلاف ما كان عليه فعل الصحابة رضي الله عنهم: حيث فتحوا بلاد فارس وأسقطوا مملكتهم، ولم يأبهوا لتغيير أسماء الدول ولا المدن ولا الخليج، ولا حتى استبدال العملة المالية، ولا الاستغراق في الجزئيات على حساب الكليات، في زمنٍ يصفه أبو هلالة:

ألف مليون أصبحوا	كـغـثـاء بـشـطِّ يمْ
ومـصـلـى نـبـيـهـمْ	بـيـد الـلـصِّ يُقتسمْ

وحـين تقرأ هذا الـكلام عن مصر الحبيبـة حاذر أنْ تتوهـم أنَّ مصر تفـرَّدت دون غيرها من بلاد العـالم الإسلامي بالابتلاء بالبغـاء الرسميِّ،

بـل إنَّ الحقيقة أن مصر جسَّدت دور النذير الصارخ للعقول الغافلة، لتقول للتاريـخ وأهلـه: أفيقـوا فإنَّ مـا أصاب مصـر -على الرغم مـن مؤهلاتها وصمودهـا وإيمانهـا- سيجـري حتماً مقضيـاً في كلِّ صقعٍ مـن أصقاع أمة محمـد ﷺ إذا فقدنا شعيرة الاحتساب التي تميِّزنا، فحاذرِ أن تقرأ التاريـخ كأنه روايـةٌ حزينةٌ وحسب، بل تيقـن أنَّ أيَّ صقعٍ مـن أصقاع هذه المعمـورة ليس بمعزلٍ عن تكـرار التاريخ نفســه، وليكن حاضـراً بعقلك أنَّ حقبة البغاء الرسميِّ عاش فيها رجالٌ أشاوس، وأبطالٌ أفذاذٌ، وشخصياتٌ عظيمـةٌ، خيرٌ منك عقـلاً ووعياً واستعـداداً للتضحية، ولكـن أصابهم داء الصمت، وتأرجحت مواقفهم بين المواجهة أو التراخي، ثم وقعوا في التسامح مع الكارثة، وختاماً وصلوا إلى التبلد، وشلل الغيرة.

ثـم تذكـر أنَّ الأجيال التي خرجـت بعدهم خلال خمسـين سنة، وقعت ضحية صمت أولئك الأشاوس الأبطال من العظماء الصامتين، بل إنَّ جرأة الباطـل في العـالم الإسلامي حينها كانـت تستمدُّ قوَّتها مـن ذلك الصمت البائـس، ولو أنَّهـم صمدوا، وجابهوا، واحتسبوا، لتوقـف البغاء الرسميُّ في حينهـم، وسَلِم الأحفـاد، وسَلِم مَنْ بَعدَهم من الآثـام والأوزار، وسلِموا من وصمة العار التاريخية.

ولعلـي أضرب مثـلاً شروداً من بين ألـوف الأمثلة على أثـر الاحتساب، وضراوتـه على أهل الفساد، وإيقافه لمشاريعهـم، وهو ما ذكره المخرج زكي طليمـات عـن مخاوفه حـول بداية المسـرح في الكويت وصعـود النساء على خشبتـه أول مرة، وخوفه من الاحتساب، ومـن ردود فعل الآمرين بالمعروف والناهـين عن المنكر، فيقـول: «ولكن أصواتاً حكيمـة ارتفعت تهمس لي بأن آخذ التريث، وأن أرجئ افتتاح الموسم إلى ما بعد انتهاء شهر الصوم، حتى لا تتحرك أوكار المتزمتين والرجعيين -وفي كل قطر عربي يوجد هذا الطراز من النـاس- فيهاجمون الفرقة بدعوى أننا لم نوقر شهر الصوم التوقير كله، فأخرجنا النساء إلى جانب الرجال فوق المسرح، وبينهن فتاتان من الكويت.

وأخـيراً: أعترف بأنني لم أكـن أُقَدِّر هذا النجاح، وعندما راجعت الأمر بين نفســي وبين مخزونها من التجارب التي تمرست بهـا، ازداد يقيني بأن العمل الجيد يلقى جزاءه الطيب، لقد أحسن أعضاء الفرقة القيام بمهمتهم فـكان جزاؤهم التوفيق. ولكن فرحتي الكبرى أنه لم يهب إعصارٌ من جانب المتزمتين فيطيح بالفتاة الكويتية من فوق المسرح.

إن اسمَــي (مــريم صالح) و(مــريم غضبان) سيدخــلان تاريخ المسرح الكويتي كرائدتين، وسيكونان دائماً على رأس القائمة لمن تليهما من الفتيات الكويتيــات اللواتي سيؤلفن بنشاطهن الفني نقطة انطلاق جديدة في نشاط المرأة الكويتية»[1].



---

(١) مجلـة العربـي، العـدد (٤٢)، ونقلته ظمياء الكاظمـي في كتابها: الحركـة المسرحية في الخليج العربي (ص١٣٦-١٤٦).

المواقف المخزية لرموز العصر تجاه البغاء

على النقيض من الدفاع عن الفضيلة والطهر تورطت بعض الرموز في الدفاع عن البغاء دفاعاً علنياً في وسائل الإعلام، كما جاء في مجلة الفتح ما نصُّه: «وتواصل السياسة حملتها في الدفاع عن دور البغاء، تشاركها جريدة البلاغ، واشتهر في ذلك الميدان هيكل والعقاد وفكري أباظة وسلامة موسى وغيرهم»[1]، ولقد تمادى الأستاذ فكري أباظة إلى رفض التحاكم إلى الشرع، فحذَّر فضيلة الشيخ أبو العيون حول مطالبته بإلغاء البغاء الرسميِّ فقال: «احذر من أن تكلمني باسم الشرع والدين»[2].


الأستاذ عباس افندي محمود العقاد

(١) رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، ويكيبيديا الإخوان المسلمين: http://www.ikhwanwiki.com

(٢) مجلة الفتح، العدد (١٧)، ٢٩ ربيع الأول ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م.

وامتداداً لتلك الأسماء المتورطة بالدفاع عن البغاء الرسمي يؤكد محمد البيومي أسماء بعض المتورطين، فيقول: «والعقاد العظيم يندفع لمهاجمة الشيخ[1] من (البلاغ)، وكذلك تهاجم مجلة (روز اليوسف) الرجل، وسلامة موسى يهاجم فكرة إلغاء البغاء بتمحُّلات زائفة، وكلُّ ما قيل يدور في فلك جريدة (السياسة) يمط في عباراتها، إذ هي صاحبة المعول الكبير»[2]، بل إنَّ عباس العقاد المنسوب إلى الكتَّاب الإسلاميين يكتب مقالاً في مجلة الاثنين[3] يهتك فيه ستار الحشمة ويدافع عن ملابس النساء العارية على الشواطئ فيقول:

الاعجاب الاعجاب

لا قانون فى الدنيا أقوى من قانون الاعجاب

العرف قانون مطاع، والحياء قانون جميل، والضمير قانون ساهر

ولكن قانون الاعجاب أقوى من جميع هذه القوانين ، وعلم الاجتماع كله وعلم النفس بحذافيره وعلم الاخلاق بقضه وقضيضه — لا تبرز لك هذه الحقيقة كما تبرزها لك نظرة عاجلة الى ملابس الحمام — أو مخالع الحمام فى الواقع — على أجسام الحسان !

هذه الفتاة ألا تستحى ؟ ألا تحسب للعرف أقل حساب ؟

بل انها لتستحى ، وان الحياء لمسطور على وجنتيها بالمداد الاحمر الذى لا تمسحه الامواج !

وانها لتحسب حساب العرف كل الحساب ولعلها لم تحضر الى الشاطئ الا مرضاة للعرف وحب الظهور ، وقليلا ما خطرت لها الصحة وتبديل الهواء

ولكنها لا تخسر الاعجاب فى سبيل العرف ولا فى سبيل الحياء ، ولا تحجب من محاسنها حسنة واحدة تمتاز بها على أترابها، ولو تنزل العرف من الغيظ، وجن الضمير من الغضب ،

---

(1) المقصود الشيخ محمود أبو العيون صاحب الوقفة المشهورة ضد البغاء الحكومي.

(2) محمد رجب البيومي (ص٢٧٤-٢٧٥). كتاب البغايا في مصر (ص٢٢٤).

(3) العدد (٦٣١) في ١٥ يوليه ١٩٤٦م، وهذا المقال نشره بعد صدور كتابه.

وراح يفتي بإباحة زواج الراقصة تحية كريوكا من رجلٍ كافرٍ، ويصف ذلك الزواج بأنه من دواعي الغبطة والارتياح كما في زاويته في مجلة الاثنين[1]:

زواج راقصة

.. طالعنا في الصحف نبأ أدهش كل مصري وكل عربي غيور على دينه وقوميته وهو زواج الراقصة المصرية المسلمة «تحية كاريوكا» بالضابط الامريكي الصهيوني اللفتنانت كولونيل جليرت ليفى .. فكيف يجوز لها وهي امرأة مسلمة ان تتزوج من رجل على غير دينها .. واى انحطاط في الوطنية تهوى اليه في سبيل التجنس بالجنسية الامريكية ؟.. وما ادهشني عزم هذه الراقصة على العودة الى البلد الطيب الكريم – مصر – التى أطعمتها من جوع وأمنتها من خوف وصحبتها زوجها المحروس لقضاء بضعة اشهر فيها . فأى بلد له كرامة وفيه رجال يرضون ان تخطو هذه المرأة خطوة واحدة في أرضه ..

ح. حسن . ع . بجامعة فؤاد الاول

هذا سؤال نكتفي بما نشرناه منه وفيه الدلالة على ما طويناه وآثرنا السكوت عنه . لان ثورة الغضب قد جمحت بقلم الكاتب فقال ما يقال وما لا يقال في هذا المجال

والحق ان المسألة فيها ما يدعو الى الاسف والمؤاخذة . وفيها ما يدعو الى الغبطة والارتياح

فمن دواعي الاسف ان يتمادى الناس في حب الثرثرة الى الحد الذى يخلق لهم موضوع اهتمام من حكاية كهذه الحكاية كانت لا تشغل حارة واحدة في المدينة قبل عصر اللغط المبتذل والفضول المرذول

ومن دواعي الغبطة والارتياح ان يقال ان الراقصة التى صنعت هذا الصنيع لم تجد زوجا بين المصريين ووجدته بين الامريكيين . او انها فقدته بين العرب وأصابته بين الصهيونيين

وليس من المؤسفات للامة المصرية – أو للامة العربية – ان تحرم الازواج الذين من هذا القبيل !

---

(١) العدد (٦٣١) في ١٥ يوليه ١٩٤٦م.

وقل مثل ذلك في محمد حسين هيكل رئيس تحرير صحيفة السياسة التي شنت حملات شعواء على الشيخ أبو العيون، ويضيف محمد الجوادي أيضاً:

«وفي مقابل هؤلاء كانت بين النخبة التنفيذية ثلةٌ تقاوم الإصلاح وتتبنى موقفاً كالذي اتخذته نخبة المثقفين على نحو ما لخَّصناه في فقرةٍ سابقة: «وقد حاول نجيب الهلالي بك في حضور وزير المعارف علي الشمسي باشا أن يعترض أبو العيون بقوله: «إنَّ الزنى ليس بتشريع عندنا، ولكن الحكومة تنظمه فقط»، فما كان من الشيخ إلَّا أن ردَّ عليه»[1].

وتنتقد مجلة الفتح د. فؤاد شوكت بعدما نقلت مسوِّغاته للبغاء الرسمي، والعجب أنه يرى أنَّ إبقاء المواخير مؤقتاً حكمةٌ، والتعجيل خطأً، بحجة أنَّ العجلة من الشيطان:

الخميس ٢٣ ربيع الأول سنة ١٣٤٥ — ١٩٢٦

كتب الدكتور فؤاد شوكت تحذيراً للاستاذ أبي العيون في المقطم المؤرخ ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٢٦ مخالفا للاستاذ في طلبه الغاء البغاء فوراً لان الدكتور يرى أن ابقاء المواخير موقتا حكمة، والتعجيل خطأ، والعجلة من الشيطان. وقد عجبنا أشد العجب من عاقل يرى العجلة الى الخير — كالايمان والغاء البغاء — من الشيطان. ويرى أن الغاء البغاء قبل القيام بأمور [illegible] نرها في بلد من بلاد الله ولا حكمت بها القوانين المعروفة أمر خطير. والحق أن من

(١) محمد الجوادي: الأزهر الشريف والإصلاح الاجتماعي والمجتمعي (ص٦٨).

ومجلة (العالم) وقفت في المطالبة بالبغاء الرسمي الموقف نفسه، وتبرعت بالرد على المعارضين للبغاء بالشبهات المتكررة وقتذاك:

العالم في يوم الاثنين ٣٠ اغسطس سنه ١٩٢٦

البغاء الرسمي

في البلاد اليوم حركة خطيرة يرمي القائمون بها الى الغاء البغاء الرسمي

ومع انه ليس من عادة « العالم » ولا من خطته ان يتعرض لمثل هذه الموضوعات فانه لا يسعنا ازاء هذه الحركة الا ان نبدي رأيا في الموضوع فنقول اننا نعارض في هذه الفكرة معارضة شديدة ونرجو من مثيريها ومروجيها ان يتخلوا عنها ويخمدوا نارها

أولا — لان الغاء البغاء الرسمي لا يمنع البغاء السري بل يزيده ويزيد شره وضرره

ثانياً — لانه اذا كان هناك الآن شيء من الضمان بالاجراءات الصحية التي يتخذها رجال الصحة المعهود اليهم في مراقبة المومسات والعاهرات الرسميات فان هذا الضمان يزول

ولم يكن الدفاع عن البغاء لدى هذه الفئة -على اختلاف مشاربهم- إلا كموقف السحرة في تحديهم لنبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ حيث يبدو للعامة أنَّ المدافعين عن البغاء يعبِّرون عن آرائهم وقناعاتهم، ولكنَّ الحقيقة أنَّهم جميعاً مجرد أبواقٍ لتوجهٍ حكوميٍّ رسميٍّ، فالحكومات يحلو لها أن تبقى بعيدةً عن الأنظار في مجال الرذيلة ونشر المخازي، يقول محمد كشك: «وكان لويس عوض، الذي تضخَّم وقتها وانتشر بحكم سيطرة العسكر على ثقافتنا؛ ما بين جاهلهم ومأجورهم مما سهَّل خضوع السلطة للعملاء والمغتربين، دعاة التغريب وأعداء الهوية الحضارية لمصر؛ مصر العربية الإسلامية.

ولا شكَّ أن العهد الناصريَّ كان أخطر محاولة للقضاء على هذه الهوية، التي تعرَّضت للتشويه والتدمير بالتشريعات الناصرية، وبكتابات من أطلقوا عليهم صفة (اليساريين)، الذين رتعوا في أجهزة الإعلام فعربدوا في الفكر العربي، متطاولين على التراث، ملفقين التاريخ، مزيفين الواقع، مضللين الطريق للمستقبل. وهم في الحقيقة لا يساريون ولا تقدُّميون، بل عملاء لأحطِّ أشكال الاستعمار الغربي،... وليس مصادفةً أنهم في هذه الفترة بالذات قرَّرت المخابرات الأمريكية إصدار مجلة فكريَّة ثقافية باللغة العربية، وكان طبيعيًّاً للغاية أن تختار المخابرات الأمريكية نفس هؤلاء (اليساريين) لإصدار وتحرير مجلتها»[1].

ولا بأس أن أسمح لنفسي بالتوسع أكثر في دائرة العتب على رموز تلك الحقبة في صمتهم عن واجب النصح والذب عن الدين والفضيلة، لألوم شعراء الأمة الذين صمتوا عن هذه الفاجعة، فلم يذكروها في أشعارهم الكثيرة؛ فأمير الشعراء أحمد شوقي بلغت قصائده المجلدات الطوال، وشملت موضوعاته مئات العناوين، لتصبح مرجعاً لأدقِّ تفاصيل واقعهم، ومرآةً ناصعةً تنعكس عليها حياة أهلها، وريشةً ترسم معالم حياتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ومع ذلك ضاقت تلك الأشعار عن مدافعة حرب الدين وتحكيم الطاغوت والدفاع عن الأعراض المستباحة بسلطة النظام، وعجزت عنده القوافي عن مهاجمة البغاء الرسمي الذي عاصره أحمد شوقي أكثر من نصف قرن، وتاهت قريحته عن الوقوف مع الحقِّ، بل لَيْته اكتفى بصمته وانزوى عن ذلك الحراك ليكتفي بوصمة عارٍ واحدةٍ وهي سيئة الصمت وحسب، ولكنه أرغى وأزبد في انتقاص الحجاب، وهاجم تغطية المرأة المسلمة لوجهها، ووصف هذا الحجاب بأوصاف العسر والأذى والضرار، فقال في رثاء قاسم أمين مثنياً على دعوته لخلع الحجاب ووصفها بالرفق واليسر وموافقة الكتاب والسنة:

---

(١) محمد جلال كشك: ودخلت الخيل الأزهر (ص٩).

ماذا رأيتَ من الحجاب وعُسره فدعَوتنا لتَرفُّق ويَسارِ
رأيٌ بَدا لك لم تجده مُخالفاً ما في الكتاب وسُنَّة المختارِ
إنَّ الحجابَ سماحةٌ ويَسارةٌ لولا وحوشٌ في الرجال ضواري
جَهلوا حقيقتَه وحِكمة حُكمه فتجاوزوه إلى أذىً وضِرارِ

بل ويطرح تساؤلاً عن السفور الذي يراه جلالاً للمرأة وباعثاً على الاحترام، فيقول:

ورَدنكَ كوثراً وسَفَرنَ حُوراً وهل بالحور إن أسفرنَ بأسُ؟!
فقل للجانحين إلى حجابٍ أتُحجب عن صنيع الله نَفسُ؟!
إذا لم يَسترِ الأدبُ الغواني فلا يُغني الحريرُ ولا الدِّمقسُ
كأن الخود (مريمُ) في سُفورٍ ورائيها حواريٌّ وقسُّ
تهيَّبها الرجالُ، فلا ضميرٌ يهمُّ بها، ولا عينٌ تُحسُّ
كأنَّ سوافرَ الغاداتِ فيها ملائكُ هَمُّها نَظَرٌ وهَمسُ
كأنَّ براقعَ الغاداتِ تهفو على وجناتها غَيمٌ وشمسُ

ولعمري إنها لسكرة قلبٍ أن يموج المجتمع بهتك الأعراض زمناً يمتدُّ من حين ولادة أحمد شوقي حتى كهولته ووفاته، ظلَّ خلال تلك الفترة يروح ويغدو أمام تلك الفاجعة وهو يرى البغاء يُقنَّن والأعراض تُنتهك، ولم يتبرع ولو بشطر بيت من شعره الذي ملأ المجلدات الثمانية خصوصاً أنَّه ما ترك شاردةً ولا واردةً في الأحداث إلا كتب عنها، غير أنَّ الذمة الخرساء وسعته في السكوت عن مصاب الأمة في محارمها، والعدوان العلني على شرف نسائها، وتنقل الصحف عن تجاوزات لشوقي في إحدى حفلات تكريمه، تلك الحفلات التي كانت الأولى في مبادرة الإفساد للمرأة؛ حيث ورد في مجلة العالم:

الجديدة فلما ابصرناه ماندآ دنونا منه وسألناه عن نتيجة مقابلته لجلالة الملك فأجابنا : لقد قابلته لشؤون عائلية لا لمسائل سياسية .

فقلنا ان مقابلتك تجيء بمثل ما كان ثروت باشا يجيء به في اليومين الماضيين وهو انه يزور دولة عدلي باشا صباحا للاستفسار عن صحته .

فقال : ماليه . انا قابلت محمد محمود باشا لشؤون عائلية .

فقلنا : بس يعني . وعسى أن تكون هذه الشؤون العائلية قد قضت على مايرام .

فقال مبتسما : نحن دخلنا في الشخصيات ولا ايه .

وكانت ضحكة أيضا

تكريم شوقي بك

كان امس موعد الحفلة التكريمية الكبرى التي اقيمت لسعادة أحمد شوقي بك امير الشعراء في دار الاوبرا الملكية

وقد راقني فيها الامور الآتية بوجه خاص :

١ ـ ان يجلس الدكتور محمد حسين هيكل بك رئيس تحرير « السياسة » الى جانب السيد رشيد رضا صاحب « المنار »

٢ ـ أن يجلس غفار خان جلال وزير ايران المفوض الى جانب السيد طيب المزار رئيس ديوان جلالة الملك ابن السعود

٣ ـ أن يجلس سمو الامير حيدر مع وزيرين من وزرائنا ـ هما فتح الله بركات باشا وعثمان محرم باشا ـ قبل أن ينتقل الى المقصورة الخاصة بالامراء

٤ ـ ان تكون هذه أول حفلة أدبية اجتماعية تقف فيها المرأة المصرية على منبر الخطابة جنبا الى جنب مع « الجنس الخشن »

٥ ـ ان يكون شبلي ملاط شاعر لبنان زغلوليا قلبا وقالبا فيقيم الدليل على ان زغلولا ليس زعيم مصر فحسب بل زعيم الشرق بأسره

٦ ـ ان ينهض حافظ بك ابراهيم ويصافح الدكتور محجوب ثابت عند ما يرد ذكر « السودان » في قصيدة أمير الشعراء

٧ ـ ان يكون حافظ بك ابراهيم قد انتهز هذه الحفلة « ليصطلح » مع أحمد شوقي بك بأن يبايعه أميرا على الشعراء

٨ ـ ان ينسحب احمد شوقي بك من مقصورته عند الشروع في تلاوة قصيدته العامرة

٩ ـ ان يكون الاستاذ محمد كرد علي قد مثل الشام احسن تمثيل بخطابه الذي قوبل بتصفيق لم تعهده جدران الأوبرا

١٠ ـ ان تكون السيدات الشرقيات قد ملأن جانبا كبيرا من الكراسي واللوجات وان تكون كريمة زنانيري باشا قد صحبت معها زوجها الفرنسي لكي لا تفوتها هذه الحفلة الزاهرة

١١ ـ ان يكون جميع المدعوين من أكبر الامراء الى أصغر الحاضرين قد حضروا الحفلة من أولها الى آخرها ، وان يكون الوزير الشاعر (البرابلي باشا) أول المصفقين لكل بيت يثير العواطف في نفوس السامعين

١٢ ـ ان أكون قد سمعت طبعا بأن النية منصرفة الى تتويج شوقي بك في ختام حفلات التكريم التي تقام له فيتم بذلك ملك الشعراء

ولعل القارئ يخصُّ بمزيد من التأمل ما ورد في الفقرتين الرابعة والعاشرة، مما ورد في المقال السابق، والتي تجعلنا نتمنى من أحمد شوقي لو اكتفى بخطيئة الصمت دون المشاركة في تلك الحرب الضارية على الدين والأعراض.

بل وأدهى من ذلك وأمرُّ أن يحضر بنفسه حضوراً شخصياً لحفلةٍ نسائيةٍ عقدت بدار التمثيل العربي سنة ١٩٢٧م، برئاسة هاتكة الحجاب الأولى هدى شعراوي، فلم يكن حضوره حضور الساكت، ولو فعلها لكان مشاركاً في الجريمة؛ بل حضر مشاركاً مفرداً بأبيات يؤيد فيها مشروع الإفساد في الأمة ويبارك نزع الحجاب، ويضفي عليه المديح والثناء وما جادت به قريحته من السفه والإفساد، ليعلن بذلك موقفه الصريح بلسان الحال ولسان المقال من محاربة العفاف والحشمة فيقول:

قل للرِّجال طغى الأسير ... طيرُ الحجال متى يَطيرُ؟
أوهَى جَنَاحَيه الحديـ ... ـدُ، وحَزَّ سَاقَيه الحريرُ
ذهب الحجابُ بصَبره ... وأطَال حَيرتَهُ السُّفورُ
إنَّ السَّماءَ جَديرَةٌ ... بالطَّير، وَهوَ بِهَا جَديرُ
حُرِّيَّةٌ خُلِقَ الإناثُ لها ... كما خُلِقَ الذكورُ

وفي هذا السياق أعتب أيضاً على شاعر النيل حافظ إبراهيم الذي هبَّ دفاعاً عن قاسم أمين بنظرته الاستطلاعية للمستقبل، وبمطالبته بنزع الحجاب، وإخراج المرأة والدعوة إلى اختلاطها بالرجال، تأييداً لقاسم أمين، في قصيدته التي هي بعنوان (رثاء قاسم أمين بك)، زاعماً أنَّ المستقبل سيثبت صحة آرائهما، رغم معاصرته للبغاء الرسمي، ولانتهاك الشرف والعدوان على المصونات، ومع ذلك يقول:

إنْ رَيتَ رأياً في الحجاب ولَمْ	تُعْصَمْ، فتلك مَراتبُ الرُسُلِ
الحُـكْـمُ لـلأيـــام مَـرْجِـعُـه	فيما رأيــتَ فنَـمْ ولا تَسَـلِ
وكـذا طُـهـاةُ الـرأي تَـتْرُكُـه	للدُّهـرِ يـنْضِجُه على مَهَلِ
فــإذا أصـبــتَ فــأنــتَ فَـتَـى	وَضَـعَ الـدُّواءَ مواضعَ العِلَلِ
أو لا فحَسبُكَ ما شَرُفتَ به	وتَـرَكْـتَ في دُنـيـاكَ مِـنْ عَمَلِ



ولكننــا لا ننسى ما أشار إليه في القصيدة نفسها أنَّه يتذكر بقاسم أمين الشيخ محمد عبده، وكأنه ينشد هذه القصيدة للشيخ فيقول:

مُـتَـذكِّـراً يَـومَ الإمـــامِ به	يَـومَ انـتـويـتُ بـذلـكَ الـبَـطَـلِ[1]

وأجـد الفرصة مواتية لإرفاق وثيقـة من مجلة الجامعة العثمانية الجزء الخامس، السنـة السادسة عام ١٩٠٨م، تبين حادثة الميتـة التي كان عليها قاسم أمين، وهل هذه الميتة تستحق منهم هذا التبجيل والتطبيل المبالغ فيه، أم أنها خاتمةٌ تستوجب من الشعراء الهلع والخشية من سوء الخاتمة، لا كما صنعه أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وغيرهم:

---

(١) مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها (ص٣٨).

وفي يوم وفاته في مصر حوالي ٢٠ نيسان زار نادي دار العلوم في مصر تصحبه بضعة من الطالبات الرومانيات اللواتي وفدن على مصر لزيارتها والقى خطبة وجيزة بالامة الفرنسوية قال في خاتمتها ,, قرّب الله ذلك اليوم الذي نرى فيه الطالبات المصريات المسلمات جالسات بجانب طلبتنا لجلوس زائراتنا بجانبهم يتباحثون جميعاً في المواضيع المفيدة ''

وكانت وفاته بعد الانصراف من هذه الحفلة بداء السكتة على ما يُفهم من اخبار مصر ٠ وقد ودّع الفضل والعقل قبل وفاته بثلاثة ايام بخطبة غراء القاها

---

(١) أكتب هذه المقالة في فول ريفر (ماس) وليس لدي كتاب قاسم بك لمراجعة قوله على انني اضمن المعنى وان لم اضمن حرفيته

ولا أجد حرجاً في انتقاد الخطأ الصادر من أولئك المشاهير والرموز، مستحضراً ما قاله فريد حبيش في قصيدته التي أسماها (الانتقاد)، فقد قال -وأحسن القول-:

ألا لا تلوميني إذا ما سمعتني
أقبّح أعمالاً وأهجو مشاهيرا

تقولين ماذا أنت من ذاك كاسبٌ
وهل تبتغي إصلاح من كان شريرا

ولست بجانٍ غير حقد تثيره
وتضرمه في قلب من نال تشهيرا

وتغدو لك الأعداء من كلّ جانب
وتمسي وتغدو بالمذمة مذكورا

فهلا تركت الناس تفعل ما ترى
فتكسب أصحاباً وتصبح مشكورا

دعيني من طعن الأنام فإنهم
إلى الدَّرك انحطوا وقد أحللوا الزورا

أسفُّوا فما غير المعاش يهمهم
أباحوا لكي يجنوه ما كان محظورا
إذا كان كلٌّ مثلما قلتِ فاعلٌ
فمن يمنع السوءى ويردع مغرورا
دعيني أضحي بالحطام ويرتضي
ضميري وأقضي صافي البال مسرورا

ومثل هذه المواقف تحدونا إلى تطبيق معايير علماء الحديث في الحكم على رموز القرن المنصرم، فكلُّ المشاهير في القرن المنصرم، وأخصَّ بالذكر من ساندت الحكومة شهرتهم، ووقفت خلف معرفة الناس بهم، فإنهم محلُّ شكٍّ، وموضع تهمةٍ تستوجب مراجعة تاريخهم بصورةٍ ناقدةٍ منصفةٍ، لنميز الخبيث من الطيب، فالحكومة العلمانية لا تساند إلا من يخدم مصالحها وفسادها من ضعيفٍ أو ساذجٍ أو خبيثٍ، واليقين الذي لا شكَّ فيه أنها لن تساند الصادق الأمين ومن يقتفي نهج محمدٍ الصادق الأمين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



البغاء الحكومي وموقف جماعة الإخوان المسلمين

على الرغم من استقباح البغاء في تاريخ البشرية فإنَّ جريان لفظ (البغاء) على الألسن في تلك الحقبة، ومشاهدته في الطرقات، كادت تجعله مألوفاً على الأنفس، يكتنفها البرود، وقبح الاعتياد، ومأساة الوجود المهين، مع أنَّ حكم الله فيها إما الجلد أو الرجم حتى الموت؛ تكفيراً لشناعة الخطيئة، ولكن ما الحيلة وقد غاب الإسلام عن الحكم، ونحَّاه العلمانيون عن الهيمنة على حياة الناس، حتى ظهرت هذه الصورة المشينة والمشاهد المهينة، التي يصبح أمامها الحليم حيران؟ ولولا أنَّ الإيمان في القلوب كان أوهن من بيت العنكبوت ما بقي هذا الوضع الشاذُّ في حياة الأمَّة قرناً من الزمان.

إنَّ إرهاصات الخاتمة لهذا الخزي الجاثم على صدر الأمة ظهرت عام ١٩٤٢م، حين طلب مصطفى النحاس باشا رئيس وزراء مصر من حسن البنَّا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، الانسحاب من الانتخابات، فما كان من حسن البنَّا إلا أن اشترط شروطاً لانسحابه، وكان من بين تلك الشروط: إلغاء البغاء[1]، فكانت البداية لخطوات الإلغاء عام ١٩٤٢م، حتى تم الإلغاء الكامل عام ١٩٤٩م[2].

---

(١) وغلق بيوت الدعارة وجعلها عملاً مجرَّماً، ومنع بيع الخمور، وإصدار قانون بوجوب التعامل باللغة العربية في جميع الشركات والمؤسسات ومراسلاتها.

(٢) ينظر: جمعة أمين عبد العزيز: أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، الجزء الرابع، دار النشر والتوزيع الإسلامية؛ محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، الجزء الأول، دار الدعوة، ١٩٩٩م (بتصرف).



مصطفى النحاس باشا

يقول فريد عبد الخالق: «كما نستطيع أن نلاحظ أثر انتهاء الحرب، وتوتر العلاقات المصرية البريطانية، واشتعال الحركة الوطنية بتياراتها المختلفة، بما فيها الحركة السلفية لجماعة الإخوان المسلمين، نستطيع أن نلاحظ أثر كل ذلك في تطوُّر نشاط الدعارة في القاهرة.

أما الحركات السلفية جماعة (الإخوان المسلمون) فقد كان لها في مقام الإصلاح الاجتماعي دور حرصت على إظهاره والتمسك به خلال فترة نشاطها في الأربعينات، وخاصة في النصف الثاني منها.

لقد كان لجماعة الإخوان المسلمين في فترة الأربعينات موقف في شأن البغاء والمحرمات جميعها، فقد نظروا إلى القانون الذي يتحاكم أبناء الأمة إليه باعتبار ضرورة أن يكون مستمداً من أحكام الشريعة الإسلامية، مأخوذاً عن القرآن الكريم، ومتفقاً مع أصول الفقه الإسلامي، وبناءً على ذلك فقد عارضت الجماعة أن يكون القانون في أمّة إسلامية متناقضاً مع تعاليم الدين وأحكام القرآن.

لقد كانت القوانين خلال الفترة موضوع الدراسة تبيح البغاء ولا تحظر الربا، ولا تمنع شرب الخمر ولا تحارب الميسر، ولم يكن الإخوان المسلمون يوافقون على هذه القوانين ولا يرضون بها.

وفي هذا المقام فإن الشيخ حسن البنا، المرشد العام للجماعة، قال في رسالة المؤتمر الخامس المنعقد في يناير ١٩٣٩م: كيف يكون موقف المسلم بين تعاليم الله ورسوله التي تحرم الزنا وتحظر الربا وتمنع شرب الخمر وتحارب الميسر. وبين القانون الذي يحمي الزانية، ويلزم بالربا، ويبيح الخمر. وينظم القمار؟ أيطيع الله ورسوله ويعصي الحكومة وقانونها والله خير وأبقى؟ أم يعصي الله ورسوله ويطيع الحكومة فيشقى في الآخرة والأولى؟)»[1].

يقول فريد عبد الخالق: «رغم ما يشير إليه البعض من أنَّ الأمر العسكري القاضي بإغلاق بيوت العاهرات، قد صدر لتدعيم موقف عبد الهادي باشا في صراعه مع جماعة الإخوان المسلمين، الذين أعلنوا حرباً شعواء على الحكومة التي تبيح البغاء، ولا تحظر الربا، ولا تمنع شرب الخمر، ولا تحارب الميسر. على حدٍّ قول الشيخ حسن البنا المرشد العام للجماعة»[2].

قلت: وعلى الرغم من الاختلاف مع جماعة (الإخوان المسلمين) فإن من الإنصاف أن نقول: إن جهودهم تلك وإصلاحاتهم هي ما يفسر السر خلف مناصبتهم العداوة بصورة دائمة، عداوة الغرب بحكوماته ومؤسساته، والحكومات بصورة معلنةٍ أو مستترةٍ بتسليط أذرعتها الخفية، حيث كانت هذه الجماعة هي أحد السدود المانعة ضد الفسق والفجور؛ إما بإصلاحهم للمجتمع وهداية الناس إلى دين الله تعالى، وإبعادهم عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن. أو بالتصدي للبغاء بتنازلهم عن الترشح الانتخابي مقابل إلغاء البغاء عام ١٩٤٩م[3].

---

(١) فريد عبد الخالق: الاخوان المسلمون في ميزان الحق، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ١٩٨٧م (ص١٩٦ – ١٩٨).

(٢) فريد عبد الخالق: الإخوان المسلمون في ميزان الحق (ص١٩٦-١٩٨). كتاب البغايا في مصر (ص٢٣٢).

(٣) وهذا الثناء على جماعة الإخوان المسلمين لا يعني سلامة منهجهم: ولعلَّ أبرز خلافاتنا معهم خلافنا معهم في تحاكمهم للديمقراطية بديلاً عن التحاكم لشرع الله تعالى، وهذا فيه من

يقـول عمـاد هلال: «وقـد شهد هـذا العام صـدور كتب تهاجـم البغاء الرسمـي، منها كتاب للدكتور فخري، الـذي زوَّده بالإحصائيات والمعلومات الطبيـة المهمة، ثـم كتاب آخر لمؤلفٍ شابٍّ، اهتـم بالموضوعات الاجتماعية، وصدرت له كتب عديدة في مجال علاج مشكلات الزواج، والبغاء، والطلاق، والبطالـة، وغير ذلك، رغم أنـه من خريجي كلية التجـارة، هذا المؤلف هو محمد فريد جنيدي، وعنوان كتابه هو (البغاء بحث علمي عملي)، بالإضافة إلى مـا في هذا الكتاب من معلومـات قيمة عن البغاء وما به من إحصائيات وبيانات»[1].

وقـد صدر من المكتب الدولي بحـث عن منع الدعارة جاء فيه: «ولا يظن أحـد من الذين يهتمون بمسألـة البغاء أن إقفال بيوت البغاء يخلي الحكومة مـن أيَّة مسؤوليـةٍ فيما بعد؛ إذ إنها تظلُّ مسؤولـةً عن حفظ النظام وحرمة الآداب مـن أن تمتـد إليهما يد العابثـين، ويجب ألا نتهـاون بدعوى العطف علـى البغيِّ، فنسمح بالتراخي في مراقبة الذيـن تعود عليهم هذه الصناعة الدنيئة بالفائدة، مراقبة شديدة لولاها لتعدَّوا الحدود وساء المصير»[2].

وخير ختامٍ أقدِّمه لفصل البغاء أن أقول:

رحل الجميع.. رحل من في تلك الحقبة جميعاً..

ذهب الساكت عن الحق.. وذهب المحتسب عليه..

ذهب الخائف من الله المتعفف عن الفاحشة.. وذهب المتلذذ بها..

رحل المعترض.. ورحل المؤيد..

ذهب الظالم الذي أصدر القرار.. وذهب المظلوم في محارمه..

الخطورة على المعتقد الشيء الذي لا يخفى.

(١) عماد هلال: البغايا في مصر (ص٢٢٦).

(٢) المكتب الدولي لمنع الاتجار بالنساء والأطفال، بحث في منـع الدعارة المرخص بها من الحكومة (ص٤٧ و٤٨).

هلك الجميع.. هلك الزاني والعفيف والراعي والرعية..

وبقيت الأجور والأوزار إلى يوم القيامة.

إنَّ المرء يخسر ماله فيقال له: «عوضك الله عليه»، وربما فقد ولده فلذة كبده، فيقال له: «أخلفه الله عليك»، ويصاب في صحته فيُدعى له باستردادها، ولكن ما الحيلة إذا خسر شرفه، إنها والله الخسارة التي لا تُتلافى، والثلمة التي لا تُسدّ، والضيعة التي لا تُردّ، ونحن الآن في زمنٍ وبليةٍ تستهدف شرف المسلمات بصورةٍ تشابه ذلك العصر، فهل ستكون مدافعاً عن أخواتك المسلمات وعن أعراض الحرائر، أم ستبقى صامتاً عن نصرة الحق؟! حاشاك!!

هي شدَّةٌ يأتي الرخاء عقيبها وأسىً يبشّر بالسرور العاجلِ
وإذا نظرت فإنَّ بؤساً عاجلاً للمرء خيرٌ من نعيمٍ زائلِ

وأجد لزاماً عليَّ أن أتحدث بعد هذا الفصل الدامي عن قضيةٍ مهمَّة وهي قضية (الغيرة على المحارم)، فالعُهر يغسله الطُّهر، والدياثةُ قذارةٌ تمحوها الغيرة، والحسنات يذهبن السيئات، ذلك ذكرى للذاكرين.



الغيرة على المحارم

تعريف الغيرة لغة واصطلاحاً:

الغَيرةُ بالفتح المصدر من قولك: غار الرجل على أهْله والمرأة على بَعْلها تَغار غَيْرة، وغَيْراً، وغاراً، وغِياراً، والغَيْرة هي الحَمِيَّة والأَنَفَة، والمغيار: الشديد الغيرة[1].

والغَيْرة: كراهة الرجل اشتراك غيره فيما هو حقه، وهي مشتقةٌ من تَغيُّرِ القلبِ، وهَيَجَانِ الغَضَبِ، بسبب المشاركةِ فيما به الاختصاصُ، وأشدُّ ما يكونُ ذلك بين الزوجين.

قال النحاس: الغيرة أن يحمي الرجل زوجته وغيرها من قراباته، ويمنع أن يدخل عليهنَّ أو يراهنَّ غير محرم[2].

يقول النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال العلماء: الغَيرة بفتح الغين، وأصلها المنع، والرجل الغيور على أهله، أي: منعهم من التعلق بأجنبيٍّ، بنظرٍ أو حديثٍ، أو غيره[3]، ولا شك أنَّ الغاية من هذا المنع المنفعة والمصلحة للمانع والممنوع، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «أنَّ الغيرة إما من تغير الغائر، أو مزاحمة الغير»[4].

---

(١) القاموس المحيط (٢/١٠٦٣)؛ والنهاية في غريب الحديث والأثر (ص٦٨٥). وانظر: فتح الباري (٢/٥٣٠)، و(٩/٣٢٠)؛ وشرح النووي على مسلم (١٧/٧٧).

(٢) عن الغيرة على المرأة المسلمة (ص١٤٥).

(٣) شرح صحيح مسلم (١٠/١٣٢).

(٤) ابن تيمية: الاستقامة (٢/١١).

أما الغيرة في الاصطلاح الشرعي فهي: «الحميَّة والأنفة الناهية عن انتهاك محارم الله وإتيان الفواحش، وصيانة الأمة ودينها من ذلك، وهي الغيرة في ريبة»[1].

فضل الغيرة على الأعراض:

لقد حظيت الأعراض في شرع الله تعالى بمقامٍ سامٍ، ونال حفظها مكانةً عاليةً، وجعلها الإسلام عبادةً وقربةً لله تعالى، فنالت شرفاً وفضلاً، حتى قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ أصلَ الدينِ الغيرةُ، ومن لا غيرةَ له لا دينَ لـه، ولهذا كان الديوثُ أخبثَ خلق اللهِ، والجنةُ عليه حرامٌ»[2]، وإليك هذه النفحات عن فضائل الغيرة:

١. الغيرة صفةٌ من صفاتِ الله تعالى:

يكفي الغيور شرفاً ورفعةً أن يستشعر أنه يحمل صفة من صفات الله تعالى بين جوانحه، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنَّ الله يغار، وغيرة الله أن يأتيَ المؤمنُ ما حرَّمَ الله»[3]، وفي الحديث الآخر: «ما من أحد أغيرُ من الله؛ من أجْلِ ذلك حَرَّمَ الفواحشَ»[4]، وقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا أُمَّةَ محمدٍ، واللهِ ما مِن أحدٍ أغيرُ من اللهِ أن يزنيَ عبدُه، أو تزنيَ أمَتُه»[5].

وحين نثبت صفةَ الغيرةِ لله تعالى، فإننا نؤمن أنَّ الله تعالى يغارُ حقيقةً، غيرةً تليقُ بجلاله وعزَّته، إلا أنَّ غيرته سبحانه ليست كغيرةِ المخلوقين.

---

(١) الاستقامة (٢/٧، ٨، ٦٤). وانظر: أ. د. محمد بن عبد العزيز العلي: صفة الغيرة لله تعالى، دراسة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، دار طيبة (ص١١، ١٢، ١٣).

(٢) الجواب الكافي (ص٦٨).

(٣) رواه البخاري (٥٢٢٣)؛ ومسلم (٢٧٦١).

(٤) رواه البخاري (٥٢٢٠)؛ ومسلم (٢٧٦٠).

(٥) رواه البخاري (١٠٤٤)؛ ومسلم (٩٠١).

يقـول ابـن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «غيرة الله أن يأتي العبـد ما حرَّم عليه، ولأجل غيرتـه سبحانه حـرَّم الفاحشة ما ظهـر منها وما بطـن؛ لأنَّ الخلق عبيده وإمـاؤه، فهو يغارُ علـى إمائه كما يغار السيد على جواريه، ولله المثل الأعلى. ويغـار على عبيـده أن تكون محبتهم لغيره، بحيث تحملهـم تلك المحبة على عشق الصور ونيل الفاحشة منها»[1].

٢. الغيرة صفةٌ من صفات الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ:

وهـذا سببٌ آخر يجعل الغيور يزهو بهذه الخصلة، وينتشي ويباهي بها، مـا دامت من خير الخصال التي حباهـا الله تعالى لأنبيائه عليهم السلام، حيـث تضافرت النصوص بغـيرة المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهـي أروع صورة للغـيرة في كمالهـا البشري. فعن سهـل بنِ سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قـال: اطَّلع رجلٌ في جُحَـرِ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُـدْرًى يحكُّ به رأسه، فقال: «لـو أعلمُ أنـك تنظرُ لطعنتُ بـه في عينِك، إنمـا جُعِلَ الاستئـذانُ من أجل البصر»[2]، فإن كانت الغيرة صفة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهي أيضاً صفة الأنبياء عليهم السلام من قبله:

غيرة داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

عـن أبي هريـرة، أنَّ رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قـال: «كان داود النبي فيه غـيرةٌ شديدةٌ، وكان إذا خرج أغلقت الأبواب فلم يدخل على أهله أحدٌ حتى يرجع، قال: فخرج ذات يومٍ، وأغلقت الدار، فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار، فـإذا رجلٌ قائـمٌ وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل الـدار والدار مغلقـةٌ؟ والله لتفتضحنَّ بداود، فجاء داود فـإذا الرجل قائمٌ وسـط الـدار، فقال له داود: مـن أنت؟ قـال: أنا الذي لا أهـاب الملوك، ولا يمتنـع مني الحجـاب، فقال داود: أنـت والله إذن ملك المـوت، مرحباً بأمر

---

(١) ابن قيم الجوزية: الفوائد (ص٣٢).

(٢) رواه البخاري (٦٢٤١)، ومسلم (٢١٥٦).

الله، فَرَمَل داود مكانه حيث قبضت روحه حتى فرغ من شأنه، وطلعت عليه الشمس، فقال سليمان للطير: أظلّي على داود، فأظلّت عليه الطير حتى أظلمت عليهم الأرض، فقال لها سليمان: اقبضي جناحاً جناحاً، قال أبو هريرة: يرينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف فعلت الطير، وقبض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يده، وغلبت عليه يومئذ المضرحية»[1].

غيرة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ذكر ابنُ قدامة أثراً عن محمد بن علي بن الحسين أنه قال: «كان إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ غيوراً، وما من امرئٍ لا يغار إلا منكوسُ القلب»[2].

غيرة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وكليم الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ جمع كمال الغيرة على المحارم بين جوانحه، يقول الله تعالى: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [طه: ١٠]، قال ابن عباس وغيره: «هذا حين قضى الأجل وسار بأهله وهو مقبل من مدين يريد مصر وكان قد أخطأ الطريق، وكان موسى عليه السلام رجلاً غيوراً يصحب الناس بالليل ويفارقهم بالنهار غيرة منه؛ لئلا يروا امرأته، فأخطأ الرفقة لما سبق في علم الله تعالى وكانت ليلة مظلمة»[3].

ولم تقتصر غيرته على محارمه وأهل بيته وحسب؛ بل امتدت لتشمل العفيفات المصونات من نساء العالمين، فحين وَرَدَ ماء مدين تألّم من منظر المرأتين العفيفتين بالقرب من الزحام الرديء، فتجاهل إرهاق جسده، وتجاهل فرحته بانتهاء سفره المضني عدة أيامٍ متواصلة، وأخذت الغيرة بزمام قلبه إلى سؤال المرأتين بلفظ (الخطب): ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾،

---

(١) مسند أحمد (٩٤٣٢)، وحكم عليها المحققون بالضعف لانقطاع السند.

(٢) الشرح الكبير (١٤٤/٨).

(٣) القرطبي: جامع أحكام القرآن (١٧١/١١).

والخطب يعني الخطب العظيم الذي يكثر فيه التخاطب، فكان تعبير موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بلفظ (الخطب) لأنَّه يرى وقوفهما بهذه الصورة حدثاً عظيماً له شأنٌ، واستعمال لفظ (الخطب) للدلالة على الأمور العظيمة جاء متكرراً في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يوسف: ٥١]، ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [الذاريات: ٣١]، ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ﴾ [طه: ٩٥]، فمن ثَمَّ وصف موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقوف العفيفتين في الشمس أمام الرجال، مع حبس الأغنام عن الشرب دون سقيا، وعبَّر عنه بالخطب، الملازم للخطر أو المؤذِن بالخطر.

ومن دلائل غيرته ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [طه: ١٠]، فأبقى أهله في الظلام خوفاً عليهم وستراً لهم، والمعهود في الصحارى أنَّ الذي في الظلام يرى القريبين من النار وليس العكس، فلا يمكن أن يوقد أحدٌ نيرانه إلَّا وهو متمثل حال الكريم، وفي حالٍ يجلب الطمأنينة والأمان ولا ينوي العدوان على أحدٍ؛ لأنَّ إيقاد النيران ليلاً يجعله هو المستهدف بالأخطار؛ لأنه البائن المكشوف، وأما الذي في الظلام فهو الآمن القادر على مقارفة الخطر أو مفارقته، فما كان من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلَّا أن هدته غيرته أن يأمر محارمه بالمكث بعيداً عن الأعين، مستترين بالظلام، ثم ينطلق هو بمفرده إلى النار. وكذلك فإن سياق القصة يدلُّ على تفاؤله بما يقابله، واطمئنانه لأهل الضوء، وارتياحه الغامر بهم، حيث طرح احتمالين حميدين آمنين لا يشوبهما أيُّ مخاوفَ محتملة، فقال: ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ وهذا دليل كرم أهل الضوء، والاحتمال الثاني: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾، وفيه تفاؤلٌ بمروءتهم وإحسانهم للعابرين، ومهما بدت الاحتمالات آمنةً في عبارات موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنَّها لم تكن كافيةً للإتيان بأهله إلى النار، فغيرة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تأنف أن يسير بأهله إلى مكانٍ فيه الوضوح والبيان والكشف؛ احترازاً من أن يراهم الأغراب، بل إنه من شدة إبعاده لأهله عن النار، ذهب إلى لقاء ربه، وحصل ما حصل هناك، ثم إنَّه ولَّى مدبراً ولم يُعقِّب،

ورجع إلى النـار دون أن يعلم أهله بهـذه التفاصيل من بُعـد المسافة، حيث أبقاهم في الظلمة الساترة، التي تكفل لهم المجافاة والابتعاد الكامل.

فما أجملها من غيرة يتصف بها الرسل والأنبياء عليهم السلام، وبها كمال الرجال وفَخر النساء، ولم تكن الغيرة يوماً محلَّ تندُّرٍ واستهزاء، إلا على ألسنة السفهاء.

غيرة شُعَيب الرجل الصالح عَلَيْهِ السَّلَام:

روى ابن جرير بإسناده عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: ﴿قَالَتْ إِحْدَنٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، قال: فأحفظته الغيرة أن قال: وما يدريك ما قوته وأمانته؟ قالت: أما قوته فما رأيت منه حين سقى لنا، لم أر رجلاً قطُّ أقوى في ذلك السقي منه؛ وأما أمانته فإنه نظر حين أقبلت إليه وشخصت له، فلما علم أني امرأةٌ صوَّب رأسه فلم يرفعه، ولم ينظر إليَّ حتى بلغته رسالتك، ثم قال: امشي خلفي وانعتي لي الطريق، ولم يفعل ذلك إلَّا وهو أمينٌ، فسُرِّي عن أبيها وصدَّقها، وظنَّ به الذي قالت[1].

غيرة لوط عَلَيْهِ السَّلَام:

وغيرة نبي الله لوط عَلَيْهِ السَّلَام ظاهرةٌ في سياق قصته، حيث أمره الله وقت نزول العذاب بقومه أن يسري بأهله آخر الليل، فقد أزف العذاب أن ينزل بقرية (سدوم)؛ يقول تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾، على الرغم من أنَّ امرأة لوطٍ ستشاركهم في العذاب؛ لأنَّها شاركتهم في الكفر، ومع ذلك ربَّاه الله تعالى على الغيرة، وأمره ألا يتركها بمفردها حين يسري بأهله خارج القرية السيئة، وكذلك أخبره سبحانه بمصيرها بقوله: ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾ [هود: ٨١]، ومتى نقصت الغيرة من القلب فإنَّه يتساءل بحيرة: وما النفع من أخذ امرأة لوط معه حين يسري بأهله ليلاً وهي ستشارك

---

(١) تفسير الطبري، ط هجر (٢٢٥/١٨).

قومهـا العذاب؟ خصوصاً مـع توافر عوامل تدعو لتركهـا في القرية ما دام العذاب سينالها تماماً كما سينـالهم:

١. شاركـت قومهـا في الكفـر، وشاركتهـم الرضى بالفاحشـة والدعوة إليها، فهي لم تكن كافرة وحسب؛ بل هي مضرب المثل في الكفر، وقد ضرب الله بهـا المثل لكلِّ كافرٍ إلى قيـام الساعة، وحان وقت العقاب الدنيوي الذي ستشاركهم فيه، فلا جدوى من أخذها معه.

٢. خروج نبي الله لوط عَلَيْهِالسَّلَامُ من القرية يتزامن مع نزول العذاب بقومه فكلاهمـا في آخر الليل؛ ولو بقيت زوجته في دارهـا نائمةً فستظل مستغرقةً في سباتهـا حتى يطلع الصبح، فالزمن قصيرٌ جداً بين وقت خروجه بأهله، وبين وقت نزول العذاب وهلاك قومه، فقد أوحى الله تعالى إلى لوطٍ عَلَيْهِالسَّلَامُ أنـه سيسمـع صوت عذابهم من خلفـه لقرب المسافة والزمـان، وجاء الأمر ألّا يلتفـت منهم أحـدٌ إلا امرأته، وذلك ما يتيح المجـال لتركها؛ حيث يغلب علـى الظن أنه لـو تركها فلن ينالها أحـدٌ من القرية بسـوءٍ، والمتوقع أنه في تاريخهـا السابق حدث مـن الظروف ما يدعوه لتركهـا بسبب لوازم الحياة وضروراتها، ومرَّت تلك الحوادث آمنةً داخل المنظومة الاجتماعية للقرية.

٣. جـاء في القـرآن الكريم وصف زوجـة لوطٍ عَلَيْهِالسَّلَامُ بالعجـوز، وهذه المرحلـة العمرية ليست محـلَّ الظنِّ والريبة، فالعجائـز لسن محلَّ التلهُّف والطمـع، ولذا جاز لهنَّ التخفُّـف حتى من تغطية وجوههنَّ بالحجاب، فهنَّ في مأمـنٍ مـن الاعتـداء عليهنَّ مـن الأسوياء مـن البشر؛ فمـا بالك بقوم لـوط الذيـن انتكست فطرتهم أصـلاً، ولم تعد لديهم الرغبـة الفطرية في النساء الفاتنات الفتيَّات المغريات، فكيف بعجوزٍ في الغابرين لا خطر عليها مطلقاً؟!

ولكـن كلُّ هذا لم يكن ليؤثـر في الغيرة النبوية المؤيَّدة بالوحي التي كانت سيدة الموقـف، وأنموذج الاقتداء للبشرية إلى يوم يبعثون، فأين هذه الغيرة ممن عبثت الخسة برجولته، وماتت نخوته وغيرته، وترك محارمه في وظيفةٍ

بين الرجال، أو في بلاد الكفر في سن الفتوة وميعة الشباب، دون ضرورةٍ ولا أمانٍ، وحسبنا الله الديَّان.

٣. الغيرة صفة من صفات الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

الغيور يتأسَّى بخيار الناس؛ وهم الأنبياء عليهم السلام ثم الذين يلونهم من الأسوياءِ والشرفاءِ؛ بدايةً من رسل الله تعالى، وامتداداً إلى الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

غيرة أبي بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وإن كان للغيرة درجاتٌ، فالمرتبة العالية يتربع على عرشها أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم أن قيل في قصة الإفك ما قيل في ابنته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقال: «ما رضينا به في الجاهلية، أفنرضى به في الإسلام؟!»[١].

غيرة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أما عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد كان يحجب نساءه، حتى بعد أن أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يأذنوا للنساء بالخروج إلى المساجد إذا استأذنَّ أزواجهنَّ، وكان عمر يتمنى ألا تستأذن امرأته في الخروج، لئلا ينفذ الأمر كارهاً، وورثه في ذلك ابن ابنه بلال بن عبد الله بن عمر؛ إذ سمع أباه يحدث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها، فقال بلال بن عبد الله: والله لنمنعهنَّ»، وفي رواية: «لا ندعهنَّ يخرجن فيتخذنه دغلاً»[٢]، ولم تقتصر غيرة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على نسائه، بل كان يغار على نساء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى طلب وألحَّ على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يحجب نسائه[٣].

---

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن (٢٤٩٨/٤).

(٢) رواه مسلم. وقد غضب ابن عمر رضي الله عنهما من قوله، لأن قول بلال غلطٌ، وفيه معارضةٌ للحديث، وكان الواجب التسليم، ولذا أنكر والده عليه بشدة.

(٣) د.حصة أحمد الغزال: الغيرة المحمودة والغيرة المذمومة بين الأزواج والضرائر والأقران في ضوء الكتاب والسنة (ص١٥١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جلوسٌ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بينما أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأةٌ تتوضأ إلى جانب قصرٍ، فقلت: لمن هذا؟ قالوا: هذا لعمر، فذكرت غيرتك فولَّيت مدبراً، فبكى عمر وهو في المجلس، ثم قال: أوَعليك يا رسول الله أغار؟[1]. قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا وإن كان مناماً لكنَّ رؤيا الأنبياء حقٌّ، ومن ثم أعمل حكم غيرة عمر، حتى امتنع من دخول القصر»[2].

قال العراقي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه معاملة الناس على قدر أخلاقهم، وما فطروا عليه، فإنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما عرف غيرة عمر لم يدخل منزله في غيبته، وإن علم منه أنه يأمنه على الدين والدنيا والآخرة، ولذلك قال له عمر ما كنت لأغار عليك، وإن حصلت الغيرة فعلى غيره، وفي رواية في الصحيح من حديث أبي هريرة: «أوَيُغار عليك»، أنكر عمر وجود الغيرة من أحد مطلقاً عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعظم حقه، وأمانته على حقوق أصحابه وغيرهم»[3].

غيرة سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وها هو سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين سمع قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن رأى رجلاً مع زوجته فليستشهد أربعةً من الرجال...»، قال: لو رأيتُ رجلاً مع امرأتي لضربتُه بالسيف، غير مُصْفَحٍ؛ أأذهبُ لأطلبَ أربعةً يشهدون حتى يقضي حاجته؟ فبلغ ذلك رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: أتعجبون من غيرة سعد، واللهِ لأنا أغيرُ منه، واللهُ أغيرُ مني، ومن أجل غيرةِ الله حرَّم الفواحشَ ما ظهر منها وما بطن»[4].

وفي تعليق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مدحٌ لغيرة سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وشجاعته، ويرافق هذا المديح أيضاً تنبيهٌ لسعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وللأمةِ جميعاً؛ فسعدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فاضتْ

---

(١) رواه البخاري (٥٢٢٧).

(٢) فتح الباري (٦/٣٢٣).

(٣) زين الدين العراقي: طرح التثريب في شرح التقريب (٢/٦١).

(٤) رواه مسلم (١٤٩٨)؛ وأبو داود (٤٥٣٢).

غيرتُـه على لسانه، وظهر منه ما يُوحي بأنه أغير من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأحبَّ النبـيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُنَبِّـه الأذهـانَ إلى أن حُكـمَ اللهِ هذا إنمـا هو حِكمةُ الحليمِ الرحيم، وإلا فغيرته سبحانه لا تُضاهى بها غيرة مخلوقٍ، تعالى الله عن النِدِّ وعن النظير.

غيرة الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عن أسماء بنت أبي بكر زوجةِ الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنها قالت: «كنت أنقـل النَّوى مـن أرض الزبير على رأسـي، فجئت يوماً والنـوى على رأسي، فلقيتُ رسـول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه نفرٌ من الأنصارِ، فدعاني، ثمَّ قال: «إخْ إخْ» ليحْملني خلفهُ، فاستحييتُ أن أسير مع الرجالِ، وذكرتُ الزبير وغيرتهُ، وكانَ أغـير الناسِ، فعرفَ رسولُ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أني قد استحييتُ، فمضى، فجئـتُ الزبيرَ، فقلتُ: لقيني رسولُ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى رأسي النوى، ومعهُ نفرٌ مـن أصحابهِ، فأناخَ لأركـبَ، فاستحييتُ منهُ، وعرفـتُ غيرتكَ، فقال: والله لحملُكِ النوى كان أشدَّ عليَّ من ركوبكِ معه، قالت: حتى أرسل إليَّ أبو بكرٍ بعد ذلك بخادمٍ تكفيني سياسة الفرسِ، فكأنما أعتقني»[1].

غيرة عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

وذكـر حماد بنُ زيدٍ عـن أيوبَ عن ابن أبي مُليكـةَ أنَّ ابنَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، سمع امرأته تُكلِّمُ رجلاً مِن وراء جِدار بينَها وبينَه قرابةٌ، لا يعلمُها ابنُ عمر، فجَمَعَ لها جَرائدَ، ثمَّ ضربها، حتى أضْبَتْ حسيساً.

غيرة معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ونقل الخرائطـيُّ قصة معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنَّه كان يأكلُ تُفاحاً ومعه امرأتـه، فدخل عليه غلامٌ له، فناولتـه تفاحةً قد أكلتْ منها، فأوجعها معاذٌ ضرباً. ودخل يوماً على امرأته وهي تطَّلع في خِبَاءِ أَدَمٍ فضربها»[2]، وقد كان

---

(١) رواه البخاري (٥٢٢٤)، ومسلم (٢١٨٢).

(٢) الخرائطي: اعتلال القلوب (٢/٣٥٩).

أصحاب رسـول الله ﷺ يسدُّون الكوى والثقـوب في جدران البيوت؛ لئـلا تطَّلع النساء إلى الرجال، وقد دخل معاذ رضي الله عنه يوماً على امرأته وهي تطلع في خباء أدم، فضربها، تأديباً لها وغيرة عليها من الفتنة[1].

غيرة عموم الصحابة رضي الله عنهم:

قال ابن هشام رحمه الله: «قدمتِ امرأةٌ من العربِ بجَلَبٍ لها، فباعتْه بسوقِ بني قَينُقـاع، وجلستْ إلى صائغٍ هناك منهم، فجعلـوا يريدونها على كشف وجهها، فأبـتْ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبهـا فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءَتُهـا، فضحكوا بها، فصاحت، فوثـب رجلٌ من المسلمين على الصائغ فقتله -وكان يهوديـاً- فشـدتِ اليهـودُ علـى المسلم فقتلـوه، فاستصرخ أهـلُ المسلم المسلمين علـى اليهود، فأُغضب المسلمون، فوقع الشـر بينهم وبين بني قينقاع. قال ابن إسحاق: فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حُكمِه»[2].

والمتأمـل لهـذه القصة يجد أنَّ النبي ﷺ لم يُعنِّـف أولياء المسلم الغيـور الـذي قتل اليهـوديَّ، ولم يحذرهم كي يحتاطوا في المـرات القادمة، وينبهـوا من حولهم إلى ضبط النفس وعدم تكرار تلك التصرفات الفرديَّة، ولم يلفـت نظرهـم إلى الرجـوع إليـه ﷺ لحـلِّ أيِّ مشكلـة، وعدم الاعتـداء على الكافر المعاهد، ولم يحذرهم من هذه الاندفاعات التي تسيء إلى مسـيرة الدعوة، وتلحق الضرر بالمشاريع الخيريـة، بل على العكس من ذلك؛ أوضحت القصة مبادرة النبي ﷺ ومن معه من الجيش المسلم بالانتصـار لتلـك المرأة وللصحابـي الغيـور دون تعنيفٍ لموقفـه، فلقد جاد بروحه رخيصة غيرةً وحميةً لعرض أخته المسلمة.

ثـم إنَّ الأمور تطـورت إلى قتلٍ وقتلٍ مقابلٍ، وإزهاق للأرواح إلَّا أنَّ جميع ما جرى ليس كثيراً على حفظ عرض مسلمةٍ واحدةٍ بدافع الغيرة عليها.

---

(١) ينظر: روضـة المحبين ونزهة المشتاقين (ص٨٦)؛ وإحياء علوم الديـن (٤٦/٢)؛ والغيرة على المرأة المسلمة (ص١٧٣).

(٢) البداية والنهاية (٣٢٠/٥).

* * * * * * * * * * * * * * *

لا بارك الله بعد العِرْض في المالِ!!

ثـم توارث المسلمون أهلُ المروءة والدّيـن والشجاعة هذا الخُلُقَ العظيمَ، والصفـةَ الجميلـةَ، وستبقى إلى قيـام الساعـة، فالغيرة مِـن الدّينِ، ومن صفات المؤمنين، كما قال النبي ﷺ: «المؤمن يغار»[1].

٤. غيرة العرب:

صحبـت الغـيرة خيـام العـرب منذ غابـر الزمـن، رافقتهـم في لهيب الصحراء ورحم الهجـير، لازمتهم في زوايا بيوتهم أكثر مما لازمت قصور الأعاجـم أتبـاع كسرى وقيصر، فقـد كانت الغيرة تنبض مـع قلب العربي، وتمـور في شرايينـه وأوردته، حتى كأنها عربية العِـرق والدم، وكأنما خُلِقت مـن أمشـاج العروبـة؛ تخرج من بـين صلبهـا وترائبها، وتكتـوي ملامحها بسمـرة الأعراب، وقد ظفروا منها بنصيب الأسد، ليضربوا أروع الأمثلة في الـذود عن المحارم، وصيانة الأعراض، فلأجـل صيانة الأعراض كم نشبت مـن حروب، وكـم أريقت من دماء، وكـم طاب فراق الأرض والوطن، وكم رخصـت الأرواح والأمـوال وطاب الهـلاك والقتل، ولك أن تـرى حالهم في الحروب لتعجب من إتيانهم بمحارمهم لأرض المعركة ليكون ذلك دافعاً لهم للاستماتـة والاستبسال؛ كي يهاجموا بقلوبٍ لا تهاب الموت، ويحرقوا الورقة الأخيرة للرجوع، ويحرقوا معها سفن الفرار والإياب.

حدثنـا التاريـخ عن أبيه عن جـده، أنَّ المرأة العربية كانـت تتمتع بغيرة الرجـال، وصيانة الأقارب وعـزِّ العفاف، على حين كانـت الشعوب الأخرى تحبس النسـاء في الخـدور، ويستبدُّ بهـنَّ الآبـاء والأقـارب، ويستعبدهنَّ الأزواج، ويقسو عليهنَّ الورثة بعد موت الوليِّ، فنقص عندهنَّ جانب المباهاة والزهو والاعتزاز بغيرة الرجال.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٦١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لقد غرس العربي الحياء والحشمة في أنفس محارمه حتى غدا فيهنّ سليقةً متينةً لا تهزّها الرياح، وازدادت متانةً وقوةً لتقادم العهد، فأرسل طفلته في سنّ صباها ترتع وتلعب في بحبوحة من العفة والطهر والاحتشام، فصار يؤلمها إذا شبت عن الطوق أن تحيا في عصمة زوجٍ ناقص الغيرة، أو أن تعيش في بيتٍ لا يراعي حرمة الاحتشام.

ولم تكن غيرة العربي ونخوته ضيقةً لتقتصر على محارمه وحسب، بل كانت واسعةً رحبة الصدر تمتدُّ لتشمل حليلة جاره ونساء قبيلته، فالشوق يحدوه للمنايا وحبال المشانق إذا استبيحت المحارم، فهناك الهلاك ومجلبة الحروب، وحين يعجز عن حفظ محارمه، فلا تسل عن الغمّ والكمد يقطعان منه الشريان والوريد حتى يهلك، فهو يؤمن أنَّ الكرامة فوق كلِّ اعتبارٍ، وحين يُعتدى على عرضه فإنَّه لا كرامة له.

إنَّ (علم الأنساب) عند العرب دليل ساطع على غيرةٍ يتيمة التكرار؛ فأنسابهم بقيت ببركة غيرتهم على محارمهم، وبصيانتهم لأعراضهم، ولن تنبت (شجرة الأنساب) إلا بغراس الغيرة على المحارم، فبقدر غيرة الرجال يكون حفظ الأحساب والأنساب، وبقاء الأنساب مرهونٌ ببقاء الغيرة في النفوس، وإنَّك لتستنطق الأعرابيَّ المغمور فيعدِّد من آبائه وأجداده ما يعجز عن تعداده ملوك أوروبا وقياصرتهم من أنسابهم وسلالة أعراقهم، تلك السلالة التي يتغنون بجمعها ومعرفتها.

لقد حدثنا التاريخ وأطال الحديث عن غيرة العربي التي تفوق غيرة شعوب الأرض من الإغريق والهنود والفرس والرومان، فلقد كانت الغيرة في قلوبهم فطرة فطرهم الله عليها، وإن كانت الغيرة في تاريخهم القديم أوفر حظاً من حاضرهم المعاصر، لسلامة فطرتهم، ولغياب التغريب عنهم آنذاك.

الغيرة عن العرب يتلقاها الخلف عن السلف تلقياً بإذعانٍ وامتثالاً يصون المحارم، ويحفظ النسل، وتتوارثه الأحفاد عن الأجداد، حتى أدركنا مظهراً

من مظاهره وهو إطلاق وصف (بنات الحمايل) على المصونات المستورات، قاصدين (بالحمايل) تلك القبائل التي تحمل السلاح إذا اعتدى أحدٌ على أعراضهم. وتوارث العرب الغيرة على نسائهم بحقيقة مقرَّرة وصورٍ مبتكرة. وثمة مظهرٌ آخر بهيٌّ كذلك وهو إخفاء أسماء المحارم غيرةً عليهنَّ، وتواصى الرجال على تربية الصغار على هذا الإخفاء والستر، وخليقٌ بمثل هذا الكتمان أن يُقابل بالتشجيع.

وقع العرب رهينةً لغيرة جامحة لا تنشُد الاعتدال، فذهبت بهم كلَّ مأخذ؛ فإذا بُشِّر أحدهم بالأنثى ظلَّ وجهه مسودّاً وهو كظيمٌ، يتوارى من القومِ من سوء ما بُشِّر به، فيا لِلَّهِ أيُّ غيرةٍ تطغى على رحمة الأبوَّة في قلبه، فيتجاهل معها عواطف الفطرة والأبوة، ويتعامى عن زينة الحياة الدنيا، ليدفن كريمته حيَّةً يدسُّها في التراب، خوفاً من ضياعها أو الاعتداء عليها، أو مقارفتها للفاحشة إذا كبرت، حتى شاع وقتها شعار: (قتْل البنات من المكرمات)؟ وبين الاعتدال والتطرُّف ضرب العربي مثلاً فذّاً لغيرةٍ كتبها التاريخ بأسطرٍ تلتهب كالجمر المتوهِّج.

جاء الإسلام فتمَّم للعرب غيرتهم كما تمم مكارم الأخلاق، فظهرت في صورتها الناطقة بأكمل معاني الغيرة الحقَّة، فشجع غيرة العربي، وربَّت على كتفه، واستحسن الكثير من غيرته، ولكن منعه من الإفراط والطغيان فيها، وهذَّبها كما يجري تهذيب الأشجار في الطرقات، فقطع زعانفها، وشذَّب زوائدها، وأعاد نخلها باسقاتٍ لها طلعٌ نضيد، فبدلاً من أن يقتل العربي ابنته، أمره بالدفاع عنها حتى وإن قُتِل، وجعل الموت دون عرضها شهادة في سبيل الله، ففي الحديث: «ومن قُتل دون أهله فهو شهيد»[1].

حرَّم الله قتل المسلمة بغير حقٍّ، تماماً كما حرَّم قتلَ الرجل المسلم كذلك، فهما في حِلِّ الدم وحُرمته سواء لا فرق بينهما، فإذا كان مسوغ القتل والدفن هو مجرد أوهام تنتظر عدد سنين، فإنَّ أحكام الشرع لا تُبنى على الظُّنون.

---

(١) رواه الترمذي بسند حسن.

إنَّ الغيرة على الأعراض شرعةٌ قبل أن تكون فطرة، والتفريطُ فيها معصيةٌ قبل أن يكون عاراً ومذمة، ولقد جعلها الله -تعالى- غريزةً في نفوس خَلْقِه من آدميين وغيرِهم، حتى جاء عصر الاستعمار يرتدي برقع التغريب، فناصب الفضيلة والأعراض العداء، فتغير كيان الأمة حتى طحنها التغريب وطحن معها غيرتها، وغدا الشعار اللائق بهم هو قول الشاعر:

أنسابنا عربيةٌ مغصوبةٌ كترابنا تسعى إلى استقلالِ

يقول أبو حامد الغزاليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلُّ أُمةٍ وضِعتْ الغيرةُ في رجالها وضعتْ الصيانة في نسائها»[1]، ويضيف المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ في الثناء على الغيور قوله: «أشرفُ الناسِ وأعلاهم هِمةً أشدُّهم غيرةً»[2].

يقول حسن البنا: «وأنت ترى -عافاك الله- أن الحيوان الراقي الفصيلة يأنف هذه الإباحة في الأعراض، ويغار الإلف منه على إلفه، ويذود عنه حماه، فلا يقتحمه سواه، ومن ذا الذي يستطيع أن يدخل عرين الأسد ليقرب لبؤته ثم لا تكون المعركة حامية والموقعة دامية يسلم فيها الشرف الرفيع؟ وهل رأيت الحمام حين يحمي أنثاه فلا يحوم حولها غيره ولا تمتد إليها عينٌ غير عينه؟... أدرك الحيوان الراقي هذا بفطرته، فقام يحتفظ بعرضه ويعتزُّ به ويذود عنه، فأية إنسانية هذه التي ترضى أن تكون أقلَّ من حيوان؟»[3].

---

(١) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين (٣/١٦٨).

(٢) المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير (٦/٢٥٣).

(٣) جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٣٢)، السنة الثانية، ١٢ رمضان ١٣٥٣هـ (خصلة الغيرة غريزة مركوزة في طباع كثير من ذكور الحيوانات). جاء في كتاب (ميرك) البيطري تحت عنوان (سلوك الحيوانات) animal Behavior: «إنَّ معارك شرسة تقع بين الديكة للظفر ببعض الدجاجات، وبالنتيجة يسود القطيع أقواها، ويخصُّ نفسه بأحسن الدجاجات دون منازع... حتى الإناث من الحيوانات ترفض الذكر وتهرب منه بعد إخصابها ولو بالتلقيح الاصطناعي؛= = لأن الجنس عندها مجرد وظيفة للإنتاج وبقاء النوع، وليس لقضاء الوطر أو الفسق»، وقد قال الدكتور إلفنجري (El – Fangary) في مقاله: «إذا تأملنا جيداً تصرفات الخنزير لوجدنا أنه الحيوان الشاذ الوحيد عن بقية الحيوانات، فالخنزير لا يأبه مثلاً أن خنزيرته تتزاوج مع

الإسلام يربي على الغيرة

إنَّ تفاوت الغيرة بين الخلق طبيعةٌ بشريَّةٌ كطباعهم الأخرى، ولأجل هذا التفاوت لم يضع الإسلام قرار الغيرة في أيدي الناس كي يختاروا مستوى الغيرة الذي يناسبهم، فيغارون حين تروق لهم الغيرة، ويتجاهلونها حين تعافها نفوسهم؛ بل شرع الإسلام الأحكام والضوابط الشرعية التي تحفظ الحدَّ اللائق بالمسلم، والذي يرتضيه الله تعالى لأضعفهم غيرة، فالحمد لله أن حفظ الإسلام لك من الغيرة ما لا يدركه عقلك، وما تصون به محارمك، فاختصر عليك إعمال الذهن وكدَّ الخاطر.

رفع الإسلام شأن (الأعراض) فجعل حفظها من الضرورات الخمس، فبنى سدود الهيبة قبل وصول الأخطار إليها، وأقام سياجاً يفوِّت الفرصة على العابثين وأهل الشهوات من خدش قداستها، وقد تكفل ربنا سبحانه لمن حفظ أوامره أن يجازيه الله بحفظ عرضه، وأن يصون له شرفه، وسأتناول بعض اللمحات في تبيان الهدي الرباني الذي يأخذ بناصيتك وأقدامك إلى الغيرة على المحارم:

- راعى الإسلام غيرتك في الدنيا، وامتدَّت المراعاة إلى الدار الآخرة، حيث جعل الله في الجنة نساءك مستوراتٍ عن أعين الرجال، فلا يراهنَّ

غيره أمامه ونصب عينيه، وهذه العادة شاذةٌ عن بقية الحيوانات الأخرى، بينما لسان حاله يقول: دع الخنزيرة تتزاوج مع بقية الخنازير الأخرى وتتمتع معهم كما تريد، ما داموا متفقين فيما بينهم، لذلك فالخنزير يسمح لأنثاه أن تتزاوج مع بقية الخنازير ما دامت هي ترغب في ذلك، وفي هذه الحالة فإنَّ أنثى الخنزير هنا بمثابة العاهرة في الوقت الذي يظهر الخنزير في عدم المبالاة والاهتمام فيما تتصرف به أنثاه». أحمد جواد: الخنزير بين ميزان الشرع ومنظار العلم (ص٨٣).

أحدٌ من الرجال في الجنة، والجنة دار الطهر تخلو من الهوى والخبث ومرض القلوب والعدوان والفحش؛ وشمل هذا الحفظ نساءك من الحور العين، فوصفهنَّ الله تعالى أنهنَّ محجوباتٌ في الخيام، فلا حظَّ لأحدٍ في رؤيتهنَّ، ووصفهنَّ بأنهنَّ قاصراتٌ ومقصوراتٌ، فلا يرين رجالاً ولا يراهنَّ الرجال، فقال: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]، ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾ [الصافات: ٤٨]، أي قصرت عينها وقلبها عليك فلا تريد غيرك، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: في الجنات خيرات الأخلاق، حسان الأوجه، فجمعن بين جمال الظاهر والباطن، وحسن الخَلْق والخُلُق، محبوسات في خيام اللؤلؤ قد تهيَّأن وأعددن أنفسهن لأزواجهنَّ، ولا ينفي ذلك خروجهن في البساتين ورياض الجنة، كما جرت العادة لبنات الملوك المخدَّرات الخفرات»[1].

• من أجل تربية النفوس على الغيرة حبَّب الإسلام إلى نسائك القرار في البيوت، حتى يسلمن من الفتنة، فلا يتجاسر عليهنَّ اللئام وأسرى الشهوات، فالخطر في خروج النساء يكمن في وقوعهنَّ فريسة للرؤية والمقاربة والاختلاط، ثم الطمع فيهنَّ من مرضى القلوب، ولهذا قال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس للمرأة خيرٌ من بيتها، وإن كانت عجوزاً»[2]، يقول محمد الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كون المرأة مقصورة في بيتها لا تخرج منه فهذا من صفاتها الجميلة»[3].

• ومن أجل تربية الغيرة في نفسك حرَّم الإسلام دخول الأجانب على نسائك، وراعى الإسلام كذلك شعورك بالحرج من منع الأجانب من الأقارب، فأزال أوهام المثاليات وتباريح الخجل، فمنع الرجال الأقارب منعاً شرعياً خاصاً بهم؛ ووصف دخولهم على النساء بالموت، لأنَّ الفتنة من

---

(١) تفسير السعدي (ص٨٣١)، والخفرات: أي: شديدات الحياء.

(٢) التمهيد لابن عبد البر (٦/٦٠٥).

(٣) تفسير أضواء البيان (٦/٤١٢).

الأقارب أيسر من غيرهم، فعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إيَّاكم والدخول على النساء، فقال رجلٌ من الأنصار: أفرأيت الحمو؟[1]، قال: الحمو الموت»[2].

• تربية للغيرة في نفسك حفظ الإسلام خلوتك بأهلك، فأمر بالاستئذان قبل الدخول عليك وعلى أهلك، وهذا الأمر يشمل الموالي، ويشمل حتى الأطفال[3]؛ حتى لا تقع أعينهم على ما لا يحسن إظهاره من العورات عند غيرك، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ [النور: ٥٨].

• وتربيةً للغيرة في نفسك منع الإسلام الأجانب أن يخلوا بمحارمك، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما خلا رجلٌ بامرأةٍ إلا كان الشيطان ثالثهما»[4]، فلا تتساهل بإركاب محرمك مع السائق بمفردها؛ لأنَّ هذه الخلوة يترتب عليها مفاسد أعظم من الخلوة في صورتها المعهودة.

• وتربية للغيرة في نفسك منع الإسلام أسباب الافتتان بأهلك؛ فمنع التبرُّج، وكشف الوجه، والتعطُّر، وإظهار الزينة والمحاسن للرجال، وزاد في التحريم لبس الخلخال، ورفع الصوت أو الخضوع بالقول، فجعل ذلك كلَّه من جملة المحرمات.

• وتربية للغيرة في نفسك أمرك الإسلام بترك الجهاد في سبيل الله تعالى إذا كانت زوجتك ستحجُّ وحدها دون محرمٍ؛ مع أنك في عبادةٍ، وزوجتك في عبادةٍ، إلَّا أنَّ الشرع يلزمك بترك عبادة الجهاد والسفر بأهلك، فقد قام رجلٌ إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله اكتتبت في غزوة كذا وكذا،

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) الحمو: أقارب الزوج من الرجال غير المحارم.

(٣) المقصود بالأطفال الأطفال القادرون على فهم عورات النساء وتمييزها من غيرها من أجزاء البدن، ثلاث مرات خلال اليوم.

(٤) رواه الترمذي (٢١٦٥)، وصحَّحه الألباني (١٧٥٨).

وخرجت امرأتي حاجّة، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اذهب فحُجَّ مع امرأتك»[1].

• بل زاد الإسلام في تربيتك على الغيرة، فحرَّم على النساء أن يصفن محارمك لأزواجهنَّ، فعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها»[2]، فبلغ تعظيم المحارم تحريم الجرأة عليهنَّ حتى ولو بنقل أوصافهنَّ لرجلٍ أجنبيٍّ، سدّاً لباب الفتنة، ولو كانت الفتنة بذكر الأوصاف فقط.

• وفي (شأن الصلاة) جاء حفظ الغيرة متعدد الأوامر والنواهي، فجعل الله صلاة محارمك في بيوتهنَّ أفضل وأعظم أجراً من صلاتهنَّ في المسجد، ولو كانت صلاتهنَّ خلف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي مسجده، جاءت أم حميد الساعديَّة إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: يا رسول الله، إني أُحبُّ الصلاة معك، فقال: «قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتكِ في بيتكِ خيرٌ لك من صلاتكِ في حجرتكِ، وصلاتكِ في حجرتكِ خيرٌ لك من صلاتكِ في داركِ، وصلاتكِ في داركِ خيرٌ لك من صلاتكِ في مسجد قومكِ، وصلاتكِ في مسجد قومكِ خيرٌ من صلاتك في مسجدي»، قال: فأمرت فبُني لها مسجدٌ في أقصى شيء من بيتها وأظلمه، فكانت تصلي فيه حتى لقيت الله عز وجل[3].

ولأنَّ صلاة الجماعة للنساء مشروعة، فإنَّ الإسلام حبَّب إليهنَّ الصلاة في البيوت، وجعل الأجور المترتبة على صلاة البيت أعظم، ولذلك اشترط العلماء لاستحباب حضور إحداهنَّ شروطاً وضوابط؛ كأن تكون كبيرة في السنِّ، بخلاف الشابة التي تمنع من الجماعة خشية عليها ومنها، وجعل الإسلام خير صفوف النساء الصفَّ الأبعد عن الرجال وهو آخرها، وشرَّ الصفوف أولها، وصفوف الرجال على النقيض من ذلك[4]، ونظراً

---

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) رواه البخاري.

(3) رواه أحمد، وحسَّنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب (٣٤٠).

(4) راجع تفصيل ذلك بأقوال أهل العلم في كتاب: مقاصد الشريعة وتطبيقها على مسألة الاختلاط.

إلى أنَّ إمام المسجد قد يخطئ وتدرك المرأة المصلية خطأه، فإنَّ واجب الرجال تصحيح خطأ الإمام بالتسبيح، وواجب النساء التنبيه بالتصفيق، حفظاً لأصواتهنَّ من سماع الرجال؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «التسبيح للرجال والتصفيق للنساء»[1].

• وتربية للغيرة في نفسها منع الإسلام المرأة أن تؤم الرجال، وأن تخطب فيهم الخطب المشروعة؛ كالجمع والأعياد والاستسقاء وغيرها، ومنعها الأذان للصلاة؛ كي لا يسمع صوتها عموم الناس، ولا تقيم لجماعة الرجال مع النساء في المساجد. قال الحطاب المالكي (ت ٩٥٤هـ): «وإن أقامت المرأة سراً فحسن»، يعني: أنَّ المرأة إن صلت وحدها فإنَّ الإقامة في حقها حسنةٌ يعني مستحبة،... وأما إذا صلَّت مع الجماعة فتكتفي بإقامتهم،... ولا يجوز أن تكون هي المقيمة للجماعة؛ لأنَّ صوتها عورة، ولا تحصل السنة بإقامتها كما لا تحصل سنة الأذان بأذانها»[2].

يقول الشربيني الشافعي (ت٩٧٧هـ): «إن رفعت صوتها (يعني بالأذان) فوق ما تسمع صواحبها. قال شيخنا في شرح الروض: وثَمَّ أجنبيٌّ، حَرُم كما يحرم تكشفها بحضرة الرجال؛ لأنَّه يفتتن بصوتها كما يفتتن بوجهها»[3].

وفي أذان النساء، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولأنَّ التأذين إنما شُرِع في الأصل بصوت رفيع، والمرأة ليست أهلاً لرفع الصوت، فإن ذلك عورة منها»[4].

خالد عثمان السبت (ص٢٩).

(١) أخرجه البخاري (٣٧٢/١) (١٢٠٣)، كتاب العمل في الصلاة، باب التصفيق للنساء؛ ومسلم (٣١٨/١)، كتاب الصلاة، باب تسبيح الرجل وتصفيق المرأة إذا نابهما شيء في الصلاة.

(٢) الطرابلسي، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٤٦٣/١).

(٣) الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (٣٢٠/١).

(٤) شرح العمدة (١٠٢/٤).

وفي جهر النساء في الصلاة يقول ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتجهر في صلاة الجهر، وإن كان ثَمَّ رجال لا تجهرْ، إلَّا أن يكونوا من محارمها، فلا بأس»[1].

قال ابن العربي المالكي في شرح حديث: «التسبيح للرجال والتصفيق للنساء»: «يعني أنَّ كلامهنَّ عورة فلا يُظهرنه»[2].

- وفي (شأن الحج) أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محارمك بالاكتفاء بحجِّ الفريضة ثم لزوم البيت، وهذا ما قاله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمهات المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُنَّ بعد حجة الوداع: «هذه ثم ظهور الحُصُر»[3].

- ومما شرعه الإسلام من أجل تربية الغيرة في النفوس أن صان صوت محارمك من سماع الرجال، فمنعهن رفع الصوت بالتلبية، يقول سليمان الباجي: «ليس على النساء رفع الصوت بالتلبية؛ لأنَّ النساء ليس شأنهنَّ الجهر: لأنَّ صوت المرأة عورة، فليس عليها من الجهر إلا بقدر ما تُسْمِع نفسها، وما زاد على ذلك من إسماع غيرها، فليس من حكمها، والجهر في الصلاة كذلك»[4].

ولا ترمل في الطواف، ولا تسعى سعياً شديداً بين العلمين، لقول ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «ليس على النساء رَمَلٌ بالبيت ولا بين الصفا والمروة»، وقال: «لا تصعد المرأة فوق الصفا والمروة، ولا ترفع صوتها بالتلبية»[5]، مع أنَّ من سن هذه السنة هي هاجر عليها السلام، وهي امرأة.

قال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «باب: المرأة لا ترفع صوتها بالتلبية استدلالاً بما مضى من قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: التسبيح للرجال، والتصفيق للنساء»[6].

---

(١) المغني (٣/٣٨).

(٢) عارضة الأحوذي (١/١٦٤).

(٣) حديث صحيح. انظر الحديث رقم (٧٠٠٨) في صحيح الجامع.

(٤) المنتقى شرح الموطأ (٣/٢٥٤).

(٥) رواه الدارقطني وقال عنه: موقوف.

(٦) السنن الكبرى (٥/٤٦).

- وتربية للغيرة في نفسك منع الإسلام المرأة من الاختلاط بالرجال في الطـواف، فقد جاء في حديث البخاري: «كانت عائشة رضي الله عنها تطوف حَجْرةً من الرجال» أي: لا تخالطهم.

- وتربيــة للغيرة في نفسك منع الإسلام سفر نسائك إلا مع ذي محرم، فعـن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قــال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يحــل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم»[1].



(١) رواه البخاري.

الرحمة الكاملة

مــن رحمة الله تعالى أنّــه ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢]، كتبها على نفسه بمشيئته ولا مُكرِه له، وما ذاك إلا لمحبته للرحمة، فرحمته وسعت كلَّ شــيءٍ، ومــن دلائل رحمته أنَّه شــرع لعباده الإســلام، والإسلام هو دين الرحمة، وأرسل رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو رحمة للعالمين، وأنزل القرآن الكريم فيه شفاء ورحمة للمؤمنين.

فكأنما صيغــت الرحمة بأدقِّ تفاصيلها وألطــف معانيها في هذا الدين، ولن يصل الخيال إلى أيِّ معنى من معاني الرحمة إلَّا وجد الإسلام قد سبق إليــه، وضمه تحت جناحيــه، ولا يزال ديننا يربط الرحمــة بالإيمان بميثاقٍ غليــظٍ حتى يصل الأذى إلى الأعراض والمحارم، وقتها تستحيل الرحمة إلى الحــزم، وينقلب الإحسان إلى الغلظة، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]، وهنا وقفاتٌ جديرةٌ بالبسط والتفصيل، أسرد الميسور منها:

١ ـ في الآيــة: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ جــاء تحــريم الرأفــة بأهل الفواحــش المندفعــين إلى الرذيلة، وتزامن تحريم الرأفــة في الآية مع إقامة الحــدود عليهــم، فإن كانوا محصنــين فالأحجار تهشــم عظامهم، وترضخ رؤوسهــم، وتصل بهم إلى الهلاك المحتــوم، وإن كانوا غير محصنين فرؤية الجَلْــد والسياط تلســع ظهورهم، والوحــي أخبرنا أنَّ الإيمــان لا يجتمع مع الرأفة بالزناة والزواني، فعلامة الإيمان محبة تطبيق الحدود على من شرع الله في حقه الحدود.

٢. في الآية: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]، فوصف الله تعالى إقامة الحدِّ (بالعذاب)، فإقامة الحدود هي غاية الرحمة وإن بدت في صورة عذاب؛ فهي رحمةٌ بالبريء حين يشاهد الرجم، ورحمةٌ بالمذنب حين يتطهَّر من خطيئته بتطبيق الحدود عليه، ورحمة بالمجتمع حين يأخذ الشرع بناصيته إلى الفضيلة، فالقصاص رحمة الله تعالى بالجميع، ومن زعم غير ذلك فقد ادَّعى وجود رحمةٍ أوسع وأعظم من رحمة الله تعالى، وخاب وخسر.

٣. حبَّب الله تعالى لنا الستر على عباده العاصين ما لم يجاهروا بمعاصيهم، وجعل سترهم عبادةً وقربةً لله تعالى، فالستر والرأفة كلاهما أمران محببان شرعاً، لكنهما لا يشملان المعتدين على الأعراض حين يتوافر الشهود أو يعترف الزناة والزواني، حينها يتشابه حكم الرأفة بهم بحكم الستر عليهم، وانظر إلى الأمر الرباني الذي جاء بمطالبة المؤمنين بالحضور حين إقامة الحدود؛ ليشهدوا عذاب العاصين ويبصروا إقامة الحدود عليهم علانيةً، دون أن يجري ذلك في مكانٍ مستورٍ، أو بيتٍ معزولٍ، أو صحراء بعيدة عن الأعين.

٤. في الحديث: «إنَّ الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليُحِدَّ أحدكم شفرته وليُرِح ذبيحته»[1]، فالله تعالى الذي أمرنا بالإحسان في ذبح البهائم والحيوانات، هو الذي أمر برجم الزواني والزناة حتى الموت، وهذا الرجم ما هو إلَّا صورة من صور الرحمة الإلهية والإحسان في القتل، وإن توهَّم العقل القاصر خلاف ذلك.

٥. يفوز أهل الفواحش بالمغفرة، فيتطهرون من الخطايا، وتفوز الأمَّة بتعظيم شأن الأعراض، وتهنأ الأرواح بالعفاف والفضيلة، وتقبيح الرذيلة،

---

(١) رواه مسلم.

واستقــذار الفــدرات، والأنفس تهاب الدنو من الفواحــش، وتتبدَّد الوسوسة الشيطانيــة بمغازلة الشهوات، وفي الختــام يعود للفاحشة وصفها وحروفها، فتصبــح الفاحشة فاحشةً في المعنى وفي المبنى، بعد أن رأت النفوس العقوبة الأليمــة لمرتكب الفاحشة، فهــذه العقوبات الشرعية تويــخ المخطئ، وتزجر المشاهــد عن الاقتداء به؛ فالنفوس مهما جمحت فإنها تتقي شر الافتضاح، وتحتاط من اللوم في العلن، فكيف إذا ذاقت العذاب في العلن؟! وكلُّ نظامٍ لا يخاف تاركه العقوبات، فإنَّه غير كافٍ للمنع والزجر.

٦. قــال الله تعــالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [النور: ٤-٥]، فالشــارع سبحانه أدخل الألسنة تحــت طائلة المحاسبة، فجعل حدّاً رادعاً لمن اجترأ بلسانه وقذف الأعراض بالفاحشة، فجعل الشرع حدَّ القاذف مشابهاً لحدِّ الزاني؛ حفظاً للأعراض، وقطعــاً للألسنــة عن الولوغ فيها، ثــم أقام الإسلام العوائــق والسدود أمام إثبــات واقعة الزنا، كالشهود الأربعــة، ورؤية الفاحشة كفلق الصبح، حتى لا تزلَّ الأفواه، وتتعثر الألسن، فمن نسي أو تجاهل ذلك وقذف مؤمناً أو مؤمنةً وجــب عليه أن يأتي بأربعة شهــودٍ على صحة ما قاله، أو يجلد ثمانين جلدة، مــع إسقاط عدالته حتــى يتوب توبة نصوحاً، وألا نقبل لــه شهادةً أبداً حتى يتوبَ، يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: «﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا﴾ أي: لهــم عقوبة أخرى؛ وهو أنَّ شهادة القــاذف غير مقبولة، ولو حُدَّ -أي: أقيــم عليه الحــدُّ- على القذف حتى يتــوب، ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾؛ أي: الخارجون عن طاعة الله، الذين قد كثر شرهم، وذلك لانتهاك ما حرم الله، وانتهاك عرض أخيــه، وتسليط الناس على الكلام بما تكلم به، وإزالة الأخوة التي عقدها الله بين أهل الإيمان، ومحبة أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وهذا دليلٌ على أنَّ القذف من كبائر الذنوب، وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فالتوبة في هذا الموضع أن يُكذِّب القاذفُ نفســه، ويقرَّ أنَّه كاذبٌ فيما قال، وهو واجــبٌ عليه أن يكذب نفسه ولو تيقن

وقوعــه، حيث لم يأت بأربعة شهداء، فإذا تاب القاذف، وأصلح عمله، وبدل إساءتــه إحساناً، زال عنه الفسق، وكذلك تقبل شهادته على الصحيح، فإن الله غفور رحيم يغفر الذنوب جميعاً»[1].

٧. راعــى الإسلام فطرة الانجذاب الفطري بين الرجل والمرأة، فقبل أن يمنــع الفاحشة، وقبل أن يضع لها هذه العقوبة القاسية، سبق ذلك كلَّه بسد الذرائــع التي تثلم الأعراض، وتضعف الغيرة، وتفتح باباً للفساد، فكان المنع من النظــر المحرم ابتداءً، وحذرنا من أنَّ العين تــزني، وجاء اللعن صريحاً للمتبرجــات والكاسيات العاريــات المائلات المميلات، ثــم خلخال ينزل فيه تشريــعٌ وآيــاتٌ، بتحريم إبــداء الزينة، وإلا فــإنَّ الإنسان يضعــف أمام كل هــذا الإغــراء وإشعال الشهوات، ثــم يقع فريسة أمامهــا أو يكاد، فليس من الإنصاف أن ندين هذه الضحية، ونشفق على السفاح.

إنَّ الفطرة السويَّة تأنس للاحتياط المشدد في حفظ الأعراض وصيانتها، ولردع النفوس الجريئة المغامرة، ولتربية الأمَّة على الغيرة، وقدح زنادها في القلــوب، ليتيقن الجميع أنَّ الموت دون الأعراض شهــادةٌ، وأنَّ المكافأة تكون الجنَّة، فلا ضير أن يفنى الرجال لتسلم الأعراض والمحارم.

إنَّ مــن فقــأ عين إنسانٍ فإنَّ دية العين تبلغ نصــف دية القتل، ولكنَّ هذه المكانــة العليا للعين تصبــح رخيصةً بلا ديةٍ ولا عوضٍ، حين تصبح عندها الأعراض رخيصةً، وتتطلع إلى الخيانة واستراق النظر إلى محارم البيوت، حــين ذلــك يخسف الشــرع بقيمتها حــين إرخاصها لقيمــة الأعراض، ففي الصحيحــين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من اطَّلع في بيــتِ قوم بغير إذنهم فقد حلَّ لهم أن يفقــؤوا عينه»، وفي لفظ: «لو أنَّ رجلاً اطَّلــعَ عليك بغــير إذنٍ، فخذفته بحصــاةٍ، ففقأت عينه، مــا كان عليك من جُنَاحٍ».

---

(١) عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٥٦١).

يقـول أبو بكر بـن العربـي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ الحرابة في الفـروج أفحش منها في الأمـوال، وإنَّ النـاس كلهـم يرضون أن تذهـب أموالهم، وتحرب من بين أيديهـم، ولا يحرب المرء مـن زوجته أو بنته، ولو كان فوق ما قال الله عقوبة لكانـت لمن يسلـب الفروج»[1]، قال ابـن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وخَصَّ سبحانه حَدَّ الزنا من بين سائر الحدود بثلاث خصائص:

أحدها: القتل فيه بأشنع القتلات، وحين خففه فقد جمع فيه بين العقوبة على البدن بالجلد، وعلى القلب بتغريبه عن وطنه سنة.

الثـاني: أنـه نهى عباده عـن أن تأخذهـم بالزناة رأفـة في دينه، بحيث تمنعهم من إقامة الحد عليهم.

الثالث: أنه -سبحانه- أمر بإقامة الحَدِّ على الزناة بمشهدٍ من المؤمنين، فلا يكون في خلوة حيث لا يراهما أحد، وذلك أبلغ في مصلحة الحد، وحكمة الزجر»[2].



(١) الموسوعة الفقهية (٩٧/٢١)، حرف (د)، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت.

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص١٤٤ بتصرف.

أنواع الغيرة

الغــيرة على المحارم هي أوضح مظاهر الرجولة، وغراس الغيرة لا تنبت بالقراءة، ولا يشتدُّ عودها بالتأليف، ولكن قد يفيد التأليف في إفاقة النفسِ بعــد غفوةٍ، ونهوضها بعد فُتُورٍ. أما الغيرة المأمولة فلا تسكن نفوس الرجالِ والأجيال إلا بسلامة الفِطرة، وبالتربية في بيئاتٍ عفيفةٍ محافظة.

ذهــب ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى تقسيم الغيرة، فقال: «والغيرة نوعان: غيرة مــن الشيء، وغيرة علــى الشيء، والغيرة من الشيء هــي: كراهة مزاحمته ومشاركتــه لــك في محبوبك، والغيرة علــى الشيء هي: شــدة حرصك على المحبــوب أن يفوز به غيرك دونــك، أو يشاركك في الفوز بــه»[1]، وانقسمت الغيرة بذلك إلى نوعين:

الغيرة المحمودة التي أحبَّها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

وهــي التي تجعــلُ صاحبَها يحمي محارمَه من الوقــوعِ في المنكرِ، وتمنعه مــن الإتيان بهنَّ إلى مواطن يُعتدى فيها عليهنَّ من السفهاء، فهي غيرة عزٍّ وحِمايــةٍ وليست غيرة ظلمٍ واستعبادٍ، ولا سوء ظنٍّ بالمرأة؛ بل غيرة اعتدالٍ، والاعتــدال جمالٌ وكمالٌ، فالغيور لا يتغافل عــن الأمور التي تخشى عواقبها السيئــة، ولا يبالــغ في الظن والقســوة في المحاسبة، قال شيــخ الإسلام ابن تيميــة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ساق جملة من الأحاديــث في الغيرة: «فالغيرة المحبوبة هــي ما وافقت غــيرة الله تعالى، وهــذه الغيرة هي أن تنتهــك محارم الله،

---

(١) مدارج السالكين (٤٣/٣). وانظر: الفوائد (ص٣٢).

وهـي أن تؤتى الفواحـش الباطنة والظاهرة، وغيرةُ العبـدِ الخاصةُ هي مِن أنْ يُشاركَه الغيرُ في أهلِه، ولهذا كانت الغيرةُ الواجبةُ عليه غيرتَه على أهله، وأعظمُهم امرأتُه، ثم أقاربُه، ومَن هو تحت طاعته»[1].

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً معنى (غيرة الله تعالى): «وغيرة الله أن يأتي العبد ما حرم عليه، وغيرته أن يزني عبده أو تزني أمته... الغيرة التي وصف الله بها نفسه إما خاصـة: وهي أن يأتي المؤمن ما حرم عليـه، وإما عامة: وهي غيرته من الفواحش، ما ظهر منها وما بطن»[2].

وللأهميـة العظمى للغـيرة على الأعراض فـإنَّ المفسد يـكاد يتميز من الغيـظ في حربه عليها، حيث ضاق ذرعاً بهذه الفضيلة، فأجلب عليها بخيله ورَجِله، وبإعلامه وقنواته، جميعهم يُشكِّكون في شريعةِ رب العالمين، مُفترين عليهـا كذباً أنَّها تقييدٌ للمرأة، وسيطرةٌ عليها، وسوء ظنٍّ بها، وعدمُ ثقةٍ في قُدُراتِهـا، فشوهوا هذه الشعيرة العظيمة التي لا يعـرِفُ قَدْرَها إلا المؤمنون بربهـم وحِكمتِـه، وعدلِـه، سبحانـه وبحمـده، ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، ويعرفُ قَدْرَها المجربون المنصفون.

صور من الغيرة المحمودة:

إنَّ المطالبة بالغيرة على النساء ليست من هوامش الحياة، ولا أقاصيص نلهو بها في السمر وأوقات الفراغ، بل هي ضرورةٌ تقتضيها شريعة الإسلام، وتتطلبها حاجة المجتمع، وكمالٌ يتواصى به ذوو الشهامة من الرجال.

وأمـا ضعف الغيرة في النفوس فهو كارثـةٌ عظيمةٌ، تحيل الفرد والمجتمع إلى قطعـان من الماشية، وتجلب خلفها مصائب كثيرة، ولعلَّ من أجلى صور الغيرة التي يرتضيها الشرع هي:

---

(١) ابن تيمية: الاستقامة (٢/٧).

(٢) المصدر السابق (٢/٩، ١١).

١. القيامُ على النساء وإغناؤهنّ بالمعروف:

يتلذّذ الغيور بحفظ محارمـه، ويستهين بالصعوبات ليسدّ حاجتهنّ، ولا يحوجهـنّ إلى الاضطرار إلى غيره، ويغنيهنّ عـن التبذّل والامتهانِ؛ صيانةً لهنّ عن أيّ غريب، فهو يجد اللذة حين يشقى ليراهنّ مُستريحات، ويستخفّ بالأخطـار ليراهنّ في بيوتهنّ آمناتٍ، ويغنيهـنّ عن سائقٍ أو سوقٍ، ويكفيهنّ مؤونةَ شراءِ حاجات البيت.

٢. العفةُ في نفس الرجل عن الحرام:

فالغيرة المحمودة لا تقف بصاحبها عند أهله وحسب، بل تتبارك لتشمل محـارم الأمـة؛ إيماناً منه بما أخرجـه الشيخان عن أنـس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قـال: «لَا يُؤْمِـنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَـا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[1]، فالمـرأة المسلمة عِرضٌ لكلّ رجال الأمة، فمن رضي بالاعتداء عليها، أو سوَّغ زناهـا، وأنس قلبه لإظهار مفاتنها، فهو ديوثٌ، لأنَّه تجاهل أنَّها امرأةٌ تحمل في قلبهـا الإسـلام، وأنها عِرضٌ للأمَّة أجمع، تجـب الغيرة عليها، والغضب لأجلهـا، والموت حفاظـاً على شرفها، وكمـا أنَّ الغيور يغلي دمــه إذا اعتدى أجنبيٌّ على محارمه، فإنَّه يغار تماماً إذا اعتدي على محارم المسلمين سواءً بسواءٍ، ومن زادت غيرته، سهُل صدُّه عن الرذيلة.

وهـذا المعنـى يؤيده الأحنـف بن قيـس بقوله: «كنـت إذا كرهـتُ شيئاً مـن غـيري لم أفعل بأحـدٍ مثلَه»[2]، وعليـه فإنَّه متى ابتعـدت الغيرةُ، قرُب الزنـا، ولم يسلم الشبـابُ والنساءُ، كقصة ذلك الشـاب حين عالجه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمخاطبـة غيرته، كما جاء عن أبي أمامـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رجلاً أتى رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقـال: ائـذن لي في الزنا، قال: فهـمَّ من كان قرب النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتناولوه، فقـال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دعـوه»، ثم قال له

---

(١) رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

(٢) ذكره ابن بطال في شرحه للبخاري (٦٥/١).

النبي ﷺ: «ادنه... أتحب أن يُفعَل ذلك بأختك؟»، قال: لا، قال: «فبابنتك؟»، قال: فلم يزل يقول بكذا وكذا، كل ذلك يقول: لا، فقال له النبي ﷺ: «فاكره ما كره الله وأحبَّ لأخيك ما تحبُّ لنفسك»، قال: يا رسول اللّه، فادع اللّهَ أن يبغّض إليّ النّساءَ، قال النبيُّ ﷺ: «اللهمَّ بَغّضْ إليه النّساء»، قال: فانصرف الرَّجل ثم رجعَ إليه بعد ليالٍ، فقال: يا رسول اللّه، ما من شيء أبغض إليَّ من النساء[1]. وفي حكم العرب: «ما فجر غيورٌ قطُّ»؛ يعني أنَّ الغيور هو الذي يغار على كلّ أنثى[2].

٣. **منع الغيور محارمه أن يقعن في شيء من قلة الحياء والحشمة، أو** يخضعن بالقول فيطمع أهل القلوبِ المريضةِ، أو تراهنَّ العيون مُتبرجاتٍ، أو تفوح عطورهنَّ عند الرجال، أو يَغشين مواطن الغفلة والفساد، أو يسمح لهنَّ أن يخالطن ويتعاملن مع الرجال بحجة وظيفةٍ، أو تطبيبٍ، أو تعليمٍ، أو ابتعاث، أو استفتاءٍ، أو مشاركةٍ إعلاميَّة، أو غيره مما لا حاجة إليه، كدخولهنَّ محلات التصوير لالتقاط الصور التذكارية، أو يرتدن الأماكن التي يظهر فيها اللهوُ والمعازفُ، أو الأماكنَ المعروفةَ بانتشار الفتيات المُسيَّبات، ونحو ذلك من تلك التصرفات التي يزداد فيها احتمالُ الضرر بهنَّ.

وذو الغيرة المحمودة لا يرضى أنْ تنزِلَ موليتُه وحدها في سوق عامٍّ دون أنْ يكونَ معها مَحْرَمٌ كما افترض اللّهُ عليه ذلك؛ تكليفاً له وتشريفاً وإعزازاً لموليته.

٤. **إبعادهنَّ عن وسائل الفساد:**

الغيرة المحمودة تبعث الحزم في قلب الغيور، فيمنع سبل الفساد من التسلل إلى محارمه، ذكر ابنُ أبي الدنيا أنَّ الحُطيئةَ نزل برجلٍ من العرب،

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٨٩٧٧).
(٢) مجمع الأمثال (٢/٢٩٢).

ومعه ابنتُه مُليكةُ فلما جنَّه الليلُ سمع غناءً، فقال لصاحب المنزل: كُفَّ هذا عنــي، فقال: وما تكره من ذلك؟ فقــال: إنَّ الغناءَ رائدُ الفجورِ، ولا أُحبُّ أنْ تسمعَه هذه -يعني ابنتَه- فإنْ كففتَه وإلا خرجتُ عنك[1].

عــن خالد بــن عبد الرحمن قال: كنــا في عسكر سليمــان بن عبد الملك فسمــع غنــاء من الليــل، فأرســل إليهم بكرةً فجــيء بهم فقــال: إنَّ الفرس ليصهل فتستودق له الرمكة، وإنَّ الفحل ليهدر فتضبع له الناقة، وإنَّ التيس لينــب فتستحــرم له العنــز، وإنَّ الرجل ليتغنى فتشتاق إليــه المرأة، ثم قال: اخصوهم، فقال عمر بن عبد العزيز: هذه المثلة ولا تحلُّ فخلِّ سبيلهم، قال: فخلَّى سبيلهم[2].

وللـخـيـر أهــلٌ يُـعـرفـون بـهـديـهـم
إذا اجتمعتْ عند الخطوبِ المجامعُ
وللـشـر أهــلٌ يُـعـرفـون بشـكـلـهـم
تـشـيـر إلـيـهـم بـالـفـجـورِ الأصـابـعُ

يقــول سمير المالكــي: «ولهذا قــال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنجشــة، وكان يحدو في السفــر، وكان صوته جميلاً: «يــا أنجشة، رويدك سوقــاً بالقوارير»[3]، قال النــووي رَحِمَهُ اللَّهُ: معناه أنَّ أنجشة كان حسن الصوت، وكان يحدو بهنَّ وينشد شيئــاً مــن القريض والرجز، وما فيه تشبيبٌ، فلم يأمــن أن يفتنهنَّ ويقع في قلوبهــنَّ حداؤه، فأمره بالكف عن ذلك، ونقل الحافظ في الفتح (١٠/٥٤٥) عن الشراح قولين في معنى ذلك، وأنه: إمَّا أن يكون صيانةً لهنَّ عن السقوط، لإســراع الإبل حــين سماعها حداء أنجشــة، وإمَّا خوفاً عليهــنَّ من الافتتان بصوته الجميل، ثم قال الحافــظ: والراجح عند البخاري الثاني، وقال ابن الأثــير: شبههــنَّ بالقوارير لأنَّــه أقل شيء يؤثر فيهنَّ، كمــا أنَّ أقلَّ شيء من

---

(١) إغاثة اللهفان عن مكائد الشيطان (١/٢٤٦).

(٢) إغاثة اللهفان (١/٢٤٦).

(٣) رواه البخاري ومسلم.

الحداء والغناء يؤثر في النساء[1]. قال سمير: كان أنجشة عبداً أسود، ولكن صوته كان جميلاً بالحداء والغناء، فخاف النبي صلى الله عليه وسلم على النساء من الافتتان بصوته، كما خاف على النساء من الافتتان بحسن الفضل بن عباس، فغطى وجهه، ولوى عنقه، واليوم يطلع علينا الناعقون من دعاة الفساد والفتنة، يريدون من الفتاة الشابة أن تخالط الرجال والشباب في كل موطن، ويزعمون أنها محصنة من الوقوع في الفتنة، وكأن نساء هذا الزمان أتقى وأنقى من نساء عصر النبوة»[2].

الغيرة المذمومة، وهي الغيرة المخالفة لشرع الله سبحانه وتعالى:

عن يحيى بن أبي كثير رحمه الله قال: قال سليمان لابنه: «لا تكثر الغيرة على أهلك ولم تر منها سوءاً، فتُرمى بالشر لأجلك، وإن كانت منه بريئة»[3].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «الغيرة غيرتان: غيرةٌ حسنةٌ جميلةٌ يُصلِحُ الرجلُ بها أهلَه، وغيرةٌ تُدخلُه النارَ، تحمله على القتل فيقتل»[4].

وإنَّ من الغيرة غيرةً عقيمةً لا تجلب نفعاً، ولا تسقي زرعاً، إلا زرع الخيانة، فربما ابتليت العفيفة بزوجٍ موسوسٍ يظلمها بشكوكه، فتدفع من حياتها ثمناً لتسلُّطه وبغيه، وربما انحرفت تلك العفيفة واستهوت الميل إلى ما نُهيت عنه، وسيقت إلى الفاحشة بسبب أصابع التخوين والاتهام بالخنا -وإن كانت غير معذورة- فيُوَسْوِسُ لها الشيطانُ عملَ الفاحشة ما دامت متهمةً على كلِّ حالٍ، فيغريها الرجل بطباع سوءٍ لم تكن من طباعها، وربما جلبت الغيرة المذمومة حديث الناس عنها بالسوء، ونظراتهم الفاحصة لحركاتها وسكناتها، وربما نسجوا عنها القصص والأكاذيب، وأصبحت

---

(١) جامع الأصول (١٧٣/٥).

(2) https://goo.gl/c3fQcN

(٣) حلية الأولياء (٧١/٣)؛ وانظر: سامي المحمود: الغيرة حصن المسلم (ص٢).

(٤) رواه ضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٢٢٦/٢)، وقال: إسناده صحيح.

محلُّ الريَب والشكوك، فتختفي راحة البال واستقرار النفس، ويتسع الجرح الغائـر في الأعماق، الـذي يجعل المـرأة تشعر بالدون؛ لاتهامهـا في شرفها المصون.

عن جابـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن مـن الغَيْرة ما يحب الله عـز وجـل، ومنها ما يبغض الله عز وجل، ومن الخيـلاء ما يحب الله عـز وجـل، ومنها ما يبغض الله عز وجل؛ فأما الغَـيْرة التي يحب الله عز وجل فالغَيْرة في الريبة، وأما الغَيْرة التي يبغض الله عز وجل فالغَيْرة في غـير ريبـة، والاختيال الذي يحب الله عز وجل اختيال الرجل بنفسه عند القتـال وعنـد الصدقـة، والاختيال الذي يبغض الله عـزَّ وجلَّ الخيلاء في الباطـل»[1]. قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالغَيْرة في الريبة: نحو أن يغتار الرجل علـى محارمه إذا رأى منهـم فعلاً محرماً؛ فإن الغَـيْرة في ذلك ونحوه مما يحبـه الله... والغَيْرة في غير ريبة: نحو أن يغتار الرجل على أمه أن ينكحها زوجها، وكذلك سائر محارمه؛ فإن هذا مما يبغضه الله تعالى؛ لأنَّ ما أحلَّه الله تعـالى فالواجـب علينا الرضا بـه؛ فإن لم نرض بـه كان ذلك من إيثار حمية الجاهلية على ما شرعه الله لنا»[2].

والإنسـان ضعيـفٌ بطبعه، فمتى أطلـق العنان لغيرته بلا حكمـة، فإنَّها تتضخـم وتتصاعد، فتهزُّ العقل، وتؤذي الأعصـاب، وترهق الجسد، وتؤول إلى الريبة والظن، ثم التجسُّس والتحسُّس، ثم إلى الظلم والعدوان، واقتفاء خُطا الشيطـان، وبئس المصير، ولذا جاء النهـي صريحاً عن طروق الرجل أهله ليلاً بنية التقصِّي وطلب العثرات كما في الحديث المتفق عليه عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: «نهى رسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يطرق الرجل أهلـه ليلاً يتخوَّنهم، ويلتمس عثراتهم».

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٥٩): والنسائي (٥/٧٨-٧٩). وحسَّنه ابن حجر في (تخريج مشكاة المصابيح) (٣/٣٢٥). والألباني في (صحيح سنن أبي داود).

(٢) الشوكاني: نيل الأوطار (٧/٢٨٧).

أمثلة الغيرة المذمومة:

كما أن للغيرة صوراً مشرقةً، فإنَّ لها صوراً مذمومةً ظالمةً؛ كأنْ يمنع الرجلُ محارمه الزواج؛ غيرةً عليهنَّ، أو يغارَ عليهنَّ فيمنعهنَّ من صِلَة الأرحام كالأعمام والأخوال، سواء بالنسب أو الرَّضاعة، أو نظر الخاطب لإحداهنَّ نظرة شرعية فيمنَعُهُنَّ من ذلك، وكلُّ غيرةٍ منعت حقاً أو جلبت ضرراً فهي مذمومةٌ، وصاحبها معتدٍ.

كن حفيد سعد، لا عزيز مصر:

همَّت أسماء بنتُ أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن تركب ذلول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتذكرتْ غَيْرَةَ زوجِها الزبيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فامتنعت عن الركوب، وسبحان الله حيث حبستها غيرة زوجها عليها، مع أنَّها في جوار نبيٍّ أمينٍ معصومٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وحفيدة أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا اليوم تقتدي بشعور جدَّتها بالأمس، فتفرح وتبتهج بغيرة الرجل عليها؛ بل تزداد غبطتها وحبورها بقدر ازدياد غيرته عليها، ولا تخجل من البوح بافتقارها إلى تلك الغيرة ما لم تصل إلى الإفراط المذموم، فتقول:

يا حفيد سعد، قلبي يملؤه الزهو والسعادة حين أشعر أنَّ الرجال يرخصون أرواحهم ليصونوا عرضي وشرفي، وأشعر بالأمان والفخر حين أرى حماة الفضيلة وحرَّاس العفاف، وأنت أولى منهم بالغيرة عليَّ يا من ولاك الله أمري، فظللني بجناحك، وأحطني برجولتك؛ رجولة باطنها فيه الرحمة، وظاهرها العذاب لمن يترقب أو يقترب، فأنا لست فُرجةً بالمجان ولا ساحةً خصبةً للفساد، تستهوي كلَّ غادٍ ورائحٍ.

أرهف سمعك وقلبك لبوحي الخفي الذي يقول لك: «إني أريدك أن تغار عليَّ»، فغيرتك دليل صونك ومحافظتك؛ ومن فطرة حواء أنَّها تشعر بالافتخار الأتمّ بعد الإسلام حين تظفر بغيرة الرجل، فهي أجمل تاجٍ أضعه على جبيني، وأتزين به.

أحنُّ إلى قوامتك، وأتوق إلى رجولتك وغيرتك، فأخبرني لماذا التفريط والإهمال باسم الثقة تارةً، أو بحجة التطوُّر والمدنية تارةً؟!

لقد انتفض قلبك غضباً فهجرتني وقاطعتني حين طلبت من البائع إيصال الحاجيات إلى المنزل وأخذتها منه بنفسي، ثم إنك رمقتني مرَّة أخرى بعينٍ حادَّةٍ، وفرضت عليَّ ألا أجالس إلَّا محارمي فقط، حين أخبرتك أني قبل زواجي بك كنت أعيش في بيئة تبيح مجالسة الأقارب، لا أكتمك سرّاً أنني بقدر رعبي منك وقتها كنت أهنأ وأطرب لغيرتك، وأرتاح لسلامة فطرتك، حقاً لقد كنت أرى رجولتك المكتملة، وأرتوي بغيرتك، وأعيش معها أنوثتي وهنائي.

لا أدري ما الذي غيَّرك ونكس فطرتك؟! هل تلوث قلبك بسموم الغرب القادمة من وراء البحار؟! وهل شربت قناعاتها الآسنة؟! أم أنَّهم رفاق السوء نسفوا قناعاتك؟! أكاد أشكُّ أنَّك أنت أنت حين دعوتني لمشاهدة فيلمٍ من أفلام العشق والغرام، أو دعوتني للسمر أمام شاشات الإعلام، التي يجري فيها ما يجري من صنوف المخازي والحرام؟!

يا حفيد سعد، أرفض الغيرة الانتقائية، التي تجعل دماءك تغلي حين أذكر اسم رجلٍ خطبني قبلك، ولكن بالمقابل أراك تأمرني بالسفر مع أخيك، وقد تجاهلت قول الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ: «الحمو الموت»، ثم تأمرني بضيافته حال انشغالك، وليست المصيبة مقصورةً على أخيك؛ بل تنازلتَ أكثر حين دعوتَ نادل المطعم ومضيف الطائرة ليضاحكني، ويقدم لي الطعام بمباركتك.

يا حفيد سعد، لا يمكن أن أصدِّق أنَّك تسرد لصديقك الحميم تفاصيل ليلة البارحة، الذي باح بسرِّك لاحقاً لصديقيه الحميمين، وأعاد له ذات التفاصيل، ولربما أضاف إليها مواعيد عذري الشرعيِّ. كفاك عبثاً، ولن أذكرك بالوعيد النبويِّ، ولكن آن لك أن تغار؟!

هل أصفُ ألمي حين توصلني إلى (الطبيب)، ثم تمكث في سيارتك لتقول: «أنا هنا بانتظـارك فلا تتأخري»، وما كلَّفت نفسك وبذلت وسعك وقصارى جهدك أن تذهب بي إلى (طبيبةٍ)، بل قدَّمت راحتك على حفظ محارمك.

لقد كنت تراني وتدرك أنِّي أخدع نفسي بالترخُّصات، وأتساهل في غطاء وجهـي باللثمة الكسيحة، ثم رأيتني وأنا أنتقل إلى كشف الوجه فلم تعاقبني أو تعاتبنـي أو تغضـب مني؛ بـل أمرتني علانية بخلع الغطـاء عن وجهي في أرض الله الواسعة، فليت الغيرة منعتك من هذه المصيبة.

كنـت قديمـاً تطيش غضباً حـين ذهابي مـع السائـق، أو مكالمتي لرجلٍ غريبٍ حتى وإن كان أحد الشيوخ، والآن تبارك ذهابي بنفسي إلى الجامعة، وتغـدو أبكـم مشلول الشفتين حـين تعلم باختلاطي بالرجـال ما بين زملاء ودكاترة، ولا نكير لديك من محادثتهم وملاطفتهم لي.

أراك قبلـت أن أترك العبـاءة وأكتفي بلباس الوظيفة، ثـم رأيتني ألبس الجاكيـت الطويل إلى الركبة وتحته ألبس البنطال، وأنت في سالف عهدك كنـت تنهاني عن لبس البنطال أمـام أولادي أو أمام محارمي، والآن صرت ترضى أن ألبسه أمام الرجال الأجانب.

أصمـت والحسرات تمضغ قلبي حين أتذكر غيرتك في السفر، وحرصك علـى ألَّا أكشف وجهي بالليل إلَّا حال خلوِّ الطريق، واليوم تأخذني بلا مسوِّغ إلى بلاد الكفر لأجل زيارة أخي المبتعث، وبعد أن أصابنا الذهول من التبذل الفاضـح في المطار رحت تأمـرني بالتساهل في الاحتشـام والحجاب بحجَّة عدم لفت الأنظار.

وختامـاً -وبئـس الختـام- عرضـتَ عليَّ فكـرة الابتعاث هنـاك بحجة الدراسـة، فصرتُ أذهـب بنفسي للجامعة وأجالس الرجـال، وأستعين بهم في شـؤون الدراسة، وأنت تدرس في جامعةٍ وأنا في جامعـةٍ أخرى، وسعيت بنفسـك وأنت في تمام الغبطـة والرضا عن دراستي في الطـبِّ والتمريض،

وأنـت تعلم أنَّ الحـال سيؤول بي إلى وظيفـة أخالط فيها الرجـال، وأسهر معهـم الليالي الطوال، ورأيتنـي أردُّ على اتصالات الغربـاء ما بين زميلٍ له حاجـة، وآخـر لي أنا إليه حاجة، وثالث لا هدف لـه إلا تفقد الأحوال، ورابع يطلب لقائي لأجل حفل التخرُّج والاصطفاف مع الطلاب.

نعـم هنا تُسْكَب العبرات، وتنتحـب الرجولة، وحقَّ لي وللرجولة أن نبكي جميعاً على غيرتك.

يـا حفيـد سعد، احفظني عن الجميع، فالرجـل رجلٌ، قاد مركبةً أم قاد دولةً، وتذكَّر أنَّ غيرتك عليَّ حقٌّ لي عليك، ولن أسامحك فيه أبداً.

لقـد جعلتني أتعطَّش لشعـور تباهي به النساء، شعـورٍ ليس من فطرتك وحـدك: بل إنَّ أنوثتي تجوع إليه، وقلبي يتعطش فرحاً لغضبك القديم الذي أراه حين يقترب أحدٌ من عرضي وشرفي، فيا حفيد سعد بن عبادة، أرجوك عُدْ إلى فطرتك ورجولتك، ثم أعدني إليك.

لـكلِّ مـن ابتُلِيَت بـزوجٍ كعزيز مصر، احـذري أن تقتـدي بزليخا، فقد تخرجـين من حياة زوجـك بورقة طلاقٍ، ولكن أهم ورقـة هي صحيفتك في الآخـرة، التي ستُعرض على ربِّ العبـاد: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠]، فاحفظيهـا يحفظكِ الله، وليهنكِ العفاف... ودامـت حياتكِ للطهر نبضاً، وانتهى حديث حواء، وبقي عندي في المداد قطرات قبل الختام:

همسة أخيرة:

- غـيرة الرجل دليل الثقـة بالنفس، فضعيف الغيرة هـو صاحب الثقة المهـزوزة، وفـارقٌ بين عدم الثقـة بالنفس وبين عدم الثقـة بكلِّ رجلٍ أجنبيٍّ، وعدم ائتمانه على المحارم والأعراض.
- إنَّ الغـيرة أنثى تجمع في رحمهـا: «الاهتمام بالمـرأة، والدفاع عنها، والاستعداد للتضحية لأجلها».
- الإعـلام العلمـاني يعيب الرجـل المسلم ويطلق عليـه وصف (الرجل

الشرقي)، لأنَّه غيـور، والإعلام نفسه يتغنَّى بصفات الرجل الكافر، ويتلطَّـف بوصفه (بالرجل الغربـي) لأنه ديُّـوث، فالإعلام العلماني يحارب ما يحبه الله مـن خصال (الرجل الشرقي)، ويطالب بجميع خصال (الرجل الغربي) التي يكرهها الإسلام.

- الإعـلام يحارب قوامة الرجـل كي ينتزع القوامـة لنفسه، فيقوم هو بعد ذلـك بالوصاية علـى أفكاره، وأفـكار أسرته، وأفـكار محارمه؛ فيصبح الإعلام هو الممسك بالقوامة، فالوصاية الإعلامية استرقاقٌ واستعبادٌ وإجبارٌ، ولكن عليه قميص الإرادة والاختيار.
- بعض المفتونات بمحاسن الغرب تتذمر من غيرة الرجل عليها، وتردِّد دون وعيٍ عبارات: (ذكوريَّة، سلطويَّة، انغلاق، تعقيد، تخلُّف، احتقار المـرأة، عدو المـرأة، ضد المـرأة، إلخ)، ومـا علمت أنهـا بهذا الكبر والجهـل ستخسـر طعـم الفطرة السويَّـة التي لا مذاق لهـا إلا بغيرة الرجال عليها.
- لـو جمعنـا كلَّ بنات حـواء في شخص امـرأةٍ واحدةٍ، ثـم سألنا هذه المرأة: ما قيمة العيش في ظلِّ رجل لا يغار، فسيكون جوابها: إنَّها حياةٌ مخيفـةٌ، ومعيشـةٌ لا تستحق المواصلـة فيها، إحساسٌ مميتٌ وشعورٌ قاتلٌ.



أسباب ضعف الغيرة

(غيرة الرجال) و(عفاف النساء) توءمان متلازمان، خرجا من رحم الفطـرة السويَّة، فحاربها الحاكم العلمانيُّ بالإعلام، وهاجمها عالم السوء بالفتاوى المترخصة، وظلمها المجتمع الفاسد بالدياثة، وإبليس لم يكن غائباً عن المشهد؛ حيث كان يقود الجميع بسلطته الخفية، ولله درُّ الغيورين الذين صمـدوا في وجه المؤامرة، فكانوا هم الغُصَّـة والصخرة أمام خطط العدو، وكلمـا خبت نيران الغيرة زادوها سعيراً، فهم الذين ينهضون شامخين حين تركـع النفوس للتغريب بـلا دبابةٍ أو مدفعٍ، وحين يصبـح الرجال الأشاوس كالأسارى، وتصبـح الحرائر كالسبايا أسيراتٍ لموضاتـه، ومنكسراتٍ أمام فجوره، ويغدو الأولاد على عتبات بابه يتامى الدين والخلق، وإن كان آباؤهم أحياء يرزقـون، فكان لزاماً على الباطل أن يحارب الغيرة ويضعف أسبابها بعوامل لعل من أهمها:

١. ضعف الإيمان:

الرجولـة الكاملة تستعـذب الغيرة على المحـارِم؛ لأنَّهـا صفةٌ يشترك فيها الخَلْقُ جميعاً، إلا أنَّ زيادة الإيمان تزيد الغيرة بركةً ورسوخاً، فبقدر إيمـان العبـد بقدر ما يكـون حِفظه لمحارمـه، وهذا الإيمـان لا يُضعِفُه إلا الذنـوبُ والمعاصي، وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الذنوب والمعاصي: «أنها تُطفئ من القلب نارَ الغـيرةِ التي هي لِحَيَاته وصَلاحه كالحرارة الغريزيةِ لِحياةِ جميعِ البَدَنِ، فإنَّ الغيرة حرارتُه ونارُه التي تُخْرِجُ ما فيه من الخَبَثِ والصفـاتِ المذمومةِ، كمـا يُخرِجُ الكـيرُ خَبَثَ الذهـب والفضة والحديد،

وأشـرفُ النـاسِ وأعلاهم قـدراً وهِمَّةً أشدُّهم غيرةً علـى نفسه وخاصته وعمومِ النـاس.

ثـم قـال: ولهـذا كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أغـيرَ الخَلْـقِ على الأمـة، واللهُ -سبحانـه- أشدَّ غـيرةً منه، كما ثبـت في الصحيح... والمقصـودُ أنه كُلَّما اشتـدتْ مُلابستُـه للذنوب خرجتْ من قلبه الغيرةُ علـى نفسه وأهلِه وعمومِ النـاس، وقد تَضعُـفُ في القلب جداً حتى لا يستقبح بعـد ذلك القبيحَ لا من نفسـه ولا مِـن غيره، وإذا وصل إلى هذا الحدِّ فقـد دخل في بابِ الهلاكِ... فانظر ما الذي حملتْ عليه قلةُ الغيرةِ»[1].

ولا يشـكل هنـا ما ثبت من غيرة العربي الكافر؛ فـإنَّ قوة غيرته لم تكن بسبـب الشرع، وإنما دافعها الحياء تارة، والحميـة أخرى، أما غيرة المسلم فالحامل عليها إيمانه العميق، وحميته لدينه وعرضه.

فيظهـر الفـرق بينهمـا إذا اتضح الباعـث والحامل، فقـوة الغيرة ليست شرطاً لقوة الإيمان، بخلاف ضعفها إذ كان سببه ضعف الإيمان ونقصه.

٢. الحكومات العلمانية بأنظمتها الفاجرة:

مبكـراً جداً ساد الوعي بأهميـة القرار الصادر عـن السلطان، وأهمية الآثار المترتبة عليه، فقد قال عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنَّ الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»، وهذا السلطان إما أن يكون عبداً للرحمن، وإما أن يكون وليـاً للشيطـان، يأخذ بخطامه كي يسعى في الأرض فساداً، فيهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد، وموقف الإمام يحيى حين منع الأوروبيات من النزول لليمن بالألبسة القصيرة هو مثالٌ عابرٌ لموقفٍ معاصرٍ:

---

(١) ابن قيم الجوزية: الجواب الكافي (ص٦٧).

الامام يحيى والآداب الشرقية

روى لنا أحد القادمين من بلاد اليمن ان باخرة اجنبية وصلت أخيراً الى ميناء «الحديدة» ورست فيها فنزل ركابها الى البر ليتفرجوا على المدينة وبينهم عدد من النساء الاوربيات وقد ارتدين فساتين قصيرة من دون اكمام ومقورة عند الصدر فلما رآهن معتمد الامام يحيى هاج لمنظرهن وماج وأرسل كتاباً الى الامام بما رأى وأتاه الرد بان يكلف النساء الاوربيات العودة الى باخرتهن وعدم النزول منها ما دمن لا يرتدين ملابس مطابقة لتقاليد البلاد وعاداتها

إنَّ نشـوة الحـاكميـة وزهو الملك مصيبةٌ كافيةٌ، تجعـل السلطان يحرص علـى ترويض شعبـه بالرذيلة، وتدنيـس عقولهم بالفسق، فكيـف إذا حكم بـلاده بالأنظمة العلمانيـة، التي يمازجها الفجور حتـى النخاع، ومن كبرى غاياتها تدييث المجتمع، وإشاعة الفاحشة في الجماهير.

جاء في مجلة الفتح عام ١٩٢٨م ما نصه: «وها هي الحكومة التركية تجعل لبس البرنيطة الأوروبيـة إجبارياً على جميع المسلمـات؛ أي إن المرأة المسلمة التي تعتقد وجوب الحجاب ليس لها حرية الاعتقاد ولا حرية الملبس»[١].

وهـذا (أمـان الله خـان) أول حاكـم علماني في بـلاد الأفغـان يعاقب المعترضين على حلق اللحى بالقتل حتى ولو كانوا من علماء الشرع المعروفين؛

(١) مجلة الفتح، العدد (١٢٦)، بتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩٢٨م.

كـي يزيـل العوائق التي تمنعه من جرجـرة البلاد إلى التغريـب الذي كانوا يطلقون عليه مصطلح (التفرنج)[1]:



دفنوهم تحت الاحجار

وهذه القسوة نفسها رأيناها في ملك امان الله فانه قتل بعض العلماء الذين عارضوه في حلق اللحى. واللحية عند الافغاني شيء عظيم جدا لا يتنازل عنه. ولذلك هنا سنسمع شيئا كثيرا عن القسوة المتبادلة بين جنود الحكومة وجنود الثائرين على نهضة التفرنج التي يتحمس لها «الملك» أمان الله

فتيات الافغانيات اللواتي ارسلهن امان الله لكي يتعلمن في تركيا وأوربا ويصرن طبيبات وممرضات

مـن هنا سعى حكام العلمانية، أمثال أتاتورك، إلى تفسيق الشعوب، فإن عجـزوا عن ذلك بالإغراء اندفعوا إلى إجبـار الشعوب بالقوة، يقول محمد كشـك واصفـاً الحال في تركيـا: «في سياسـة التغريب.. كتبت مـن الشمال لليمين وبحـروف لاتينية كالغرب، وخلعت الإسلام، وقـرأت القرآن والأذان باللاتينـي! ولبسـت البدلـة والقبعة بأمـر القانـون.. وعطلت يـوم الأحد، وحوّلـت المساجـد إلى متاحـف، وحـرّرت المرأة علـى أوسع نطـاق، وجعلت الـزواج والطلاق على الطريقة الغربية المسيحية، وحتى الميراث، واشترطت (Family Name)، (اسـم عائلـة) كمـا هـو الحـال في جـوازات وبطاقات السيـاح الغربيين! لم تترك صغـيرةً ولا كبيرةً من مظاهر الغرب إلا وقلدتها

(١) من مجلة (كلُّ شيء والعالم)، عدد (١٦٤٣١)، ديسمبر ١٩٢٨م.

علـى نحوٍ يفوق قدرة القرود.. وظلت دولـةٌ متخلفةٌ يفتك بها الفقر، وترتفع نسبـة الأمية بها عن سبعين بالمئة.. تغرَّبت بكل طاقتها، فبقيت خارج نطاق الدول الصناعية أو المتمدينة»[1].



ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية

[illegible]

مصطفى كمال والحروف اللاتينية

نرى في أعلى صورة مصطفى كمال وقد وقف يعلم الأتراك الحروف اللاتينية التي استبدلوا بها الحروف العربية في أحد الميادين العامة لإحدى مدن شمال تركيا. وقد أجاز تعليم هذه الحروف في كل ناد [illegible]

رسم توضيحي (١): كل شيء والعالم نوفمبر ١٩٢٨م

وجـاء في مجلة العروسة مـا يؤكد أنَّ التغريب بطش بالهوية الإسلامية وفرض الهوية العلمانية، على رغم أنـف الشعوب، حتى وصل إلى حد القتل عقابـاً لمن رفض الملابس الغربية، تقول المجلـة: «إنَّ المحاكم التركية قضت علـى عـدَّة أشخاصٍ بالموت لأنهـم تجاسـروا أن يتحدَّوا النظـام الجديد، فلبسـوا الطربوش مـع وجود القوانين المشدَّدة التي تمنـع ذلك، وكنا نودُّ أن يُنَزِّه الأتـراك أيديهم عن سفك دماء الناس لسببٍ تافهٍ كهذا، فإنَّ الثورات

(١) محمد كشك: ودخلت الخيل الأزهر (ص٢٣).

الاجتماعيـة لا يجب أن تقـوم على مسائل الموضة؛ بل علـى مبادئ عمرانية محضـة، وليـت شعري أيُّ خطرٍ علـى الدين أو الدولة أو العمـران إذا أصرَّ الإنسـان على ارتداء ثوبٍ معينٍ بـدل ثوبٍ آخر، وأيُّ مصيبةٍ تُلِمُّ بالوطن من جراء ذلك»[1].

مجلة العروسة في ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢٥

الاتراك ان المحاكم التركية قضت على عدة اشخاص بالموت لانهم تجاسروا ان يتحدوا النظام الجديد فلبسوا الطربوش مع وجود القوانين المشددة التي تمنع ذلك وكنا نود ان ينزه الاتراك ايديهم عن سفك دماء الناس لسبب تافه كهذا فان الثورات الاجتماعية لا يجب ان تقوم على مسائل الموضة بل على مبادىء عمرانية محضة . وليت شعري أي خطر على الدين او الدولة او العمران اذا أصر الانسان على ارتداء ثوب معين بدل ثوب آخر وأي مصيبة تلم بالوطن من جراء ذلك ؟

بـل وتطوَّرت الهمجيـة في معاداة الإسـلام إلى محو المعاهـد العلمية، وقتـل القضاء الشرعي، وإزالة الأوقـاف، والفجور في خصومة الدين حتى وصل -كما تنقلـه مجلة (كلُّ شيء والعالم) في عددها ١٢٩ بتاريخ ٩ يوليو ١٩٢٨م- إلى إجبـار المسلمـين علـى الصلاة بالطريقـة الإفرنجية؛ حيث جـرى منع الوضوء، ومنع السجـود، وبوضع مقاعد في المساجد يقعد عليها المصلون كما يقعد المسيحيون في الكنائس، حتى صار المسلم يدخل بحذائه في مسـاجـد تركيا، زد على ذلـك إدخال الموسيقى في الصلاة، كما في هذه الوثيقة:

(١) مجلة العروسة، ٢٣ ديسمبر ١٩٢٥م.

مصطفى كمال والصلاة

(س) قرأت في كلامكم عن « كبار الطغاة » ان مصطفى كمال اجبر قومه على الصلاة بالطريقة الافرنكية . فكيف كان ذلك ؟ (م . ا . م .)

(ج) ذلك – على ما بلغنا – بمنع التوضؤ في المسجد ومنع السجود ووضع مقاعد في المساجد يقعد عليها المصلون كما يقعد المسيحيون في الكنائس حتى يمكن المسلم الآن ان يدخل بحذائه في مساجد تركيا وقد ادخلت الموسيقى في الصلاة

واليـك وثيقة أخرى تقـارن حال التركيات قبل العهـد العلماني بحالهنَّ أيام الخلافـة العثمانية في قضية حجاب الطالبـات واختلاطهنَّ بالرجال، ومنحهنَّ العصمة والتزويج دون إذن أهلهنَّ.

{ البلاغ الاسبوعي ١٠ ديسمبر ١٩٢٦ }

لم تكن الفتيات قبلا يغادرن الحرم للذهاب الى المدرسة ولم يكن يبرزن سافرات الوجوه أما الان فيذهبن الى المدرسة ويعاشرن الشبان وقد يخطبن لانفسهن قبل ان يدرى آباؤهن شيئاً

وهـذه قصاصةٌ من مجلـة العروسة أيضاً تبين حـال التركيات في بقية المهن والوظائف:



ليست النهضة النسائية في تركيا بحديثة العهد بل ترجع الى اكثر من عشرين سنة غير انها لم تظهر ظهوراً جلياً الا في اثناء الحرب الكبرى ولا تزال سائرة بنشاط الى الآن في الاستانة كلية للمرسلين الاميركان خاصة وفوق هذا الكلام سيدة خالدة أديب هانم لا. شأن المرأة التركية

وقد زاد اقبال السيدات التركيات على رفع الحجاب ولا سيما بعد ان كثر وجودهن في الاعمال العمومية وكثيرات من سيدات الاتراك يتعاطين اعمالا مستقلة كالمحاماة والتطبيب ومسك الدفاتر وفوق هذا الكلام بعض السيدات ذاهبات الى اعمالهن

هكذا كانت الأحوال، وليس العيان كالخبر، فقد دأب فرعون المعاصر على تقريب خصوم الدين أسوةً بما كان عليه فرعون الغابر، وحرص على اصطفاء دعاة الرذيلة ليجعلهم البطانة والحاشية، كما جرى من فرعون حين وضع المكافآت للسحرة على حربهم للدين والرسل، فوعدهم بقوله: ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [الشعراء: ٤٢]، فالمكافـأة الفرعونيـة لحرب الدين هي منحهم القربى من عرشه، وكونهم البطانة والحاشية، وبذل الأمـوال الطائلة لهم، فهؤلاء وأمثالهم هم الذين يستحقون أوسمة الإكبـار والصدارة، وهذا ما يوضح معايـير كلِّ فرعون في اختيار بطانته وحاشيته.

لقد اختصر الحكام العلمانيون ما أضنى اليهود أنفسهم من أجل الحصول عليه، وما ضحى النصارى في سبيل تحقيقه، وكما استحيا فرعون نساء شعبه فإنَّ فرعون المعاصر عرض شرف الحرائر من شعبه في المزاد بثمنٍ بخسٍ دراهم معدودة، فنالت الأمَّة على أيدي حكامها ما لم تنله على أيدي خصومها، وشرعوا جاهليةً معاصرةً هي أسوأ مما عرفناه عن الجاهلية الأولى، فجاهلية اليوم أشدُّ كفراً ونفاقاً من كلِّ جاهليةٍ سالفة، وهي مضرب المثل في الكفر وزوال الغيرة والحياء، وتجميل وجه الفاحشة بصورةٍ يأنف منها الكافر من قريشٍ وهذيلٍ وثقيفٍ.

وهكذا تستحكم الغواية ويتراكم الضلال، ويقتدي العوام (برموز الانحلال)، الذين سرقوا جلباب القدوة، ونالوا تبعية الجماهير، وهم في حقيقة الأمر أسرى أذلاء يصنعون ما يصنعون استجابة لقوادة حكوماتهم، التي تنشر جرثومة الدياثة، وطاعون الخسَّة، فأصبحوا هم القدوات والمثل الأعلى لجماهير الناس بسبب تلميع وسائل الإعلام، وما أدراك ما وسائل الإعلام؟! وهو ما سيأتي الحديث عنه في الأسطر القادمة.

٣. الإعلامُ الفاسد:

في البدء انطلق الإعلام في أنحاء العالم الإسلاميِّ من أحضان الاحتلال؛ كما جرى في العراق ودول المغرب ومصر والكويت وغيرها، ولم يغب يوماً عن شاشته تمرير الرسائل التي يسعى إليها المحتلُّ، لأنَّ الإعلام هو خير أدواته لاستعباد العقول، ونقل البلاد من الاحتلال المسلَّح إلى الاحتلال الخفيِّ، فراح يعبث بالبصر ليسهل له العبث بالبصيرة، وباستثارة الشهوات ليسهل فرض الاحتلال على الأرواح.

أصبح الإعلام هو المسيطر على المجتمع، والمهيمن على معاييره ومقاييسه، ولم يعد مجرد وسيلة ترفيه كما يراه بعضهم، بل صدق من وصفه بـ(السلطة الرابعة)، سلطةٌ ديدنُها التضليلُ، وغايتها الإفسادُ،

ودساتيرهـا تشمل الصـدود عن شرع الله مـروراً بأغاني الغـرام، وماجن الأفـلام، وسهرات الآثام، وحكايـا الخيانة والحـرام، فتعرض تلك المعاني بالملابس الخليعة، والعبارات المثيرة، والحركات الفاجرة، ليصل الناس إلى حـدِّ التطبيع والاعتياد، والمخجـل أننا نشتُمُ السلطة الرابعـة ليل نهار، وفي الوقـت ذاته نمدح اليد الخفية التي تديرها وتدبرهـا، بل ونقبِّلها ليل نهار، ونصف صاحبها بولي الأمر.

استقطـب الإعلام متابعة الجمهـور شيئاً فشيئاً، حتى صار تمثالاً يعكف عليـه في البيوت؛ فيربيهـم ويصنعهم على يده، ليرتسمـوا ثقافته المرذولة، وينتزع الغيرة من قلوب الرجال، والحياء والحشمة من قلوب النساء، وينتزع دينهم قبل ذلك كله.

وقد تزامن مع تلك المفاسد أن ابتلينا بوباء المداهنة في حدود الله تعالى، والصمـت عـن رقة الديـن في قلوب النـاس، فصار الوقـوع في الكبائر عند النـاس أمـراً تافهاً، وإنـكار المنكرات لم يعد لائقاً في عصـر الحريات، وهو مـا أضعـف الإنكار في الجميع، ولـو زعم أحدنا خلاف ذلـك لكذَّبه الواقع، وتزامـن مع ذلك كلـه الانتقاص لكلِّ مظهرٍ من مظاهـر الإسلام وعباداته، والغمـز واللمز لكلِّ متمسـكٍ بالسنن، واشتعلت الحـرب على الإسلام تحت خديعة النقد لسلوكات أهله الخاطئة.

وحين أضعنا الاحتساب، وفقدنا غيرة الرجال، استطاع الإعلام أن يتسلَّل إلى خـدور المصونـات حاملاً علـى ظهره الفـتن، فدنا منهنَّ أقـرب من رفع اليدين إلى الفم، وطاردهنَّ في القرى والصحاري والجبال ومطاوي الشعاب، وقـد كنَّ لا يعرفن الطريق إلا نادراً، وإن خرجن فبصحبة آبائهنَّ أو إخوانهنَّ أو أزواجهنَّ، فانقلب الحال إلى أسوأ حالٍ، ومن جلب وسائل الإعلام إلى بيته فقد أدخل الفتنة المخوفة إلى محارمه، أدرك ذلك أم غفل عنه، وليس بالأمين مـن أهمل النفايات في بيته ولم يخرجهـا، فكيف بمن نثرها عند أولاده، وكلا الرجلين أكثر أمانة ممن جلب قنوات الفحش إلى رعيته.

ومن خلال التثقيف الإعلامي طويل المدى انتكست المفاهيم حتى غدا الشرك توحيداً، والحكم بما أنزل الله رجعيةً، والباطل حقاً، والرذيلة حضارةً، والقبيح موضةً، والشر خيراً، ونصرة الحق فتنةً، والمعتدي بطلاً، ومن ذلك تبشيعه للغيرة على المحارم، وتشويهها في القلوب، حتى خبت جذوتها وبرد موقدها، فرآها بعضهم رجوعاً إلى زمن التخلُّف وعصر الكهوف، وانتشرت بسبب هذا الإعلام مفاهيم كثيرة لا يميزها إلا إرخاء العنان للشهوات، دون حسيبٍ ولا رقيبٍ، فحورب الإسلام وتعاليمه ورموزه، وفشا التمرد على محابِّ الله، وهُتِك إهاب الفضيلة، وتحطمت سدود العفة أمام طوفان الشهوات، التي يبثُّها الإعلام.

في تركيا

قال المنطم: قررت الحكومة التركية أن تكون الروايات التي تمثل على المسارح في تركيا مختصرة ومنطوية على تمجيد الثورة الكمالية واشترطت ألا يرد فيها أي ذكر للاسلام ولا السلطنة العثمانية كما أبلغت مديرى المدارس بأنه لا يجوز لهم أن يجيزوا تمثيل الروايات الاسلامية والعربية التي تعلي شأن الاسلام

مجلة الفتح العدد ٤٤٣ الخميس ٢٩ محرم ١٣٥٤ هـ

لقد صدَّق إبليس ظنه على كلِّ إمَّعةٍ يتابع ما يعرضه الإعلام من الخيانات الزوجية، والتعري الجاهلي، وشربِ الخمور، والاغتصاب، وفوضى الهياج الجنسيِّ الذي وصل إلى المحارم، وراح يوحي زخرف القول غروراً؛ للتقريب من الزنى، وإيهام الرجال استحالة العيش دون عشيقةٍ وصديقةٍ، ثم سحروا عقول الفتيات بضرورة الارتباط بالعشيق؛ لتبادله النزيف العاطفي الحادَّ،

وهو ما أفسد عزوبتها وأفسد فهمها للزواج! ومنحها فساداً استباقياً يخلخل دورها في الزواج والأمومة.

ولعلَّ المسلسلات المدبلجة هي خير مثالٍ لأسوأ حالٍ، إذ جمعت وثنية اليونان والإغريق، وتبرُّج الجاهلية الأولى، ورذيلة اليهود والنصارى، ودياثة الغرب، فجمعت في مضامينها الخبث والخبائث، وما تفرَّق من الكفر والفسوق والعصيان في مئتي عامٍ، بدءاً بعلمانية محمد علي باشا، وختاماً ببعثية النظام السوري، ومروراً بعلمانية أتاتورك، مما يُؤكد نيابة الإعلام عن الاحتلال المسلَّح، ويؤكد خصومته للإسلام والعفاف والفضيلة، وسعيه للإفساد، والله لا يحب الفساد.

فاشتعلت الغرائزُ، وتأهب كلُّ جاهلٍ لمصادمة ما يحرمه لذائذه حتى ولو كان دين الإسلام، فوقع الشباب والفتيات فريسةً للقلق والكآبة وأوهام اليقظة، كما يصف أبو الأعلى المودوديُّ تلك الحال، إذ يقول: «ويكون الدم في عروقهم في غليانٍ مستمرٍّ بتأثير ما حولهم من الأدب الخليع، والصور العارية، والأغاني الماجنة، والأفلام الغرامية، والرقص المثير، والمناظر الجذابة من الجمال الأنثوي العريان، وفرص الاختلاط بالنصف المخالف؟! أستغفر الله: بل أنَّى لهم ولأجيالهم الناشئة أن يجدوا في غمرة هذه المهيِّجات الجو الهادئ المعتدل الذي لا مندوحة لهم عنه لتنشئة قواهم الفكرية والعقلية، وهم لا يكادون يبلغون الحلم حتى يغتالهم غول الشهوات البهيمية، ويستحوذ عليهم؟! وإذا هم وقعوا بين ذراعي الغول، فأنَّى لهم النجاة منه ومن غوائله وعواديه؟!»[1].

٤. السفرُ إلى بلاد الكفار:

من مظاهر ضعف البشر أنَّ طباعهم تتأثر بمن يخالطونه ويعاشرونه، سواء من البشر أو من غيرهم، حتى وإن كانت مخالطتهم للبهائم التي

---

(١) أبو الأعلى المودودي: الحجاب (ص٣٧).

يقومون برعيهـا، فراعي الغنم يتأثر بخصال مواشيه فيقبس منها السكينة والوقـار، وراعي الإبل يتأثـر بأباعره فيقبس منها خصلـة الكبر والخيلاء، ومن رعى الخنازير وأكل لحمها وشحمها ماتت غيرته، واكتسب منها انعدام الغيرة، واقتبس الدياثة بأبشع صورها وكامل معانيها.

جـاء في الحديث المتفق عليه أنَّ قاتل المئة نصحه العالم بقوله: «انطلق إلى أرضـ كذا وكذا؛ فـإنَّ بها أناسـاً يعبدون الله، فاعبـد الله معهم، ولا ترجـعْ إلى أرضك؛ فإنها أرضُ سـوءٍ»[1]، لأنَّ التوبة مهما عظمت تنهار أو تـكاد في البيئة الفاسدة، ولذا جـاء الوعيد الشرعي لمن عاش بين ظهراني المشركـين، والنبـي ﷺ تبرأ من كلِّ مسلمٍ يقيـم في بلاد الكفر، مع مراعـاة أنَّ الفسـاد في زمن النبوة لا يبلغ معشار الفسـاد المعاصر، فضلاً عن سهولة الوصـول إلى بلادهم بصورة أيسر عشرات المرات مما يكابده المسافـرون في ذاك الوقت؛ مما زاد خطورة الإعجاب بعقائدهم، واقتباس دياثتهـم ومجون نسائهـم، فصار المهاجر إلى بلاد الكفـر يعود إلينا بغير الوجـه الـذي ذهب به، وانقلب حـال المسلمة التي كانـت تأبى ظهور يديها وأطـراف رجليها، لتعود إلينا بوجهها الـذي نزعت عنه الحجاب، ونزعت منه قبل ذلك ماء الحياء، وكشفت الحرائر خمارهنَّ عن الشعور بلا حياءٍ ولا شعورٍ؛ لأنَّ موضة الكفار صاغت عقولها وفؤادها بعد أن حَدَّدَت لباسها ومظهرها.

يقول عبد الله الفوزان: «فإنَّ الإنسان -وإن كان عنده غيرةٌ- إذا أقام في بلـدٍ تكثر فيه المعاصي؛ فإنَّ غيرته تضعف أو تموت بالكلية، ويصبح مجارياً لهـم فيما هم عليه. وقـد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنَّ مشاركة الكفار في الهدي الظاهر، توجـب الاختلاط الظاهر، حتى يرتفع التمييز بين المهديين المرضيـين وبين المغضوب عليهم والضالين. هـذا إذا لم يكن الهدي الظاهر إلا مباحـاً محضاً لو تجرد عن مشابهتهم، فأما إن كان من موجبات كفرهم

---

(١) متفق عليه.

فإنّـه يكون شعبـة من شعب الكفر، فموافقتهم فيه موافقـةٌ في نوع من أنواع ضلالهم ومعاصيهم، فهذا أصلٌ ينبغي أن يتفطن له»[1].

إنَّ السفـر إلى بلاد الكفار مسمـارٌ في نعش الغيرة على الأعراض، ومنذ رحلات الابتعاث الأولى على يد رائد العلمانيّة الأول محمد علي باشا، والسمة الغالبـة على العائدين من الغرب أنّهم لا يعـودون بغيرةٍ ناقصةٍ وحسب؛ بل يحملـون مشاعر الهجوم والعداء على غـيرة المجتمع وتمسُّكه بالفضيلة، ثم إذا انقلبـوا إلى أهلهم انقلبوا بالغمز واللمـز للغيورين، بدعوى حرية المرأة واستقلالها، وإذا وصفوا الغـيرة على المرأة وصفوها بالانتقاص والاحتقار، وأنهـا تعني النظر إلى المرأة نظرةً جنسيـةً، وقد رمتني بدائها وانسلّت؛ لأنَّ الحقيقة أنهم هم الذين يختصرون المرأة في صورة الخليلة المشتهاة والرحم الرخيصـ، وفي ختام هذه الضوضـاء والفوضى في القناعات ربما تقع حواء في الفخّ، وتبتلع الطعم بلا مضغ.

إنَّ في هـذا إثارة للشجون وحيرة للعقول، وما مثلنا ومثل أبنائنا المبتعثين إلّا كالعقرب تلسع نفسها بذيلها فيسري السمُّ في جسمها فتموت منتحرةً.

إن مـن أبناء المسلمين من رجع من الغـرب وهو مسلوب الغيرة، مسحور العـين بقـاذورات القوم هناك، فأصابـه العمى عن مفاخـر آبائه وأجداده، فانقلـب الـبرُّ عنـده إلى العقوق، وصـار مطأطـئ الرأس أمـام كل غربيٍّ، ساجـد الكرامة عند أقدام فكرٍ مستوردٍ، ليكـون في النهاية حرباً على دينه وأمّته، ولعلي أسوق هنا مثلاً لمن يعترف بنفسه بذلك بعد توبته؛ وهو الأديب المصري منصور فهمي، وقـد كان أحد المختارين للبعثة العلمية إلى فرنسا، حيث اتصلت دراسته خمس سنوات، نال بعدها شهادة الدكتوراه في موضوع (المرأة في الإسلام)، وهو موضوع لم تكتمل للدارس فيه ثقافةٌ إسلاميةٌ يردُّ إليها من ينابيعها الصحيحة.

---

(١) عبد الله الفوزان: حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول (ص١٧٦).

يقول -على سبيل المثال- في مجلة (حياتك)، الصادرة في ديسمبر سنة ١٩٥٨م: «كانت رسالتي في الدكتوراه عن المرأة في الإسلام، واندفعتُ أكتبُ بحرارة الشباب المندفع، ويظهر أني انحرفت قليلاً حيث كانت معلوماتي عن الإسلام طفيفةً، وحين قُوبلت -في مصر- بضجَّةٍ كبرى ازددتُ عناداً، ولكن الله كتب لي أن أجلس طويلاً مع بعض مشايخ العلماء، من ذوي الأفق الواسع، والصدر الرحيب؛ من أمثال الشيخ حسونة النووي، والشيخ مصطفى عبد الرازق، والشيخ علي سرور الزنكلوني، هؤلاء الذين يمثلون (عالم الدين) الحقيقي في عقولهم وعلومهم، فبدأتُ أتخلَّص من الزيغ، لأعود إلى حظيرة الدين والحمد لله».

سئلت اللجنة الدائمة: هل يجوز السفر إلى بلاد أمريكا للدراسة؟

الجواب: الحمد لله، لا يجوز لك أن تأخذ العلم إلا عن أهله الثقات المأمونين، وخاصة العلوم الدينية والعربية، وذلك متوفر بحمد الله في الدول الإسلامية، فلا يجوز السفر إلى الدول الكافرة للدراسة بها، إلا فيما لا يتيسر لك دراسته على المسلمين في البلاد الإسلامية من العلوم الدنيوية، كالطب والهندسة ونحوهما، ولم يتيسر استقدام من يُضطر إليه من المتخصصين الأمناء في العلوم الكونية إلى الدولة الإسلامية للقيام بتدريسها للطلاب المسلمين، وكانت أمتك مضطرة إلى هذا العلوم، لتكتفي بأبنائها بعد التخرج في القيام بما تحتاج إليه عن استقدام كفار يقومون به، وكنت في نفسك مُحصَّناً في دينك بالثقافة الإسلامية، ولا يخشى عليك من الفتن أيام دراستك في بلاد الكفار، وإقامتك مدة الدراسة بين أظهرهم، فيجوز لك حينئذ أن تسافر للدراسة في بلاد الكفار، وأمريكا ونحوها في ذلك سواء[1].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١٢/١٣٧).

٥. أكل لحم الخنزير:

إنَّ مـن مفاسـد الحياة في الغرب التـي لا يكاد يسلم منهـا مقيمٌ بينهم هـو أكل لحـم الخنزير، وهو ما حرص الاحتلال علـى جلبه لبلاد المسلمين؛ لمـا يترتب على أكله من إفسادٍ يتجلَّى في تجـارب أجراها بعض العلماء على الأطفال لمعرفة تأثير المغذِّيات علـى شخصيتهم وسلوكهم، فإنَّه -كما يقول صاحـب كتاب الطبِّ الوقائي في الإسلام-: «تتأثر طباع الإنسان جداً نتيجة أكلـه لحم الخنزيـر، وقد رأينـا سابقاً نتيجـة الهرمون المسمـى (Diethyl stilbesterol) حين أُعطِي للعجول، فقد زادت العادة الخبيثة في عملية اللواط والجمـاع الجنسي فيما بـين الذكور للإنسان، لذلك فإن لحم الخنزير لا بد وأن يؤثـر على سلوك وشخصية الإنسان العامـة، بزيادة انحطاط الأخلاق فيه، ذاكرين منها اللواط والسحاق والزنى والدعارة المتفشية في المجتمعات الغربية»[١].

يقـول د. أحمـد جـواد: «قد ثبـت أن أكل لحـوم العجل المحْقـون بمادة هرمونيـة اسمهـا (Diethyl stilbesterol) (DES) كان له تأثير على سلوك وشخصيـة النـاس؛ حيث زاد بهم عمليـة اللواط أو الجمـاع الجنسي المثيل لجنسه»[٢].

ويقول في موضعٍ آخر: «يعتقد أنَّ أجسامهم وعقولهم ونفوسهم أصبحت ملوثـةً مدنَّسـةً، حتى إنَّهـا أصبحت تؤثـر في ذريَّتهم، أي إن هـذه العادات الوسخـة أصبحت تنتقل بيولوجياً من جيلٍ إلى آخـر، دون استثنـاء، وإنَّ أيَّة إطالةٍ في حياتهم لن يكون إلا استفحالاً في نشر الرذيلة»[٣].

---

(١) الطـب الوقائي في الإسلام (ص١٠٥). مع التحفظ على تسميـة هذه الفاحشة (باللواط) نسبة إلى لوط عليه السلام، ففيها من البشاعة ما فيها.

(٢) أحمـد جـواد: الخنزير بين ميـزان الشرع ومنظار العلـم (ص٨١)؛ الطـب الوقائي في الإسلام (ص١٠٤).

(٣) الخنزير بين ميزان الشرع ومنظار العلم (ص٨٤).

ويقـول صاحب كتاب الطـب الوقائي: «إنَّ مجتمـع (WASP)، وارتكاب الفحشـاء في المحـارم، لهي من الأفعـال الذميمة التي كثـيراً ما تحصل في المجتمعـات غـير الإسلامية، وكيـف لا يحدث هـذا وهم يأكلـون من لحوم حيوان يرون قذارته وشبقه ثم يجعلون من لحمه وجبة أساسية؟ وبملاحظة لما سبق نجد أنَّ أيَّ تحسينٍ في المجتمع يجب أن يبدأ أولاً من الوجبة الغذائية الصحيحـة، وذلك لتصحيح كيميائية الجسم من جديدٍ، وخاصةً لتصحيح الجهاز العصبي والدماغ»[1].

وقـد قـال الأستاذ الدكتور أحمـد شوكت الشطي، في مطلـع مقاله (أثر الغـذاء في الطبـاع والخلق): «يقـال إنَّ الممثـل المشهور (كـين) كان يختار طعامـه وفقاً للدور الذي ينوي تمثيله على المسـرح، فكان يأكل لحم الثيران الوحشية قبل أن يمثل دور الطغاة، ولحم الخنزير قبل أن يمثل دور الفساق، ولحم الحمام قبل أن يمثل دور العشاق»[2].

«إلا أنَّ التقـدم والرقـيِّ في الطبيعـة البشريـة الـذي حققتـه الحضارة الحديثة عجز عن وضع حدٍّ لأكل لحم الخنزير، على الرغم مما كشف عنه العلم من أضرارٍ متنوعةٍ ومتعددةٍ نتيجة ذلك»[3].

٦. اختلاطُ النساء بالرجالِ الأجانبِ عنهنَّ:

حرص أذناب العلمانية على جلب خطايا الغرب المعاصرة وأخذوا يدعون الأمة إلى مقارفتها، كالاختـلاط بين الجنسين، وما يتبعه من المكث الطويل في الدراسـة أو العمـل أو غيرها، مما يـورثُ الامتزاجَ والتعـارُفَ، والتمازُجَ المفضـي إلى زوالِ الكُلْفةِ، ومِن ثَم اضمحـلال الحياءِ الذي هو مادةُ الدِّين، وأعظمُ الزواجر عن كل مَنْقَصَةٍ ومَزَلَّةٍ. وإذا زال الحياءُ فلا تسل، فمن أبي

(١) الطب الوقائي في الإسلام (ص١٠٦).
(٢) الخنزير بين ميزان الشرع ومنظار العلم (ص٧٢).
(٣) الخنزير بين ميزان الشرع ومنظار العلم (ص٣٥).

مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»[1].

وقــد جاء عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ما يدعو إلى الحذر من ذلك، فهذا علي ابــن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُرسِلُ لإحدى المدن يُخاطبُ أهلَها، فيقول: «بلغني أنَّ نساءكــم يزاحِمن العُلــوجَ -أي كفارَ العَجَمِ- في الأســواق، ألا تستحيون، ألا تغــارون؟! إنَّه لا خيرَ فيمن لا يغارُ»[2]، ويقول في موضع آخر: «ألا تستحيون؟ ألا تغارون؟ يترك أحدكــم امرأته تخرج بين الرجال تنظر إليهم، وينظرون إليها؟»[3].

روى البخــاري عــن ابن جريــج قال: أخــبرني عطاء إذ منــع ابن هشام النســاء الطــواف مــع الرجال، قــال: كيف تَمنعهــنَّ وقد طاف نســاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الرجال؟ قلت: «أبعد الحجاب أو قبل؟»، قال: إي لعمري، لقد أدركتــه بعد الحجاب، قلت: كيف يخالطــن الرجال؟ قال: لم يكنَّ يخالطن. كانــت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تطوف حَجْرة مــن الرجال لا تخالطهم، فقالت امرأة: انطلقي نستلم يا أم المؤمنين، قالت: عنكِ، وأبَتْ[4].

٧. ثقافة المجتمع:

تعظم البليــة إذا صار المجتمع أسيراً لأعرافٍ تهــزأ بالفضيلة، وتتهاوى فيهــا عروش الاحتشام والتحفظ، ويعلو فيهــا شأن التعري والتبرج، وتعتري الهيبة قلب المعترض والمستنكر بسبب سطوة جمهورها وغضبه.

---

(١) رواه البخاري، رقم (٣٤٨٣) و(٣٤٨٤) من حديث أبي مسعود عقبة بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه الإمــام عبــد الله بن الإمام أحمــد في زياداته على المسند، رقــم (١١١٨)، وصححه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى.

(٣) الذهبي: كتاب الكبائر (ص١٧١، ١٧٢).

(٤) صحيــح البخــاري، رقم (١٦١٨)، ومعنــى (حَجْرَة) أي ناحية، يعني أنهــا لا تُزاحم الرجال في الطواف، ومعنى (أبَتْ)؛ أي رفضت وامتنعت أن تُزاحم الرجال لِتستلم الحجر أو الركن.

إنَّ مجتمعات السوء آفةُ كلِّ خير، وداءُ كلِّ فلاح، وحين يجتهد الغيور بالنصح والاحتساب على منكرات النساء، راحوا يجادلونه بالباطل، ويَصِمونه بالتشدُّد، ويثبطونه ويسخرون منه، محتجِّين بأنَّ (الناس) صاروا يفعلون هذا، أو استندوا إلى أنَّ: «الدين يسرٌ»، وقيل له: «دعْهم وشأنهم واترك لهم حُريتهم»، ثم يتوالى بعدها قذف الشبهات، وينصب الشيطان بينهم خيامه ليرمي بأضاليله، وما تنطوي عليه من الأمر بالفاحشة والقرب من الزنى؛ فتخرس الأفواه أمام تبذُّل المصونات، وتندفع الطبائع صوب الشرور، ويستباح بعد ذلك إتيان المنكرات والمفاخرة بها، وبعد أن كان التعري في استتار، أصبح من ضروب المباهاة، وتتبهت عقول النساء إلى بهرج (الكسوة العارية) الذي وصف الحديث من يلبسنه بأنهنَّ: «كاسيات عاريات»[1]، ووالله ما جلب التعري إلّا النقائص، وما يتبعها من السفاهة والهلاك، فالمرأة إذا غوت غدت من أعظم حبائل الشيطان، حيث يستهوي فؤادها بالتعري، وهذا التعري يستهوي قلوب الرجال بالانفلات خلف هوى النفس، وأكثر هوى الأنفس يكونُ فيه هلاكُها، والنار محفوفةٌ بالشهوات.

٨. الاقتداء بدياثة الغرب:

وصف الله تعالى الكافرين بأوصاف عدَّة في مواضع متفرِّقة في كتابه، فتارةً يصفهم بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]، وتارةً يصفهم بقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥]، وتارة يشبِّههم بالأنعام، ثم يعقب ذلك التشبيه أنَّهم أضلُّ من الأنعام، وكلُّ هذه الأوصاف ساقها الله تعالى لنا ونحن المعنيون بفهم هذا الوصف؛ ليختصر علينا الخالق حقيقة ذلك المخلوق الكافر، وما الحجم الذي يجب أن نعطيه إياه، وما مقدار الكرامة التي يجب أن نمنحها لمن هم أحطُّ من مراتب

---

(١) رواه مسلم.

المخلوقات جميعاً، ثم إنَّ الله تعالى أوضح لنا بالمقابل أكمل مراتب العلو البشري؛ حيث أسبغها الله على عباده المؤمنين، وحباهم إياها دون غيرهم، فقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، فالمكانة العليا يستحقها المؤمن وحده، وذلك فقط لأجل إيمانه، وكفى بالإيمان رفعةً وعزَّة، أما الكافر فله مكانة الدون والدناءة، لأنه شر الخلائق على الإطلاق؛ وذلك فقط لأجل كفره، وكفى بالكفر مهانةً، ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

إن هذا المقياس الساطع الذي جعله الله جلياً في كتابه الكريم، قد انقلب رأساً على عقب، فأصبحت التصورات مرتبكةً مقلوبةً، فالكافر الذي وصفه الله تعالى بـ﴿شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ صار هو القدوة لتلك البريَّة، وأمَّا المؤمن الذي هو (الأعلى) بكل المعايير، فأصبح هو الأسفل والمقلد المستكين، وكلُّ ذلك بسبب التلبيس العلماني على عقول المجتمعات، وبسبب الخلط بين الحضارة والقذارة التي جلبها الاحتلال إلى الأمة الإسلامية.

إنَّ دياثة الغرب بمعزلٍ تماماً عن تقدُّمهم الدنيوي، فلا ارتباط للقذارة بالحضارة، والعلمانيون يعظمون حضارة الغرب في نفوس الناس لكي يروجوا قذارته الأخلاقية، مع الإهمال التام لجلب أيِّ صناعةٍ غربيَّةٍ أو تقدُّمٍ تقنيٍّ إلينا، والباطل له بريقٌ مزيفٌ، يفتح على القلب بهارج الفتن، وكفى بالعاقل سوءاً أن يخلط بين سيئتين؛ سيئة الاغترار بتقنيات الغرب دون تصنيعٍ، وسيئة اقتفاء أثرهم في الكفر والإفساد والانحطاط وحسب، وصدق السباعي حين قال: «إذا لم تستطع قول الحقِّ، فلا تقل الباطل»، والغيور لا يشكُّ أننا في غاية الزهد والاستغناء عن حضارتهم، إذا كان ثمن ذلك هو الإخلال بعقيدتنا، وفساد أخلاقنا، وضياع أعراضنا، يقول الشاعر:

الغرب يعدو في رهانهْ ... والشرق يخبط في مكانهْ
الغرب يملك عزَّهُ ... والشرق يرسف في هوانهْ

إنَّ الإسلام واضحٌ منذ البدء بالتفريق بين الاستفادة من (دنيا) الغرب، وبين التحذير الشديد من الاغترار بكفرهم وفساد أخلاقهم، فنهانا كثيراً، وبصيغٍ مختلفةٍ، حتى لا نخلط بين (تقنية الخندق) وبين (محبة الفرس) والاقتداء بهم، ففهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ذلك غاية الفهم، فحفروا الخندق وفق ثقافةٍ فارسيةٍ، وبعدها بسنوات حاربوا الفرس وأسقطوا عقيدتهم، ومحوا سيئَ أخلاقهم.

وها نحن اليوم نضرب رقماً قياسياً في الانتقاء المغلوط، فانزلقنا في محبة الفرس، والاقتداء بهم في السفاسف، دون أن نتعلَّم حفر الخندق، فضاع ديننا ولم نحفظ دنيانا، ومع صمت الأمَّة عن الدعوة والاحتساب اندفع الفجار إلى تحسين كلِّ قبيحٍ غربيٍّ، وتشويق النفوس إليه، وأُشربوا في قلوبهم عجل التغريب، فاجترأت الجماهير على الفساد، وصاروا أسبق من الشياطين إلى كلِّ ضلالة، ولم نستفد من الغرب إلَّا تنحية شرع الله تعالى والتعري والدعارة ومزاحمتهم في جحر الضب.

إنَّ غواة التجديد الكاذب المفتونين بثقافة الغرب لم يكونوا نزيهين في طرحهم، ولم يكونوا أصحاب قضيةٍ تنفع أقوامهم؛ ولم يطالبوا حتى بما عند الغرب من صوابٍ وحقوقٍ، بل تجاهلوا المطالبة بحرية التعبير، والمشاركة السياسية، واستقلال مؤسسات الدولة، بصورة تشابه حال كعبتهم المقدسة هناك؛ بل غاية أمرهم أنهم ثرثروا قرنين كاملين في تحبيب الناس في زخارف المدنية الغربية، ورجم الإسلام وأهله بكلِّ أنواع الجمود والتأخر، وأنهم في انحطاطٍ فكريٍّ مانعٍ من السير مع الزمن وتطوره، فأبغضوا الإسلام وبغَّضوا أهله فيه، وارتابوا منه وشككوا الناس في أصوله، وتنكَّروا له ولتاريخه، ولم يقدموا بديلاً عنه سوى الدعوة إلى حرية الإلحاد والخلاعة والتعري، والحقيقة أنَّ الهوى تخطَّى هواجسهم فطفح على قلوبهم حتى لعب بأقلامهم، فكانت النتيجة أن شابهنا الغرب في العهر والمجون، في حين تخلفنا بالمقياس الدنيوي عن موزمبيق وأثيوبيا في المشاركة

السياسية وحرية الرأي، وصدق من قال: «من هدم دينه كان لمجده أهدم، ومن ظلم نفسه كان لغيره أظلم»، والغربيون حديثاً أفضل منّا في الحفاظ على سمعتهم ومكانتهم.

وفي مثالٍ فاقع الألوان لهؤلاء العملاء يطالب طه حسين صراحةً: «أن نسير سيرة الأوروبيين، ونسلك طريقهم، لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يُحَبُّ منها وما يُكره، وما يُحمَد منها وما يُعاب»[1]، حتى وصفه إسماعيل شلبي بقوله:

إنَّ العجائب كلها	قد مُثِّلت للناظرين
وبدا الجنون صحيفةً	عنوانها طه حسين
يا قوم دين الله يشـ	ـكو من قساةٍ ظالمين
عكفوا على تحقيره	ودعوه دين الجامدين
قولوا لقاضي الحق يقـ	ـضي في الهوى كالعادلين



(١) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر (ص٤١).

ثم تضاعف الانحدار بسبب نداءات هؤلاء إلى شطط أبعد، فآلت تلك النداءات بخديعة المصونات، فحملت لهنّ الطريق إلى مواخير الزنى، وهذا ما ربط فيه د. فخري ميخائيل بين اقتداء المسلمات بأزياء وموضات الأوروبيات وبين انتشار البغاء بينهنّ، فيقول: «ومن العوامل التي ساعدت على انتشار البغاء السري أيضاً الرغبة العارمة بين المصريات في تقليد الأجنبيات في أزيائهنّ، وانتشار المودات الرخيصة بينهنّ»[1].

٩. الثقة المغلوطة وضياع القوامة:

والرجل الفطن يدرك خطورة هذه الثقة العمياء في الواقع المعاش، ويحذر منها غاية الحذر؛ لأنّها تتسرب بخفاء إلى نخوة الرجال كتسرب الغاز الخانق، فتقتلها أو تضعفها لتصبح الثقة هزيلةً لا تقدر، عمياء لا تبصر، ومتى كانت الثقة عمياء فلا تتفاءل بأعمى يقود المبصر.

الغيرة على المرأة حقٌّ من حقوقها، وواجب الرجل بذل الوسع لصونها وحمايتها، دون تعريضها لما يخدش عفّتها وطهرها، وقد نتج من فرط الثقة الممنوحة لها من أهلها أن يتنحّى الرجل جانباً ليحيا على الهامش، وينسلخ من قوامة بيته وقياد رعيته، كان ذلك من أبرز الأسباب لظهور شخصية (المرأة القوية) التي كان سببها ضعف شخصية الرجل، ومتى ضعف الرجل أغرى المرأة بانتزاع القوامة منه؛ فنُفاجأ في ختام المطاف أنّ تلك المرأة العاجزة عن تزويج نفسها إلّا برجلٍ، أو طلاق نفسها إلا برجلٍ، وهي الراعية في بيت رجلٍ، ومسؤولةٌ عن رعيته، فإذْ بنا نفاجأ أنّها أصبحت بخطوات العلمانية هي صاحبة العصمة، وهي وليّ الأمر على البيت والرعية والراعي أيضاً.

---

(١) د. فخري ميخائيل فرج: تقرير عن انتشار البغاء والأمراض التناسلية بالقطر المصري وبعض الطرق الممكن اتباعها لمحاربتها، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٢٤م (ص٢٨-٣٠). البغايا في مصر (ص١٩٠). قلت: وهذا أثر اللباس على سلوكياتهنّ، فكيف بآثار الاقتداء الشامل لكلّ ما لدى الغرب؟!

ونظـراً للاستيعـاب العميـق من أربـاب التغريـب لفطرتهـا العاطفية، ويقينهم أنَّ أقدام كثيرات منهنَّ لا تستقر أمام عواصف الإغراءات، وفهمهم العميـق لغرائز الضعـف النسائي، وعدم استقرارها علـى رأيٍ، جعلوا منها أسـيرةً لاهثةً تشقى لتُرضي مطالبهم العلمانية، سواء في شكلها ومظهرها، أو في قناعاتها ومعتقدها.

فاستجابـت النساء لمن ينـادي بنزع القوامة، وتحكمهـا في أمور البيت، والمسـاواة بالـزوج، وعـدم وجوب خدمـة الـزوج، والسعـي إلى الاستقلال والانعتـاق المـالي عن الـزوج، فتحقق مـراد الشيطان في التفريـق بين المرء وزوجـه، ولا تسـل عن التيه الذي حـلَّ بالزوجين، يقول محمـد سعيد أحمد علي:

لا تصـلـح الأبـنـاءُ إلا	مـن صـلاح الأمـهـاتِ
هــنَّ الـشـقـاوة لـلأنـا	م أو السـعـادة في الحياةْ
فـإذا جَـهِـلـن أتـين من	أعـمـالـهـنَّ بمـنـكـراتِ
ولـقـد غـدون مـن المنا	قـب عـاريـات عـاطـلاتِ
مـتـبرقـعـات بـالـشـفـو	فِ ولـسـن بـالمتـبرقعـاتِ
تجـد الـصـدور وسوقهنَّ	مـن المـلابـس عـاريـاتِ
مـــاذا تـفـيـد علومهـ	ـنَّ مع الطباع السافلاتِ؟
أوَتـــترك الأمُّ الـصـغـا	ر وشأنهم للمرضعاتِ؟
أنـريـد إنـشـاء الـصـغـ	ـير على خلال الخادماتِ؟

إنَّ حكمـة الله جعلت المرأة تابعةً لا متبوعةً، ومُتظللةً لا ظِلالَ لها، ولكن بعـد التغريب رأينا رجالاً كنَّـا نعدُّهم من الأخيار، يرافقون محارمهم وهنَّ متبرجـاتٍ بكلِّ زينة، وحين الإنـكار عليهم يعترفون بعجزهـم عن القوامة عليهـنَّ، وقيادتهنَّ إلى الاحتشام، وعجزهم عن تغطية وجوههنَّ بخمرهنَّ، وكان الواجـب الشرعي عليهـم أن يلقوا عجزهم تحت الحـذاء، ويجتهدوا في تعليمهـنَّ شرع ربهنَّ وحلالـه وحرامه، وتقويمهنَّ بالإجبـار، ولغة القوة

لـو اضطرَّ إلى ذلك، كما يجـري ترويض المهرة البريَّـة النافرة، يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فعلى العبد أن يفعل ما أمره الله به من الغيرة وغيرها، فإذا كان قـد أمره بأن يغار لمحارمـه إذا انتُهكتْ، وأن يُنكر المنكر بما يقدر عليه مـن يـده ولسانه وقلبـه، فلم يفعل، فإنما هـو فاسق عن أمر ربـه»[1]، وإذا كان المستأمـن على البهائم والدواب يأثم إن ضيَّعهـا، ويؤاخَذ بتفريطه في حقهـا؛ كتلك التـي دخلت النار في هرَّة، فكيف بمن أضـاع رعيَّته في دينهم وعرضهم؟

لا تلوموا الفتاة إن خرجتْ ... وهـي عُـريـانـةٌ بـلا أدبِ
واتـركوا لوم من يغازلها ... إن تولَّت وجدَّ في الطلبِ
إنَّ نفس الـفتـاة ثـائـرةٌ ... والـفتـى قلبه علـى لهبِ
فـأبـوهـا المـلـومُ يـتـركهـا ... أكلـةً في مسالك السـربِ
فلتلوموا أبـا الفتاة فما ... خُـلِـقَـت هـذه بـغـيـر أبِ

الجهل دواؤه العلم والإيمان، والتي عاشت الغفلة، وأصغت للباطل، وقالت للتغريـب والتبرُّج: «هيْتَ لك»، فالواجب إصلاحهـا بالتدرج؛ من الرفق إلى الغلظة، والأخذ بيدها للحق، ذلكم أطهر لقلبها وقلوب الرجال، ولا عزاء لمن قدَّم رضى زوجه على رضى ربه. يقول عبد الرحمن العشماوي:

أيـنَ الأبُ الـراعـي وأيـن الـزوجُ في
بـيـتٍ بـه تـنـهـى الـنـسـاءُ وتـأمـرُ؟
إني لأسـأل عـن رجـالِ عشيرتي
أيـن الـثـبـاتُ وأيـن أيـن الجـوهـرُ؟
أيـن الـقَـوامـةُ يـا رجـالُ أمـا لكم
شـرفٌ؟ ألـيـس لـكم إبـاءٌ يُـذكـرُ؟
أيـن الـعـقـولُ أمـا لـديكم حكمـةٌ؟
أيـن الـقـلـوبُ أمـا تحـسُّ وتشعـرُ؟

---

(١) ابن تيمية: كتاب الاستقامة (٢/٣٧).

إنْ عُـدَّت الـفِـتَنُ الـعِـظَـامُ فإنمـا
فِـتَنُ الـنـسـاء أشـدُّهـن وأخـطـرُ

أخشى على الأخـلاق كـسراً بـالغاً
إنَّ المـبـادئَ كـسـرُهـا لا يُـجبرُ

يقول ابـن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قولـه تعـالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤]: «الرجل قيِّم على المرأة، أي: هو رئيسها وكبيرها، والحاكم عليها ومؤدِّبها إذا اعوجَّت»[١].

١٠. فساد القدوات والمشاهير:

لا ينقضـي عطش المجتمعات إلى قدوات تسـير خلفها، وترتسم خطاها وتنهـج سبيلهـا، وحال المجتمعـات في الغالـب مرهونٌ بصلاح القـدوات أو فسادهـا، فبالقـدوة الصالحة يصلـح الأتباع، وبالقـدوة الفاسدة نختصر لهم طريـق الفساد، وحـين أدرك الباطل أهمية القدوات علـى مر التاريخ، سعـى إلى تغييب القدوات الصالحة حسيـاً أو معنوياً، أو تشويه صورتها، أو إقصائهـا عـن مكانتها، ثم استبدل الذي هو أدنـى بالذي هو خيرٌ، فحرص علـى الإتيان بالبديل الكافر أو الفاجـر أو التافه، أو الصالح الضعيف الذي يرضى بترويج الفساد، ثم أمر الإعلام بتلميعهم حتى يصل الأمر إلى التعلُّق والإعجـاب، وانظر إلى مجلة الفتح تكشـف بعضاً مما فعلته تركيا العلمانية في توظيـف القـدوات الفاسدة في إفسـاد النساء التركيـات اللواتي امتنعن عـن الانجراف وراء الألبسة الغربية، إذ أمـرت الحكومة الموظفين التابعين لها بحمـل نسائهم على ارتداء القبعة ليكنَّ قدوات لنساء الشعب، ثم أمرت المعلمات بأنقرة بلبس القبعة ليكن قدوات لبقية السيدات، وإليك بقية الخبر من المجلة:

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٠).

صحيفة اسلامية علمية اخلاقية

تصدر يوم الخميس من كل أسبوع

١٣ شعبان ١٣٤٧ — ٢٤ يناير ١٩٢٩

اجبار السيدات في تركيا

على ارتداء القبعة

أذاع والى مرسين بياناً على جميع الموظفين التابعين له يوجب عليهم فيه حمل نسائهم على ارتداء القبعة ليكن قدوة لبقية نساء الشعب. وفى الوقت نفسه أذاع والي ازمير وأطنه مثل هذا الامر

ويقول مراسل العهد الجديد من انقرة ان الحكومة التركية لما وجدت انه ليس في مقدورها حمل السيدات بالقوة على ارتداء القبعة امرت معلماتها بارتدائها ليكن قدوة لبقية السيدات. ولما لم تجد من بقية السيدات ميلا الى ارتداء القبعة اوعزت الى بعض ولاة المناطق الساحلية لاجبار نساء موظفيهم على ارتداء القبعة املا منها أن هذا الامر سيؤدي حتما الى تعميم لبس القبعة بين السيدات

النســاء شقائق الرجــال، يأسرهنَّ ما يأسر الرجــال، فيحتفظن بصور المشاهـير وأصواتهـم؛ وضعفت الغـيرة في بعض أولياء الأمـور فصار يسوِّغ لنفســه أنَّ ابنتــه وأخته حُرَّةٌ تُحِبُّ من تريد، وتمنــح إعجابها من تريد، وما علـم أنَّ هذه صورة مــن صور الدياثة، فــكلُّ حبٍّ محرمٌ، سيقــود حتماً إلى فاحشــة أو ســوء. ويا أسفــا على الشــرف والعِرض عند رجلٍ ليــس له عقلٌ يُدبرُه، ولا دينٌ يزجره.

وفي إطلالــة علــى مجلــة (تحــت العشريــن) في عددها الرابــع نجدها تقــول: «قُمنا بإجــراء استبيان لـ (٩٠) فتاةً تحت ســن العشرين، حول هذه

المسلسلات، وقد أظهرت نتائجُ هذا الاستبيان أنَّ ٧٠٪ من الفتيات يَحرِصنَ علـى مشاهدتِها يومياً، ولما سألنا الفتياتِ عمـا يُعجبُهنَّ في هذه المسلسلات وجدنـا أنَّ القصـةَ والحـوارَ والأحـداثَ، إلى جانـب الأزياء التـي ترتديها الممثـلاتُ، هي أهمُّ مـا تُعْجَبُ به الفتيـاتُ. وتراوحت نسبـةُ الإعجابِ بهذه الأشياء ما بين ٧٥٪ إلى ٨٠٪».

علـى المرأة المسلمة أن تعلم أنَّ غيرة الرجـال عليها من دين الله فتنقاد لأمـره تعـالى، وترضـى بذلك، وتكـون عوناً لقيِّمهـا على قوامتـه، وقد نقل ابـن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عـن بعض أهل العلـم قولهم: «الرجال أغـير على البنات مـن النساء، فلا تستوي غـيرة الرجل على ابنته وغـيرة الأم أبداً، وكم من أمٍّ تساعـد ابنتها على ما تهـواه، ويحملها على ذلك ضعـف عقلها، وسرعة انخداعها، وضعف داعي الغيرة في طبعها بخلاف الأب، ولهذا المعنى وغيره جعل الشارع تزويجها إلى أبيها دون أمِّها، ولم يجعل لأمها ولاية على بضعها ألبتة ولا على مالها»[1].

١١. وسائل التواصل الاجتماعي:

يقـول د. إبراهيم الحقيل: «إنَّ هـذه الوسائل قرَّبت الرجال من النساء، والشباب من الفتيات، فأوقعت في كثير من البيوت الرِّيَب والشكوك، وأوصلت بعض الأزواج والزوجات عتبة الطلاق بعد الخصام والشقاق، وأيضاً أوصلت كثـيراً من الشباب والفتيات إلى الانحـراف بدرجاته وأنواعه المختلفة، وكم فتـاةٍ غُرِّر بهـا عن طريقها وهي لا تعـرف للشر طريقاً، وليس في قلبها أيُّ ريبـةٍ، ولكن صدق رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يخلونَّ رجلٌ بامـرأةٍ إلا كان ثالثهما الشيطان**»، وقد هيأت برامج التواصل خلوةً -بطريقةٍ جديدة- بين الجنسين للحديث والمؤانسة والمضيِّ ساعاتٍ طوالاً في أحلامٍ وسهر ليالٍ على أوهامٍ مع مكرِ كبَّارٍ بجميل الكلام ووعود الخداع».

---

(١) زاد المعاد (٥/٤٧٤).

وقال في موضع آخر عن وسائل التواصل: «إنها قد أزالت الغفلة عن أمور تجب الغفلة عنها، فأولاد المسلمين من بنين وبنات ما كانوا ليعرفوا كثيراً من الفواحش، ولا يعلمون عن كثير من الممارسات الأخلاقية المنحطّة حتى تعلّموها من هذه الوسائل؛ فالفضول قادهم لمعرفتها، وضعف الوازع جرّأهم عليها، وحب التجربة جرّهم إليها، فمنهم من غرق في الرذائل بسببها، وتأملوا الوصف القرآني للمؤمنات بالغفلة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣]؛ أي: غافلات عن الفواحش ومقدماتها، بل تستحيي الغافلة من عرض الزواج عليها وهو حلال؛ ولذا كان إذن البكر في الزواج صُمَاتُها؛ مراعاةً من الشارع الحكيم سبحانه لها لحيائها.

هذا الحياء وهذه الغفلة قضت على كثير منها وسائل التواصل الاجتماعي، فصار الكلام الفاحش البذيء يتناقله كثير من الشباب والفتيات، بل ربما الأطفال، ناهيك عن الصور الفاضحة، والمقاطع الفاحشة، والتباهي بانتهاك الحرمات، والمجاهرة بالسوء، فيحكي بعضهم ما عمل البارحة من فواحش وقد بات يستره ربه سبحانه، فيصبح يكشف ستر الله تعالى عليه على الملأ من الناس، بل على ألوف وملايين، وهذه مجاهرة بالإثم، ولو كان كاذباً فيما قال، ولو تخفّى خلف أسماء وهمية، فإنه لن يخرج من دائرة المجاهرين الذين لا يُعَافَونَ، ومن يشيعون الفاحشة في الناس.

وأخطر من ذلك أنّ هذه الوسائل فتحت عيون من فيهم ضعفٌ على أنواع من الفواحش غليظة الحرمة؛ كالنظر إلى المحارم، والسّحَاقِ، وعمل قوم لوط، وبناء علاقات محرمة في هذه المجالات بواسطة التواصل والمراسلة وتبادل الصور والمقاطع؛ مما يحتّم العناية البالغة بشحن الأولاد كل فترة بجرعات إيمانية وأخلاقية تُحَصّنُهُمْ ضد هذا البلاء المستطير، وتخويفهم من عذاب الله تعالى، وبيان عاقبة التساهل في ذلك»[1].

---

(١) شبكة ملتقى الخطباء: http://www.khutabaa.com/

١٢. تعاطي الحشيشة والمخدرات والخمر:

ذكر ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «أنَّ تناولها يفضي إلى قلة الغيرة وزوال الحمية حتى يصير آكلها إما ديوثاً، وإما مأبوناً، وإما كليهما»[١]، ويؤكد ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في ربط الخمر بضعف الغيرة فيقول: «تصدُّ عن ذكر الله، وعن الصلاة، وتدعو إلى الزنا، وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم، وتذهب الغيرة، وتورث الخزي والندامة والفضيحة، وتلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان؛ وهم المجانين، وتسلبه أحسن الأسماء والسمات، وتكسوه أقبح الأسماء والصفات، وتسهل قتل النفس، وإفشاء السر الذي في إفشائه مضرته، أو هلاكه، ومؤاخاة الشياطين في تبذير المال الذي جعله الله قياماً له، ولم يلزمه مؤنته، وتهتك الأستار، وتظهر الأسرار، وتدل على العورات، وتهون ارتكاب القبائح والمآثم، وتخرج من القلب تعظيم المحارم»[٢]، يقول الشنقيطي: «وما فتحت المسكرات والمخدرات على أمةٍ إلا دُمِّرت تماماً، فذهبت فيها الغيرة والحميَّة، وقُتلت فيها الفطرة، وذهبت العقول التي هي نور الله ينير بها لعباده»[٣].

١٣. الإصابة بالسحر:

السحر ناقض من نواقض الإسلام، وجريمةٌ كبرى من أخطر الجرائم، وقد وصف الله تعالى بعض آثاره في كتابه فقال: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وللسحر أنواعٌ عديدةٌ، يشترك جميعها في التفريق بين الزوجين، وينفرد بعضها بتحريض المسحور على الدياثة ونقص الغيرة، ومنها ما تكون الدياثة جزءاً من آثاره، وإن كان القرآن الكريم كشف جانباً من جوانب السحر في قوله تعالى: ﴿مَا يُفَرِّقُونَ

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/٤٢٩).

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص١٧٧).

(٣) محمد بن محمد الشنقيطي: شرح زاد المستقنع (٥/٣٨٠).

بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فهـذا التفريق الإجبـاري بين الزوجين، يمازجـه أحياناً كرهٌ أعمى يملأ صدر الـزوج زهداً في زوجته، فتتآكل غيرته حتـى لتكاد تنعدم تجاهها تبعـاً لذلك، فلا يكاد قلبه يتحـرك غيرةً عليها، ولا يظهـر غضبه حـين اعتداء الغرباء عليهـا؛ سواء بالنظـر أو الحديث أو الخلطة، أو الفاحشة فبئس الحال.

وقـد تظهر آثار السحر بصـورة أخرى؛ كتبلُّد الشعـور لدى الرجل، فلا يبـالي بمحادثة محارمـه للرجال، أو يتعامى عن كلِّ مـا يريبه منهنَّ، وربما مازحهـنَّ بمـا يدلُّ علـى رضاه بذلك، أو تـرك إحداهنَّ تخلـو بخطيبها، أو معلمهـا، أو طبيبهـا، أو يتغافل عن تبرجهـا أمام الرجـال، وأجلى ما يميِّز ضعـف الغيرة الناتج عن السحـر، أن تظهر دياثته بشـكلٍ مفاجئ لم يسبق في حياة المسحور، ودون أن يمرَّ بمراحل التدرج المعهودة في تغير الطباع، ولا يملك تفسيراً لكل ذلك.

١٤. أدبيات الغزل شعراً وقصصاً وروايةً:

مـا جثـم الاحتـلال الصليبـي[١] على صـدر الأمـة المحمديـة سياسياً

---

(١) الحاكـم السياسي الغالـب هو الذي يمنحه التاريـخ اسم العصر الذي تغلب فيـه، فحينما بويع الخلفـاء الراشدون صار عصرهم يحمـل اسم (عصر الخلافة الراشـدة) أو (عصر الخلفاء الراشدين)، ثم انتقل الحكم إلى بني أميَّة، ثم بني العباس، ثم إلى العثمانيين، فنسب تاريخهم إليهـم جميعـاً، كلُّ مرحلة تُنسـب إلى الحاكم الغالب فيهـا، في نَسَقٍ نظامـيٍّ تاريخيٍّ يخضع له المؤرخـون أجمع، حتـى حصلت مخالفة ظاهرية لهذا النظام، توحـي بمؤامرةٍ عالميَّة على تاريخ هـذه الأمة، وهي تسمية عصرنا اليوم باسم (العصـر الحديث)، والذي امتد منذ عام ١٧٩٨م وبقي حتى يومنا هذا، ولو تأملنا في اسم (العصر الحديث) لوجدناه مصطلحاً زئبقيّاً غامضاً، يجلب الريبة من جانبين:

١. مـا سبب انتـزاع اسم (العصر العثماني) مـن مسمى تلك الحقبة، وفرضـ الاسم الجديد الـذي هو (العصـر الحديث)، مـع أنَّ الدولة العثمانية كانـت هي الدولـة الحاكمة الغالبة سياسيـاً حينها؟! ومـا السرُّ الغامض في سحـب البساط تاريخياً من تحتهـا، ليتراجع اسم الدولة العثمانية من دولة الخلافة؛ لكي يتوارى في زاويةٍ ظلماء ومسـاحةٍ صغيرةٍ من التاريخ بعد أن كان له الصدارة؟! =

واجتماعياً؛ إلا وراح يصوغ جميع تفاصيلْ الحياة وفق غاياته وما يخدم هيمنته، وأخصُّ بالذكر هنا ما يتداخل مع موضوع هذا الكتاب، وهو قضية الغزل في الشعر والرواية والقصص، حيث صاغ الاحتلال أدقَّ تفاصيل العلاقة بين الرجل والمرأة في الحلال والحرام، وحرص الاحتلال على جعل المباح السائغ في تلك العلاقات أكثر من الممنوع الخاطئ، شاملاً بذلك فنَّ الغزل روايةً وشعراً وغناءً وقصصاً، فأجبر البشر على الاقتناع أنَّ الحبَّ والغزل والغرام ضرورةٌ بشريَّةٌ لا يمكن العيش إلا بها، وراح أذنابه وأبواقه يقحمونه في كلِّ تفاصيل الحياة؛ بل وأقحموه في حياة النبي ﷺ كذباً وبهتاناً، كما في قصة حبِّه لزينب بنت جحش رضي الله عنها، وكذبهم عليه في وقوع غرامها في قلبه، وأنه كان يقول لزوجها زيد بن حارثة رضي الله عنه أمسك عليك زوجك، مع أنَّه ﷺ يُخفي في قلبه عشقها، وحاشاه.

---

٢. لو افترضنا جدلاً أنَّ اسم (العصر الحديث) كان مناسباً في تلك الحقبة عام ١٧٩٨م، حيث إنَّه هو (الحديث) في عصره، ولكن ما المسوغ في بقائه وصفاً تاريخيًّا لهذه الحقبة الممتدة إلى اليوم بعد مضي أكثر من قرنين من الزمان؟! ثم إلى متى سيظل هذا الاسم باقياً؟! ويا ترى ماذا سيكون اسمه الصحيح في المستقبل؟! فوصفه (بالحديث) لن يكون سائغاً وصحيحاً، وحتماً سيأتي بعدنا عصرٌ جديدٌ يحمل اسماً مستقلاً، وحينها سيزول عنا وصف (العصر الحديث)، فماذا سيكون الاسم المناسب لعصرنا، والمحزن في الأمر أنَّ أحفادنا في الأجيال القادمة، هم الذين سيتبرعون باختيار الوصف اللائق بعصرنا الخانع، وأخطاء الأمم قلَّما يغتفرها الجيل الآتي للجيل الماضي.

والحقيقة أنَّ عام ١٧٩٨م ذلك الذي بدأت منه هذه التسمية كان بداية الاحتلال الفرنسيِّ لمصر، ودخول نابليون بونابرت دخول الفاتح، الذي ينتزع قلم التأريخ، فيسكب في محبرته صياغة الحياة وفق ما يريده الاحتلال الفرنسي، فتوقفت الصياغة الإسلامية لمجرى التاريخ منذ ذلك الوقت، وبدهاء المحتل ومكره (صار هذا العصر يحمل اسم (العصر الحديث)، دون أن يكون صريحاً في تسميته باسم الحاكم المتغلِّب وهو نابليون بونابرت، أو يسميه (العصر الفرنسي)، نسبة إلى الاحتلال الفرنسي، أو يبقيه كما كان (العصر العثماني).

إنَّ من يمسك قلم التأريخ هو الذي يحدِّد المعايير، وهو الذي يصنع القدوات، وهو من يصوغ حياة المجتمعات، ويحدد توجهات الدول، ويفسر الحوادث وفق رؤيته، فيتجاهل من يشاء، ويمنح وسام البطولة من يشاء، فانطلقت شرارة الاحتلال من مصر ابتداءً، وبعد ذلك انتشرت صياغته العلمانية رويداً رويداً حتى جثمت على صدر الأمَّة المحمدية.

ثـم انتقل أذنـاب الاحتـلال بعد ذلـك ليصوغـوا حياة السلـف ورموز الإسـلام صياغـةً غرامية، وليلطخـوا طهارة الفتوحـات الإسلامية بحكايا العشـق للزعمـاء، وغـزل القـادة الأبطـال، وجعلوا نفوسـ الناشئـة تأنس بخطـوات الغزل الأولى على درب الرذيلة؛ فأصبـح العفيف الذي لم يجرِّب الحبَّ في الحرام قروياً ساذجاً، وأصبح الفاسق الخبيث الذي جرَّب مغازلة محارم أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجرب الزنى أو القرب من الزنى. هو الشاب المتحضِّر بمقياسهم، وإن كان بمقياس الله تعالى فاجراً فاسقاً.

أفـرط أفـراخ العلمانية في نشـر ثقافة الغزل حتى امتـدَّ بساطه ليشمل عشق العجائز وغرام الكهول، وما العشق في أقصر معانيه إلا عبثٌ واستمتاعٌ مع تجرُّدٍ من أي مسؤوليةٍ واقعيةٍ.

إنَّ الإسـلام الذي حرَّم نظر المـرأة للرجال بشهوةٍ، وحرَّم الأسباب التي تقـود إلى فتنةٍ، محالٌ أن يبيح لها سماع قصيـدةٍ تهيِّج كوامن عاطفتها. أو تحـرِّك غريزتها، ومحـالٌ أن يبيح روايـةً غراميةً تجعلهـا صريعة الخيال، وأسيرة الشوق إلى ملهمٍ تنتظره، وتتعطش إلى لقياه، وتشكو من غيابه، وإنَّ الإسـلام الذي حرَّم ضرب المـرأة بأرجلها لأجل الخلخال، لـن يبيح لها أن تكتـب قصيدة عشقٍ، أو تنشر ديوان غزلٍ في رجلٍ أجنبيٍّ: فصوت الخلخال أهون فتنةً وأقلُّ استثارةً لقلب الرجل وروحه من قصيدتها، وبوحها الخاضع المستسلم، فإن كان الخلخال في أقدامها حراماً، فإنَّ التغزل في أقدامها وما فوق ذلك أشدُّ حرمةً، لأنَّ علَّة التحريم أشدُّ.

إنَّ شعـر الغـزل اليوم أغلبه داخلٌ في تحريم القـرب من الزنى، فلواعج الغـرام، وظمأ الحبِّ والهيام، كلُّ ذلك داخلٌ في القرب من الزنى، فمشاعر العشـق تذهب برشد صاحبها، لتضعفه تدريجيـاً فيستسلم أمام الفاحشة، أو يدنـو منها، سواء قارفها في الواقـع أو الخيال، وهذا الذي حرَّمه الله من القـرب مـن الزنى جاء واضحـاً جليـاً في قوله تعـالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢]، وقولـه تعـالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَٰحِشَ

﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، فالنهي في الآية جاء محذّراً من القرب من الزنى، وتحريم خطواته الأولى، دون أن يكون النهي الشرعي مقتصراً على مقارفة الزنى فقط.

لقد انتشرت هذه الأشعار وذاعت، وأراد لها عبيد الاحتلال أن تشيع وتتشربها نفوس الجيل ليصبح الغزل فنّاً شعرياً يستحق الاهتمام، ويستحقّ التدريس في المناهج، سواء للفتيان أو للفتيات، وبقوة الأنظمة يجري إلزام الجميع بحفظ قصائده ونثره دون أدنى تنبيهٍ على خطورته وخطورة ما وراءه، ودون الوعي باليد الخفية التي تمسك خيوط اللعبة، ويتزامن مع كلّ ما سبق مرور الشباب بمرحلة البلوغ، وتأخير الزواج، وانبثاق الغرائز الذي يلسع أرواح الشباب والفتيات وأجسادهم، فبدلاً من أن نشفق عليهم، ونصرف عقولهم عن الغزل، ونخفف حرمانهم بالتغافل عن الغرام، أجبرناهم على دراسة تفاصيل الهوى والوجد والغرام في مناهج التعليم، قراءةً وتحليلاً وحفظاً، وذلك مفسدٌ لهم في دينهم وأخلاقهم لا محالة.

وإن شئت أن تدرك حجم تأثير الغزل وأدبيات الغرام فانظر إلى ما يدرسونه من أبيات الحماسة في ساعات الحروب، وما لها من الأثر الملموس في مشاعرهم، وما تشعل به دماءهم حتى يشعروا بالشجاعة في حروب تاريخيةٍ لم يخوضوها، فإذا كان هذا الأثر في الحماسة والحروب فإنّ الطلاب يشعرون كذلك بنشوة المديح في قصائد لم تُكتب في مديحهم أو الثناء عليهم، وهكذا هي مشاعر البشر؛ تهوى المقارنة، وتنساق في عالم الخيال مع ما يطيب لها من الأشعار، وهكذا سيظهر حتماً تأثير أشعار الغزل التي قيلت في غيرهم، ومدى تأثيرها في عواطفهم وغرائزهم، وإلى أيّ مدى يهاجر بهم الخيال إلى إنشاء العلاقات المشابهة لما درسوه، وكان الأولى بمن وضع المناهج أن يكفل للمراهقين والمراهقات تعليمهم غفلة الطهارة والعفاف، بدلاً من أن يدفعهم بواقعه المليء بالأخطاء إلى لؤم التجربة.

يبقى البيان بمختلف أنواعه؛ شعراً ونثراً وروايةً وقصصاً، هو السحر الخلاب الذي يؤثر في النفوس، وقد أخبرنا بذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الذي رواه ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّه قدم رجلان من المشرق، فخطبا، فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ من البيان لسحراً**»، أو «**إنَّ بعض البيان لسحراً**»[1].

وأسوق هنا كلاماً لأهل العلم حول أشعار الغزل، يستحق التداول والنشر:

- يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ولهذا أنكر الإمام أحمد وغيره أشكال الشعر الغزلي الرقيق؛ لئلا تتحرك النفوس إلى الفواحش، فلهذا أمر من ابتُلي بالعشق أن يعفَّ ويكتم، فيكون حينئذ ممن قال الله فيه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾»[2]، قلت: نعم يتقي ويصبر ويكتم، لا أن يكتب قصائد الغزل، أو يصدر ديواناً يحبب القلوب في العشق والحرام.

- يقول النوويُّ رَحِمَهُ اللهُ: «يقول القاضي: إنما كان غناهما -أي: الجاريتين- بما هو من أشعار الحرب والمفاخرة بالشجاعة والظهور والغلبة، وهذا لا يهيِّج الجواري على شرٍّ، ولا إنشادهما كذلك من الغناء المختلف فيه، وإنما هو رفع الصوت بالإنشاد، ولهذا قالت: وليستا بمغنيتين، أي ليستا ممن يغني بعادة المغنيات من التشويق والهوى، والتعريض بالفواحش، والتشبيب بأهل الجمال، وما يحرك النفوس ويبعث الهوى، والغزل كما قيل: «الغناء رقية الزنا»، وليستا أيضاً ممن اشتهر وعرف بإحسان الغناء الذي فيه تمطيطٌ وتكسيرٌ وعملٌ يحرِّك الساكن، ويبعث الكامن، ولا ممن اتخذ ذلك صنعة وكسباً»[3].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٢١٥).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥/٣٦).

- يقـول ابـن القيـم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يفضح كـذب المسوغـين لشعر الغـزل، ومن يدافعـون عنه بحجّة أنه تغزُّل في الزوجة، فيقـول: «غالب التغزل والتشبيب إنمـا هـو في الصور المحرمـة، ومن أندر النـادر تغزُّل الشاعـر وتشبيبه في امرأتـه وأمَتـه وأمّ ولده، مع أنّ هـذا واقع، لكنَّه كالشعـرة البيضاء في جلد الثور الأسود»[1].

- يقول أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن كان فيه شيءٌ من الخنا والفحش والهجـو، أو مـا هو كـذبٌ على الله تعـالى وعلى رسولـه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو على الصحابـة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، كما رتبه الروافض في هجاء الصحابة وغيرهم، فسماع ذلك حرامٌ بألحانٍ وغير ألحانٍ، والمستمع شريك للقائل»[2].

- يقـول الحافـظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الشعر يكـون مباحاً إذا خلا من الهجو، والإغراق في المدح، والكذب المحض، والتغزل بمعينٍ لا يحلُّ»[3].

- يقول الألوسيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذكر جماعة أن من جملة المحظور أيضاً ما فيه تشبيبٌ بامرأةٍ أجنبيـةٍ معينةٍ، وإن لم يذكرها بفحشٍ، أو بامرأةٍ مبهمةٍ، مع ذكرها بالفحش»[4].

- يقول الشيخ المنتصر الكتانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشعر الذي كان مذموماً، والذي قال عنه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً، خيرٌ له من أن يمتلئ شعراً»**[5]، هو شعر الغزل وهتك الأعراض، ومدح الكذابين والضالين والفاجرين، الشعر الذي لا يتفق مع الحقائق»[6].

- يقول الشربيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (مغنـي المحتاج): «ويباح قول شعرٍ وإنشاده

---

(1) مدارج السالكين (٤٨٦/١).

(2) إحياء علوم الدين (٢٨٢/٢).

(3) فتح الباري (٥٣٩/١٠).

(4) رواه مسلم.

(5) رواه البخاري.

(6) تفسير المنتصر الكتاني (٢٤٥/٣).

إلا أن يهجو، أو يفحش، أو يُعَرِّض بامرأة معينة: (أو) إلا أن (يُعَرِّض)... (بامرأة معينة) غير زوجته وأَمَته، وهو ذكرُ صفاتِها من طول وقِصَرٍ وصُدغ وغيرها، فيَحْرُم وتُرَدُّ به الشهادة؛ لما فيه من الإيذاء، واحترِزَ بالمعينة عن التَّشبيب بِمُبهمة فلا تُرَدُّ شهادتُه بذلك... أما حليلتُه؛ من زوجته أو أمتِه، فلا يَحرم التَّشبيب بها كما نصَّ عليه في (الأم).. ويشترط ألا يكثر من ذلك وإلا رُدَّت شهادتُه، قاله الجرجاني، ولو شبَّب بزوْجته أو أمته ممَّا حقُّه الإخفاء رُدَّت شهادتُه؛ لسقوط مُروءته، وكذا لو وصف زوجته أو أمته بأعضائها الباطنة، كما جرى عليه ابن المقري تبعاً لأصله، وإن نوزع في ذلك، وليس ذكرُ امرأةٍ مَجهولةٍ كليلى تعييناً»[1].

وثبت في الحديث: «العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، والقلب يهوى ويتمنَّى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه»[2]، ولشعر الغزل، وقصص الهوى، وروايات الغرام، حظٌّ كبيرٌ من هذا الحديث، فإنَّها موجبةٌ لتمنِّي القلب، والخيال الذي لا حدود له مما أحلَّ الله تعالى وما حرَّم.

ثم إنَّ الشرع أتى بالنهي الصريح عن كيل المديح بلا غزلٍ؛ وذلك لخطورته على النفوس، وعبثه بالمشاعر، فإن كان النهي عن مديح الرجال يحوي هذا القدر من الخطورة، فكيف سيكون أثره في قلوب النساء الرقيقة العاطفية؟! وشعر الغزل ما هو إلَّا مديحٌ وثناءٌ على النساء، ويقال فيه من الذم والنهي الشرعي ما يقال عن شعر المديح، فالنهي الشرعي يشمل مديح الذكر والأنثى، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إذا رأيتم المدَّاحين، فاحثوا في وجوههم التراب»**[3].

يقول الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: لأنه قلَّما يسلم المادح من كذب يقوله في مدحه، وقلَّما يسلم الممدوح من عجبٍ يدخله. وروي أن رجلاً أثنى على رجلٍ

---

(١) مغني المحتاج (٤/٤٣١).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

عند عمرَ، فقال عمر: «عقرت الرجل، عقرك الله»[1]، فما الظن بما سيقوله عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مديح النساء والتغزُّل بهنَّ؟!

ختاماً: فالغيور لا يرضى أن تقع محارمه في غزلٍ، أو يستمتعن بقراءة أشعاره، أو تتسلل إليهنَّ روايات فاجرة تحت ستار الأدب؛ تهوّن أمر الفاحشة وتنادي بالرذيلة بمصطلحاتٍ ماكرةٍ، أهَّلت الشباب لدور العاشق المتيم، أو المعشوقة التي تتوق إليها روح الشباب.



(١) الإمام البغوي: شرح السنة (١٢/ ١٥١).

أسباب الوقوع في الفاحشة

إنَّ الإسلام حينما حرَّم الفاحشة كافح أسبابها قبل ذلك، ومن كافح ثمار الرذيلة لزمه أن يكافح شجرتها وبذورها، ويقطع يد ساقيها قبل قتله:

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها
إن كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا

إنَّ أسباب الفاحشة في كتاب الله تعالى تنذر أولياء الأمور ليدركوا الخطر، ويقوا أنفسهم وأهليهم نار سقر، وإليك بعضاً من تلك المواضع:

١. الأسرة الفاجرة:

فالأسرة محضن للسجايا، والتأهيل الأول للخطايا، وبواكير الدربة على الفواحش، والتلقين المتكرر للدياثة، وهو ما ظهر على أفواه بني إسرائيل حين خاطبوا مريم عليها السلام بقولهم: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ [مريم: ٢٨]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ أي: يا شبيهة هارون في العبادة، ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾، أي: أنتِ من بيتٍ طيِّبٍ طاهرٍ معروفٍ بالصَّلاح والعبادة والزَّهادة، فكيف صدر هذا منكِ؟! قال علي بن أبي طلحة والسدي: قيل لها: يا أخت هارون، أي: أخي موسى، وكانت من نسله»[1]، وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ابن قتيبة: أي يا شبيهة هارون في الصلاح»[2].

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/٢٠٠-٢٠١).

(٢) كشف المشكل (٤/٩٢).

قــال القرطبــي: والمعنــى: «مــا كان أبــوكِ ولا أمُّــكِ أهلاً لهــذه الفعلة، فكيف جئــتِ أنتِ بها؟!»[1]، وفي الحديث: «فأبــواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه»[2]، فالحديـث نسب الانحراف للوالدين في لغةٍ واضحةٍ صريحةٍ، حتى إنه لينسب إليهما أعظم مظاهر الانحراف؛ وهو انتقال المولود من دين الفطـرة إلى دين اليهودية أو النصرانيــة أو المجوسية، فكيف بما دون ذلك من الانحراف الخلقي؟!

يذكر محمد جنيدي أنَّ من أسباب وقوع العفيفة في البغاء أن «تولد البنت لأمٍّ بغــيٍّ، وتنشأ في هــذا الوسط الذي لا يعرف معنى للعفــة أو الشرف»[3]، فممــا يساعد علــى انتشار البغــاء سوء التربيــة، لأنَّ الفتيــات والفتيان إذا عاشــوا في بيئــةٍ منحطــةٍ لا تعــرف التهذيب الزاجــر عن النقائــص، حتماً ستكــون نفسيتهما مرتعاً للفساد، فالنشأة العائلية لها التأثير البالغ الظاهر في أفعال الخير والشر.

٢- رفقة المرأة للرجال:

لا يستقيم في الأعراف السليمة رفقة المرأة بالرجال إلَّا كما تستقيم رفقة البارود للنار، ومتى اتخذت المرأة لها أخداناً من الرجال تقوم علاقتها بهم، فإنَّ المرافقة تحيل بالعواطـف المتبادلة، ثم تنجب بعدها الاستمتاع المتبادل الذي لا تتوالد منه أيُّ حقوقٍ أو التزامات تحت حجة (إرضاء عاطفة الحب، والصداقــة، والمعرفة العابرة)، وهي مصطلحــات شاعت حين غابت عصا المحتســب، فصارت دستــوراً تتحاكم إليــه الفئام من النســاء، ليهربن من ألم الحقيقــة، حقيقــة أنَّ هذه العلاقــة المحرمة جريمةٌ قائمــةٌ على الفسق والشهــوات، يقــول تعــالى: ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء: ٢٥]، قال ابن

---

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١١/٢٠٧).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) محمد فريد جنيدي: البغاء-بحث علمي عملي، مطبعة النصر (ص١١٥). البغايا في مصر (ص٦٤).

عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ومتخذات أخدان: يعني أخلاء، وكذا روي عن أبي هريرة ومجاهد والشعبي ومقاتل وابن حبان والسدي قالوا: أخلاء، وقال الحسن البصري: يعني الصديق»[1].

٣. منع الزواج أو تأخيره:

من علوِّ شأن العفة أنَّ الشريعة أباحت نكاح الكتابية العفيفة، وحرَّمت نكاح المسلمة غير العفيفة، كما يقول تعالى: ﴿... وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣]، ولذا كانت الحرب على العفاف غايةً علمانيةً أصيلةً، تبدو في صور متعددة، لعل من أبرزها: محاربة زواج القاصرات كعائق استباقي لمحاربة التبكير بالزواج، ثم يتوالى إبعاد الناس عن الزواج، كمباركة العنوسة والتعايش معها بصفتها ظاهرة مجتمعية وليست مشكلة، بل وبلغ عدد ضحاياها الملايين، وبقدر تغلغل التغريب في بلدٍ يظهر الإفحاش في نسبة العنوسة، وبقدر النجاة من العلمانية تقلُّ نسبة العنوسة في المجتمع، أو ربما تزول، ولك أن تقارن في البلدان التي فتكت فيها العلمانية، بين حال العنوسة قبل العلمنة وبعدها؛ لتتضح لك القفزات الجبارة في نسب العنوسة.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٤٣٢).

مجلة العروسة في ٢٠ مايو سنة ٩٢٥

الاجتماعيات

مبغضو المرأة

المزوبة بالنبوت

يظهر ان شقاء الفتيات العازبات ليس ناشئاً عن سوء بختهن فقط بل عن قساوة العازبين وشدة تصلبهم في مقاومة فكرة الزواج. ومع ان الزواج شر لا بد منه وغاية لا بد ان ينتهي اليها كل عازب فانك ترى بين الشبان افراداً قد ختموا على قلوبهم والبسوها دروعاً لا تنفذها سهام الحب

يدلك على ذلك كثرة الاندية التي قد انشأوها في جميع اصقاع العالم لمقاومة فكرة الزواج. ففي جامعة اكسفورد مثلاً نادٍ يضم فريقاً من خريجي تلك الجامعة ويلقب كل عضو فيه « برفيق كابة جميع القديسين » والمشترط في عضوية هذا النادي ان يكون « الرفيق » عازباً. فاذا تزوج حرم من العضوية والزم بغرامة مالية وكتب امام اسمه في سجل العضوية: « هوى الى حضيض الزواج! »

عن ذنبه. ثم يضاف اسمه الى « سجل الوضوع امام الجميع ليطلعوا عليه

اما عملية « التكفير » فتختلف بحسب بحث عليه. والعادة تقضي عليه بان يخضع لنظا « فيسحب » من صندوق مقفل ورقة م عدة اوراق قد كتب عليها نوع الكفارة عليه القيام بها. اذا ابى ذلك اضطر الى مبـ الاعضاء الذين يختارهم النادي. وقد حدث الماضية ان احد المذنبين حكم عليه بان يـ السين مرتين سباحة في منتصف الليل فـ واصيب بحمى شديدة اودت بحياته

***

وفي اميركا اندية عديدة من هذا القبـ نادي شيكاغو الذي اوصد ابوابه في ا السنة لان جميع اعضائه تزوجوا الواحد بعد ا يبق سوى الرئيس فتزوج هو ايضاً واصد اقفل به النادي رسمياً وقال انه تزوج بالوحدة والوحشة بعد ان هجره جميع الاعـ

وفي نيويورك نادي يسمى نادي مبغضي الز اعضائه يقسمون بالبقاء عازبين مدى الـ التمامل ... من اعمال الا

ومنــذ كان للتغريب شــأنٌ وكلمةٌ مسموعــةٌ وهو يسعى لقطــع السبل إلى الــزواج والعفاف، يقول تعــالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ﴾ [النور: ٣٢]، يقول عبد الكريم الخطيب في تفسيره لهذه الآية: «أي وزوجوا من لم يتــزوج من أحراركم وحرائركــم، وزوجوا كذلك الصالحين من عبادكم؛ وهــم العبيد، وإماؤكــم؛ وهنَّ الرقيقــات.. أي وكما يرشدكــم الله سبحانه وتعالى إلى أن تتزاوجوا فيما بينكم أيها الأحرار، لتحفظوا فروجكم، كذلك ينصح لكم أن تزوجوا من ترونه صــالحاً للزواج من عبيدكم وإمائكم.. فهم بشــرٌ مثلكم، فيهم رغبةٌ وشهوةٌ، وإنه لا سبيل إلى قضاء هذه الشهوة، إن لم

يكن في حلالٍ ففي حرامٍ، ومن أجل هذا فإنَّ على من في يده فتى أو فتاة أن يرعى الله فيهما، وألّا يدعهما هملاً، يعيشان في الفاحشة كما تعيش البهائم.. فهم جزء من المجتمع الإنساني، وفي فسادهم فساد للمجتمع، ومنهم تصل العدوى إلى غيرهم من الأحرار والحرائر»[1].

٤. الوعد الكاذب بالزواج:

«حيث تنخدع الفتاة بتأكيد أحدهم لها برغبته في زواجها، فتبيح له منها ما أراد، على اعتقاد استمرار الصلة بينهما، وأنَّ عقد الزوجية المجزوم به عندها (متى حصل) يمحو كلَّ ما تقدَّمه، ويظهر من هذا الاختلاط حملٌ مستكنٌّ، ويتنحى عنها الخادع الخائن»[2]. قلت: وهذا يوضح مدى الاستعداد المدفون للخديعة بداخل شخصية المرأة، وقابليتها التامة أن تنطلي عليها حيل الرجل، وعدم إدراكها لمدى الخطورة الكامنة في التعامل مع الرجال الغرباء، ولأجل أنها بهذا المستوى الضعيف أمرنا الإسلام ألا نوكل لها شأن الزواج أو الطلاق، أو السفر بمفردها، أو مخالطة الرجال.

٥. سمسارات الإفساد:

إنَّ الدغدغة بالزواج ووعود المرأة بالولد والبيت هو من مواطن ضعفها ومخادعتها، وهذا ما دفع سمسارات الزواج ورسل الإفساد إلى نصب الشراك والشباك للفتيات الساذجات، حتى يضيع مستقبلهنَّ الباسم، وتأتي الأذية بعد ذلك للوالدين بأبشع ما تذوقه نفوس البشر وكرامتهم، وبانتشار هؤلاء السمسارات في الأوساط العائلية الذي سوَّغ لهنَّ دخول المنازل الشريفة، فجلبن الوباء والفواحش إلى الفتيات الكريمات، وبدلاً من أن يصبحن أمهاتٍ فاضلاتٍ لأبناء الجيل، أصبحن متمرداتٍ على

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١٢٧١/٩).

(٢) أنطون زكرى أمين، تحريم البغاء عند قدماء المصريين وحض الحكومة على إلغائه (ص٥٧).

الأخـلاق، وربما وصلن آخر المطاف فالتحقن بركب البغايا والمومسات، جاء في صحيفة العروسـة، بتاريخ ٢٠ مارس ١٩٣٥م، مقالٌ بعنوان: (اللهم رفقاً بالأخـلاق.. التـي ضاعت بين جـدران الملاهي المريبة)، وقـد ورد في المقال قصـة الراقصة (جمالات حسن)، وكيف انتقلـت من دار الشرف والعفاف لتحصل على وثيقة من دار العهر والبغاء.

يقـول عنهنَّ أنطـون زكـري: «ذوات الظواهر المزيفة، مـا بين خاطبات وخائطـات ومطربات وسماسرة، وبعضهم ينتحـل صفات المعالجة الخاصة بالسيـدات، حتى تألـف الجاهلة الوقوع في فخاخ المنـازل السرية، ثم تجرؤ بعـد ولوجها بهذا الميدان علـى الانضمام إلى البغايـا»[1]. وكذلك فإن سوء الاختـلاط بالشواذ بـين طبقات العمال ومـن في حكمهـم، والذين تلجئهم ضـرورة الاقتصاد في المعيشة إلى السكـن بأماكن حقيرة، يجتمع في غرفها الضيقة أفرادٌ كثـيرون مع تفاوتهم في الأخلاق والعادات والأعمار، كل ذلك يـؤدي إلى الاستهتار بالصيانة والآداب، فتصبح وقاحة التخاطب والمعاشرة الفاسدة طبيعية لازمة[2].

٦. عيشة الاستعباد والرقّ:

كعيشـ الإمـاء والجـواري، الذي هـو مظنَّـة الضعف، وجالـبٌ لانكسار النفسـ، وانتحار الكرامـة، والتعرض للإكراه على البغـاء، كما في قول الله تعـالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النـور: ٣٣]، وقـد جاء الاستفهـام على لسان هند بنت عتبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين قالت: «أَوَتزني الحرة؟!»، لأنَّ الفـارق واضـحٌ كبيرٌ بين الحرائـر والإماء كما يقـول الفيروزآبادي عن الحرائر: «ولأنهنَّ إلى الصِّيانة أقرب، ومن الخيانة أبعد، ولأنَّهنَّ لا يتعاطين مـا يتعاطـاه الإماءُ والكتابيَّـات من اتِّخـاذ الأخدان»[3]، «وبمـا أنَّ الجارية

(١) أنطون زكرى أمين، تحريم البغاء عند قدماء المصريين وحض الحكومة على إلغائه (ص٥٨).
(٢) أنطون زكرى أمين، تحريم البغاء عند قدماء المصريين وحض الحكومة على إلغائه (ص٥٤-٥٥).
(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ١٧٤).

كانت مجرد متاعٍ تنتقل من تحت سياج إلى آخر، فإنَّ إدراك الجارية لقيمة العفـة كان ضعيفاً جـداً... وعلى هذا الأسـاس كانت الجواري السود من أول الفئات التـي التحقت بالحملة الفرنسيـة»[1]، «وبعد ثـورة القاهرة الثانية، أخـذ الفرنسيون كثيراً من نساء بولاق، وأجبروهـنَّ على العيش كالغانيات، وعاشروهـن معاشـرة الأزواج»[2]، «ثـم تلا ذلك هروب كثـير من الجواري السـود إلى معسكرات الفرنسيين، بعد أن علمن رغبة الفرنسيين في (مطلق الأنثى) على حد قول الجبرتي»[3].

«وبعد عتق الجواري السودانيات صرن يمارسن البغاء في الكرخانات»[4]، يقـول د. صلاح العقاد: «ولعله من المقبول أن تميل كثيراتٌ من الجواري إلى ممارسـة تلك الحرفة، والسعي خلف الجنود الفرنسيين، ففي مجتمعٍ يأخذ بنظام الرقِّ، لا بد أن يكون إدراك المرأة المسترقَّة لقيمة العفَّة ضعيفاً»[5].

٧. مهنة التخديم:

اختفـى الرقُّ والعبوديـة القديمة ليظهر الرقُّ في صـورة السبي المعاصر في المهـن المرذولة التي تجلب المهانة وانكسار النفوس؛ كوظيفة السكرتارية، ووظيفـة التخديم، ومـا شابهها، فهي مظنة الابتـزاز والتحرُّش، فضلاً عن أنَّها صورةٌ مـن صور الاستعباد المعاصر الذي يبـدو بقشرةٍ حضارية. تقول نجية إسحاق عن وظيفـة السكرتارية: «إنَّها أشدُّ خطراً من تعرض الموظفة للابتـزاز والتحرُّش؛ حيث تصفها بأنها جـاءت لائقةً بالتطور الحتميِّ لمهنة البغـاء، وتقـول: «وهـؤلاء البغايـا لا يعتبرون أنفسهـنَّ بغايـا، وإنما يسمين

(١) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن التاسع عشر (ص٢٧١).

(٢) كريستوفر هيرولد: بونابرت في مصر (ص١٦٩-٢١٧). كتاب البغايا في مصر (ص٣٦).

(٣) عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار (١٦١/٣). كتاب البغايا في مصر (ص٣٦).

(٤) دفتر قيد النتائج بضبطية إسكندرية رقم: س٧/١٠/١٩ (ص٢٤).

(٥) د. صـلاح العقـاد: الجبرتي والفرنسيس، بحث ضمن كتـاب: عبد الرحمن الجبرتي - دراسات وبحوث (ص٣٢٣).

أنفسهنَّ (فتيات ترفيه)، وهنَّ أكثر حظاً من التعليم، وأكثر تهذيباً، ومن أجمل النساء، ومعظمهنَّ يقمن بالخدمات من خلال أداء وظيفة السكرتارية أو غيرها من الوظائف المحترمة»، حتى قالت: «والحقيقة أنَّ فتاة الترفيه هذه ليست سوى عاهرة، ورجل الأعمال الذي يستخدمها ليس سوى قوَّاد، والألفاظ لا أهمية لها»[1].

وجاء ما يثبت ذلك من مسرح الواقع في جريدة المصور، العدد ١٦٢ بتاريخ ٢٥ نوفمبر ١٩٢٧م، عما جلبته أشباه تلك الوظائف والمهن من تقريب للفاحشة، وتهيئة أسباب التحرش والاغتصاب:

في مطاعم تركيا

اصدر مدير بوليس الاستانة أمراً بأن تكون المستخدمات في المطاعم تحت مراقبة البوليس ذلك لان الفتيات التركيات أصبحن بعد خلع الحجاب والامتزاج بالشبان كالغربيات ميلاً الى استمالة الشبان حتى بات وجودهن في المطاعم من دواعي الاخلال بالنظام

والغيور يأبى كلَّ وظيفة تجلب لمحارمه مخالطة الرجال، فكيف إذا زاد على المخالطة أن يكون المسؤول المباشر عنها رجلاً يباشر محاسبتها، ويملك السلطة والقرار عليها، كما يُلحَق بما مضى من أمثلة البلوى، ومكيدة الحكومات تجاه المصونات، ما فتحته من مهنة الخدمة في البيوت، والتي كانت مطيةً حسنةً للبغاء، والرجل في مجال العمل المختلط يمكن -إذا كان شريراً- أن يستخدم وسائل الإغراء والإيقاع حتى يتمكن من إغواء المرأة فتتبعه إلى حيث يريد، حتى إذا نال وطره منها تركها تعضُّ أصابع الندم،

(١) نجية إسحاق عبد الله محمد: سيكولوجية البغاء-دراسة نظرية وميدانية (ص٤٩-٥٠).

حتى إذا فقدت الطريق القويم سارت في تيار البغاء والفاحشة، فوضع المرأة المتدني في المجتمع يؤثر فيها تأثيراً يجعلها خانعة متقبلة للامتهان والفواحش، فمن خلال الوثائق نجد أنَّ الجارية السوداء كان لها دورٌ مهمٌّ داخل الكرخانة، حيث كان العمل الأول للجارية في داخل الكرخانة هو الخدمة[1]، تقول نجية إسحاق: «ولا عجب إذن أن نجد نسبة كبيرة من البغايا من خادمات المنازل؛ لتفضيلهنَّ البغاء على الخدمة المنزلية»[2]، فالخادمة ضعيفةٌ لا محرم لها تستقوي به، وتستصغرها النفوس فتجرؤ عليها بالاغتصاب، فهي عُرضةٌ لتحرش البالغين والمراهقين في المنزل، فبعضهم يراها سهلة المنال بدلاً من العلاقات الخارجية التي ربما جلبت الفضائح.

تشير مجلة (اللطائف المصورة) إلى «أنَّ كثيراً من الخادمات والفتيات المشتغلات بجمع أعقاب السجائر، قد فضلن السير في طريق البغاء، وعقب بناء دار التمثيل العربي امتلأ شارع وجه البركة وقنطرة الدكة بفتيات حقيرات، تدلُّ على ذلك ألقابهنَّ: الحافية، الجزَّارة، الكرشاتية، الشحَّاتة، الغفير، وكانت الواحدة منهنَّ تؤجِّر حجرةً مفروشةً في منزلٍ من منازل وجه البركة، وتمارس البغاء السريَّ، ولا يخضعن للكشف الطبيِّ»[3].

«كما كانت الفتيات العاملات جرسونات في المطاعم والبارات عنصراً مهمّاً في هذه الحرفة، يؤكِّد ذلك أن البوليس كان يرسلهنَّ دائماً للكشف الطبيِّ، للتأكد من خلوهنَّ من الأمراض السرية، ويشير مأمور قسم الأزبكية إلى أنَّه قد ضبط ٤٥٩ جرسونة في عام ١٩٤٠م يعملن بدون ترخيص، وبإرسالهنَّ للكشف الطبي ظهر أنَّ بينهن ٩٧ امرأة مصابة بأمراضٍ نفسيةٍ، مما يعني أنَّ ممارسة البغاء كانت هي العمل الحقيقي لهنَّ، أما تقديم

(١) ديوان مجلس الأحكام، سجل رقم: س٢/١٠/٧١. البغايا في مصر (ص٦٩).

(٢) نجية إسحاق عبد الله محمد: سيكولوجية البغاء - دراسة نظرية وميدانية (ص٥٠).

(٣) اللطائف المصورة، في ١٠ يونيو ١٩٣٥م (ص٩). البغايا في مصر (ص٦٤).

المشروبـات والأطعمة فهو مجرد عملٍ ظاهريّ»[1]، وجـاء في الإحصائية أنَّ نحو نصف العاملات (٧٤ بغياً، أو ٤٨,١٪ من المعترفات) يشتغلن بالخدمة المنزلية، في حين كان نحو الربع (٣٥ بغياً، أو ٢٢,٧٪ منهن) يعملن في مهنٍ (فنيـة)؛ كفتيات الكومبارسـ في السينما، أو في صـالات الرقص والملاهي الليليـة. ومن كنَّ يعملن في مهنٍ صناعية، فقليلات العدد نسبياً (٢٢بغياً، أو ١٤,٣٪ من مجموع العاملات)[2].

٨. الإيقاظ المبكر لشهوات الأطفال:

ينشأ الطفل وتنشأ معه الغفلة الحميدة عن الفحش والخبث وتفاصيلها، ويكبر وتكبر معه الغفلة الحميدة وشرود العفاف وإبعاد الغرائز عن الريبة، وهذه الغفلة البريئة تحفُّها المحظورات التي تفسدها وتدنس براءتها، ويدخل في هـذه المحظـورات تهاون بعضـ العائـلات في مضاجع أبنائهـم الصغار والكبار، وتركهم ينامون بمكانٍ واحد، تتلامس فيه الأعضاء، أو تتكشف بلا حجـاب ولا وقاية، وكثيراً مـا تؤدي الملامسة غير المقصـودة في بادئ الأمر إلى تعمُّدها، والتدرُّج فيها إلى ما بعدها، وتغاضي الآباء والأمهات عن ذلك يمكن الفريقين بعد تلوثهما وانغماسهما في ذلك من الاستدامة عليه، بعكس مـا لو كانوا بمعزلٍ عنه، وهنا ندرك حكمة القـول بأنَّ من حام حول الحمى يوشـك أن يقع فيـه، فمن كمال الصيانة والتهذيـب للأطفال والمراهقين أن يكـون الأبناء في مضاجعهم منعزلين عـن أخواتهم البنـات، «كما يجب إبعاد الأبناء الكبار عن أخواتهم الصغار؛ لغرس الاحتشام بين الطرفين، الذي هو ألزم الصفات الواجبة لوقار العائلة واستقامة أفرادها»[3].

امتـدح الله في الطبيعـة البشريَّة خصلة الغفلة عـن الفواحش، والجهل بتفاصيلها، سواء للرجال أو للنساء، فكيف بمن هم في سنِّ الطفولة، ومرحلة

---

(١) تقرير عن حالة الأمن العام بقسم الأزبكية، ١٩٤٠م.

(٢) البغاء في مصر، مسح اجتماعي ودراسة إكلينيكية (ص٥٠).

(٣) أنطون زكرى أمين، تحريم البغاء عند قدماء المصريين وحض الحكومة على إلغائه (ص٥٥).

البراءة؟! كلُّ ذلك كي لا تستيقظ غرائزهم قبل نضج أجسادهم، ولذا جاء الأمر الربّانيُّ بتعليمهم أدب الاستئذان حتى لا تقع أعينهم على العورات، فيقول الحقُّ تبارك وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍۢ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍۢ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۢ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النور: ٥٨-٥٩]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾، فيجري تلويث أفكارهم البريئة في وقتٍ لم يعرفوا فيه شيئاً عن الفجور والفحش، أو إثارة اللذات قبل أوانها في أنفسهم، وتلقينهم دروب الرذيلة التي تسقط الشرف، وتقضي على الشهامة، وتحرِّك في خيالهم ما لديهم من الغرائز الجنسية بصورةٍ مفاجئة.

إنَّ ما يقوم به سماسرة الفاحشة في وسائل الإعلام هو إيقاظ العقول إلى الفواحش، فتطمئن نفوسهم إلى محاولة التجربة، والتسامح مع الخطيئة رويداً رويداً، وتتوالى برامجهم ومسلسلاتهم وإنتاجهم على الحديث عن الرذيلة إلى حدِّ التفنُّن في عرضها، واختلاق المعاذير لبسط تفاصيلها، وإغواء الأطفال عمداً في لباس المصادفة، فيسلبهم غفلة العفاف؛ ليصبحوا نبيهين واعين بثقافة الخنا والرذيلة، فالشاشات تؤدي دور التثقيف المجانيِّ المتقن، الذي يدرِّب الأطفال على الملذات الجسدية قبل الأوان، ويزيد خبرتهم وتعلقهم بالفساد، ولا يتطرق الملل للإعلام من تكرار ما يفتن قلوبهم، أو فسقٍ ظاهرٍ يرتكب في حضورهم وأمام أبصارهم.

يقول محمد نيازي مساوياً بين إفساد الأطفال وجريمة هتك أعراضهم: «الواقع أننا لا نرى مبرراً يجيز مثل هذه التفرقة، فليس إفساد القاصر أقل خطراً من هتك عرضه، بل إنَّ القانون حين يحمي القاصر ممن يفسدونه،

إنما يستهدف حمايته في النهاية في المساس بعرضه في سنٍّ لا يُقدِّر فيها عواقب تصرفاته»[1].

٩. الفقر:

يحلو لكثيرين ربط الفقر بالزنى، وجعله سبباً في وقوع المرأة في الفاحشة أو البغاء، وحقيقة الأمر أنَّه ادعاءٌ مردودٌ، وإنما ذكرته هنا لاشتهار هذه الشبهة على الألسن، وإلا فقد أُجري مسحٌ اجتماعيٌّ ودراسةٌ إكلينيكيةٌ كشفت أنَّ العامل الاقتصادي ليس مسؤولاً دائماً عن اندفاع الإناث في تيار البغاء[2].

«فهي بعد فقرها تلجأ إلى اكتساب معيشتها من إحدى الطرق؛ كأن تشتغل خادمةً في المنازل أو في مدرسةٍ أو في مستشفى، أو بائعةً، ومع اختلاطها بالرجال تكون قابلة للزلل، فإذا ما اكتُشِف أمرها رفِتت، فلا تجد طريقاً للكسب سوى مهنة البغاء، وما تتعرض له الخادمة في المنازل من القسوة مبالغٌ فيها، وما تتعرض له من معاكسات وميقات[3] يجعلها تُفضِّل البغاء على الخدمة، كما أنَّ نظام الرخص للخادمات لا يختلف كثيراً عن نظام الرخص للبغايا، فالخدمة هي السلَّم للبغاء، علماً أنَّ هناك تحالفاً وتعاوناً وثيقاً بين تجار الرقيق الأبيض وأصحاب مكاتب التخديم»[4].

١٠. التبرُّج والعري:

«برؤية الرجال وأمام أعينهم في الطرق، والمتجولات في الأزقة والشوارع، كلُّ هذا تحريضٌ يرغم الشبان للتهافت على المهالك، فكما

---

(١) جرائم البغاء (ص٤٥٧).

(٢) البغاء في مصر، مسح اجتماعي ودراسة إكلينيكية (ص٤٢).

(٣) هكذا وجدتها في مرجعها، ولعلَّ الصواب: مضايقات.

(٤) الكاشف، في ٢٠ ديسمبر ١٩٢٧م (ص٢-٣) بتصرف. البغايا في مصر (ص٦٥).

يُعَاقَب الشابُ على التعرُض، يجب أن تُعَاقَب المرأة المتبرجة، لأنَّ تبرجها شباكٌ صائدٌ»[1].

١١. تقليد الأجنبيات:

عنيت وسائل الإعلام، بمختلف صنوفها، بإبراز النساء الكافرات بصفتهنَّ قدوات، وبصفتهنَّ المثل الأعلى، وعنيت بإبراز أدقِّ التفاصيل لحياتهنَّ، ونشرها يومياً للمسلمات، واستمر ذلك مُدداً طويلةً وسنواتٍ مديدةً، يقول د. فخري ميخائيل: «ومن العوامل التي ساعدت على انتشار البغاء السري الرغبة العارمة بين المصريات في تقليد الأجنبيات في أزيائهنَّ، وانتشار المودات[2] الرخيصة بينهنَّ، وانتشار التمثيل الهزلي في عواصم المديريات، ومعظم هذه (المسارح) هي في حقيقتها مفسدة للأخلاق قاتلة للفضيلة»[3]. وتقليد الأجنبيات يتمدد شيئاً فشيئاً؛ يبدأ باقتباس القشور واللباس والمظهر الخارجي، لينتهي بطمس الهوية الإسلامية والأخذ منهنَّ الطباع والقناعات ومستوى العفاف والفضيلة، وهذا ما حصل بالفعل؛ فقد كانت البغايا الأجنبيات هنَّ القدوات لغيرهنَّ كما يلمح لذلك محمد عطية بقوله عنهنَّ: «كما أنَّ معظم راقصات شارع عماد الدين كان لهنَّ في سوق الدعارة السرية منزلة خاصة، حتى إنَّ إحدى الصحف أهابت بالحكومة أن تجري كشفاً صحياً عليهنَّ، شأنهنَّ في ذلك شأن البغايا الرسميات»[4].

---

(١) أنطون زكرى أمين، تحريم البغاء عند قدماء المصريين وحض الحكومة على إلغائه (ص٦٥ بتصرف.

(٢) المودات: الموضات.

(٣) د. فخري ميخائيل فرج: تقرير عن انتشار البغاء والأمراض التناسلية بالقطر المصري وبعض الطرق الممكن اتباعها لمحاربتها، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٢٤م (ص٢٨-٣٠). كتاب البغايا في مصر (ص١٩٠).

(٤) محمد عطية الجداوي: مشاكل العصر الحديث في مصر والأمم الشرقية، مطبعة الصاوي، القاهرة (ص١٤٢). كتاب البغايا في مصر (ص١٩٠).

١٢. مجاراة الفتاة للرفيقات وحبُّ التقليد:

فربما وقعت المرأة في الفاحشة، ولحقت بركب البغايا؛ لتُجاري في المظاهر والملابس نساء يسولن لها الاقتداء بهنَّ في الانحراف والرذيلة والفواحش، لأنَّ حُبَّ التقليد يعمي المصابين به عن القناعة بالميسور، ويدفعه إلى التوسع في الملذات بمختلف صوره.

في إحصائية أجريت بدت ممارسة أكثر من نصف البغايا (٢٣٢ بغياً، أو ٥٣,٥٪ المعترفات منهن) بتحريض زميلاتٍ سبقنها في ممارسة البغاء[1].

«وتشير هذه البيانات إلى الدور الحاسم الذي يلعبه إغراء الزميلات وتحريضهن، ويثبت ذلك أثر عصبة القرينات، وثلة الصديقات، وزمرة الرفيقات في العمل في تطبيع الفتيات، وتشكيل شخصياتهنَّ، بحيث يدخل البغاء إطار حياتهنَّ تدريجياً، وبطريقةٍ غير مباشرة»[2].

١٣. مهمة التجسس لمصلحة الحكومات والأحلاف السياسية:

حيث تمارس المرأة التي تسعى للتجسس البغاء عن طريق وهب نفسها لكلٍّ من يمدُّها بالبيانات والأخبار، والمرأة تدرأ عن نفسها مسؤولية ما ترتكبه من إجرامٍ بتقديم نفسها إرضاءً لشهوات هؤلاء القائمين على مراقبتها، والقادرين على ضبطها، وإقامة الأدلة على فعلها[3].

تقول نجية إسحاق: «وليست هذه الصورة هي الصورة الوحيدة؛ بل إن الاعتراف بقوة الجنس يظهر في عمليات التجسُّس في ميدان الأعمال لسرقة أسرار المنافس»[4].

---

(١) البغاء في مصر، مسح اجتماعي ودراسة إكلينيكية (ص٥٢).

(٢) انظر: حسن الساعاتي: التحليل الاجتماعي للشخصية: اتجاه جديد لفهم السلوك المنحرف، المجلة الجنائية القومية، المركز القومي للبحوث الجنائية، القاهرة، العدد الأول، السنة الأولى، مارس ١٩٥٨م. البغاء في مصر (ص٥٢).

(٣) نيازي حتاتة: جرائم البغاء (ص١٦٣).

(٤) نجية إسحاق عبد الله محمد: سيكولوجية البغاء-دراسة نظرية وميدانية (ص٥٠).

صور ضعف الغيرة

إنَّ لضعـف الغيرة علامات واضحات، فكما أنَّ الدين يَضعف بالمعاصي، والبـدن يضعف بالأسقـام، والبنيان يضعف بالتقـادم، والحكومات تضعف بالخيانـات وتـولي الخونـة، كذلك حـال الغيرة كحـال غيرها؛ يـدبُّ إليها الضعف ويعتريها النقص في مظاهر من أبرزها:

١. إدخال وسائل الإعلام المفسدة:

الغيور يأبى أن يتربَّى أولاده على أيدي نصارى الشام وفسَّاق العرب، والإعلام يعجز عن كتمان حربه على الإسلام والفضيلة حرباً تكشف عن ساقيها، وليس كشـف الساق وحسب، بـل كشفت عمَّا يُستحى من ذكره مـن العهر، والفسوق، والعصيـان، فكانت الغاية الأولى للإعلام هي الشرك وأسبابه، وإخراج الناس مـن النور إلى الظلمات، ثم هدم الغيرة والعفـاف، ونشر الدياثة والمجون، وأن يقلـب أقذر الأمراض الاجتماعيَّـة إلى أسمى صور الحضـارة والحريَّة، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مـا مـن عبد يسترعيـه الله رعيَّة، يمـوت يوم يموت وهـو غاشٌ لرعيتـه إلَّا حـرَّم الله عليـه الجنَّة**»[1]، يقول الشيـخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعلى هذا فمن مات وقد خلَّف في بيته شيئاً من صحون الاستقبال (الدشوش)، فإنه قـد مـات وهو غاشٌ لرعيته، وسوف يُحـرم من الجنة، كما جـاء في الحديث، ولهـذا نقـول: إن أيَّ معصيةٍ تترتب علـى هذا الدش؛ الذي ركبـه الإنسان قبل موته، فإن عليه وزرها بعد موته، وإن طال الزمن، وكثرت المعاصي»[2].

(١) متفق عليه.

(٢) خطبة للشيخ ابن عثيمين رحمة الله تعالى. من مقال (خطر الدش)، شبكة الألوكة.
https://goo.gl/19zjB8

٢. الرضا بخلوة المرأة بسائقٍ أجنبيٍّ:

ذو الغيرة المحمودة تأنَفُ نفسُه أن يزاحم أهله ونساءه رجالٌ غرباء، ولا يفرِّط في حقِّ محارمه تفريطاً يُعوِز إحداهنَّ للأجانب، فتضطرُّ إلى الخلوة بسائقٍ، أو الخروج أوقات الريبة كالأوقات المتأخرة من الليل، أو يحوجهنَّ إلى التردُّدِ على الأسواق بمفردهنَّ، من غير حاجة، ولا يرضى أنْ تنزِلَ موليتُه إلى السوق العام وحدها دون أنْ يرافقها بنفسه؛ مَحْرَماً وحارساً وخادِماً، كما افترض اللهُ عليه؛ تكليفاً له وتشريفاً وإعزازاً للمولية.

٣. الرضا بدخول الحمو على المحارم:

وصف النبي ﷺ الحمو بأنه (الموت)، ولم يصفه بما هو دون ذلك من الإعياء أو المرض، روى البخاري ومسلم عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والدخول على النساء». فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت»، قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المراد بالحمو هنا أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه، فأما الآباء والأبناء فمحارم لزوجته، تجوز لهم الخلوة بها ولا يوصفون بالموت، وإنما المراد الأخ وابن الأخ والعم وابنه، ونحوهم ممن ليس بمحرمٍ، وعادة الناس المساهلة فيه، ويخلو بامرأة أخيه فهذا هو الموت، وهو أولى بالمنع من الأجنبي؛ لما ذكرناه»، قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «دخول أقارب الزوج على بيت الزوج أخطر من دخول الأجانب؛ لأنَّ هؤلاء يدخلون باعتبارهم أقارب فلا يستنكرهم أحد، وإذا وقفوا عند الباب يستأذنون لم ينكر عليهم أحد، لذلك كان حراماً على الإنسان أن يُمَكِّن أخاه من الخلوة بزوجته، وبعض الناس يتهاون في هذا الأمر تجد عنده زوجة وله أخ بالغ، فيذهب الرجل إلى العمل ويترك زوجته وأخاه في البيت وحدهما، وهذا حرامٌ لا يجوز؛ لأنَّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، ولكن كيف الخلاص إذا كان البيت واحداً؟! يجب أن يجعل باباً بين محل الرجال ومحل النساء مغلقاً، مفتاحه معه يأخذه معه، ثم يقول لأخيه: هذا محلك، ويقول لأهله: هذا محلك، ولا يجوز أن تبقى الأبواب

مفتوحـة؛ لأنَّه قد يدخل عليهـا، فيغويه الشيطان فيغتصبهـا، وربما يغرها حتـى توافق وتكون كأنها زوجة له يدخل عليهـا ويخرج ولا يبالي، نسأل الله العافية.

ومن صور ضعف الغيرة الرضا بالعلاقة بين الفتاة وخطيبها قبل الزواج وعقـد النكاح، فهو أمـرٌ محرَّمٌ لا يجوز إلا ما أحلَّـه الله تعالى من (النظرة الشرعية) التي تكون بحضور المحرم معها، فكما أنَّ الطريق إلى جهنم معبَّدٌ بالنيـات الحسنة، فإنَّ الطريـق إلى الفاحشة معبدٌ بنية الزواج أحياناً، ثبت عـن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: **«لا يخلون رجلٌ بامرأة، ولا يحلُّ لامرأة أن تسافـر إلا ومعهـا ذو محـرم»**[1]، وكلُّ اجتماع بـين الخاطب والمخطوبة قبل عقد النكاح فهو محرَّم؛ لأنَّه أجنبيٌّ عنها، ولأنها أجنبيَّةٌ ليست من محارمه.

٤. الرأفةُ بأهلِ الفواحش:

يقـول شيخ الإسلام ابـن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعليقاً على قـول اللهِ تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ الآيَـةُ: «نهـى -تعـالى- عمَّا يأمر بـه الشَّيطان من المحبَّة والشهـوة والرأفة، التي يزينها الشيطـانُ بانعطافِ القلوب على أهل الفواحش والرأفـة بهـم، حتى يدخل كثير مـن النـاس بسبب هـذه الآفة في الدِّياثـة وقلَّة الغـيرة، وظن البعضـ أنَّ الرأفة بهؤلاء ولـو كان ولده أنَّ هذا مـن رحمة الخلقِ، ولِين الجانب بهم، ومكارم الأخلاق، وقد غلط؛ إنما ذلك دياثةٌ، ومهانةٌ، وعدم دينٍ، وضعفُ إيمانٍ، وإعانةٌ على الإثم والعدوان، وترك للتَّناهـي عن الفحشاء والمنكـر. وتدخل النفس به في القيادة التي هي أعظم الدياثـة، كما دخلت عجوز السُّوءِ زوجة لوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومها في استحسان ما كانوا يتعاطون من إتيان الذُّكران.

وقـد نهانـا الله عزَّ وجلَّ أن تأخذنا بالزُّناة رأفـةٌ، بل نقيم عليهم الحدَّ، فكيـف بما هو دون ذلك من هجرٍ وأدبٍ باطنٍ وغير ذلك؟! وذلك لأنَّ المحبَّ

---

(١) متفقٌ عليه.

العاشـق ليـس دواؤه في أنْ يعطـي نفســه محبوبها وشهوتها مــن ذلك؛ لأنه مريضـ، والمَريضـ إذا اشتهى ما يضـره، أو جزع من تنـاول الدواء الكريه فأخذتنـا رأفـةٌ عليه فمنعناه مــن شُرْبِهُ فقد أعنَّاه على مـا يضره أو يهلكه، وعلى تركِ ما ينفعه، فيزدادُ سقمه فيهْلك»[1].

٥. الرضا بتبرُّج المحارم وإظهارهنَّ لزينتهن ومفاتِنهنَّ:

يخصصـ الغيور جزءاً من اهتمامــه ليتفقَّد لباسـ محارمه وحجابهنَّ واحتشامهـنَّ، والحرصـ على أن تكون الألبسة لا تصـف، ولا تشفُّ، وليست ضيقةً أو قصيرةً أو شفافةً، ونحو ذلك مما فشا في زماننا، واعتادته أوساط النســاء، وأن تكون خاليةً من أيِّ زينةٍ، وعطرٍ، فكلُّها مخالفات يأثم فاعلها، ويأثـم من رضيَ بها، ويأثم مــن صمت عنها، بل رحلـت احتياطات العلماء أبعد من ذلك، فيقول الشربيني عن صوت المرأة عند سماع الرجال: «ونُدِب تشويهــه إذا قُرِع بابها فلا تجيب بصوتٍ رخيم، بل تغلظ صوتها بظهر كفها على الفم»[2].

أمــا اليــوم فقد تبدلت الحــال، وسمحت بيــوت الأخيار بلبسـ البنطال والضيِّـق والقصـيـر، ومــا يكشف الصـدر والعضُديـن، في مناظـر مؤسفة تخدش حياء الفتيات، فخانوا الأمانة في رعايتهنَّ، وفي تربيتهنَّ على العفاف والحشمة، وربما وقعت الفاجعة الكبرى فحصل تهييج الغرائز بين المحارم، فوقـع الأخ على أخته، ووقعت الفتاة في غرام عمِّها أو خالها، وانقلب المحرم مــن حافظٍ للأعراض إلى هاتـكٍ للأعراض، وتعالت صيحـات الأغيار من حوادث الاغتصاب والتحرش بين المحارم.

فمن المعاقب... والقتيل القاتل؟!

ولا مســوغ للمفاجــأة إذا علمنــا أنَّ اعتداء الفساق وأهــل الشهوات على

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/٢٨٧-٢٨٨).

(٢) مغني المحتاج (٣/١٢٩). انظر: المجموع للنووي (٣/٢٥٦) (٧/٢٥٩).

المـرأة المتبرجة إنما هو لقناعتهم أنَّ المتبرِّجة لا تخلـو من حالين؛ إما أنها: ١- لا وليَّ لهـا يحميهـا ويغار عليها. ٢- أو أنَّ لباس الريبة الذي تلبسه يعني رضاهـا بالتحرش بها وعدم انزعاجها من ذلـك التحرش، فصارت كغزالٍ شرودٍ في أرض مسبعةٍ.

٦. رضى المحرم بابتعاث المحارم وحدهنَّ:

أفـرط في الأوهام من ظنَّ أنَّ فكرة الابتعاث نشأت لخير الإسلام ورفعة أهلـه، حيث جاءت فكرة الابتعاث مصاحبة لدبابة المحتلِّ وعصر الاحتلال، ومـن ثَـمَّ فكلُّ إصلاحاتـه يجب أن نفهمهـا في ضوء هذه الحقيقـة، وحذارِ أن ننسـى (العقول المهاجرة)؛ تلـك العقول المتميِّزة بالكفـاءة العلميَّة التي هاجـرت من بلادنا إلى الغـرب ولكنها رحلت ولم تسمح لهـا الدول المحتلَّة بالعـودة لنفع بلادها، وهذا مما يفضح الابتعـاث الحكوميَّ، وقد أسرف في الوهـم من ظنَّ أنَّ الابتعاث جـاء لتحويلنا من أمَّةٍ مستهلكةٍ إلى أمَّةٍ منتجة، فمـا ازدادت الأمَّـة مـن الابتعاث خلال القرنـين المنصرمـين إلَّا استهلاكاً وتبعيَّة، فالابتعاث سورٌ له باب ظاهره فيه الرحمة، وباطنه من قِبَله العذاب.

ورغم خطـورة أمر الابتعاث فإنَّ خطره يتفاقم حين يستهدف الأعراض ويتخذهـا وسيلةً لتحقيق أهدافه، وقد ظهـر بيننا من رضي بابتعاث زوجته أو موليتـه؛ وزيَّن الشيطـان القرح في عينه قليلاً قليلاً حتـى استحبَّ العمى علـى الهدى، وانقلب الفعل الشنيع في عينـه إلى علامةٍ من علامات التمدُّن والحضارة، وهبةٍ من عطايا السماء.

وإنَّ من ضعف الغيرة أن يترك الرجل أهله يسافرن دون مَحرمٍ يُعينُهنَّ، ويَحوطُهنَّ، إما للدراسةِ، أو للعلاج، أو للعمل، ونحوِ ذلك من توافه الأعذار.

ومـن سخرية الأحـداث أن يكون مجال الابتعاث للمـرأة في تخصصات تجدهـا في بلدها أفضـل مما تجدها في بـلاد الكفر والإلحـاد، فما المسوغ للابتعـاث غـير فسـاد المعتقد وفسـاد الأخـلاق وحسب، وهذا مـا تكرر في

أرشيف الابتعاث منذ عشرات السنين، وتنقل جريدة المصور أحد الأمثلة في عددها ٧١ بتاريخ ١٩ فبراير ١٩٢٦م، كما في الوثيقة:

> بعثات المعلمات المصريات
>
> وافقت اللجنة الاستشارية العامة لبعثات الحكومة المصرية على ايفاد ست عشرة فتاة في ارسالية وزارة المعارف الى اوربا في السنة القادمة تتخصص أربع منهن في التدبير المنزلي . وأربع في رياض الاطفال . واثنتان في الرسم . واثنتان في المواد العلمية . واثنتان في المواد الادبية . واثنتان في التربية البدنية

٧. الرضا باختلاط المحارم بالأجانب:

الغيــور لا يرضــى أن تكون محارمه سبباً لفتنة أحــدٍ، ولا سلعةً معروضةً تختلط بالرجال، وتلفت نظر كُسيرٍ وعويرٍ، ممن خطرت بباله الخيانة، ومن لم تخطر له على بالٍ.

إنَّ الاختــلاط سبيــل النظر المحــرم، وافتتان كلِّ جنسٍ بالآخر، وسبيلٌ لإثــارة الشهوات، ومن رضي باختلاط محارمــه بالأجانب، فسيرضى حتماً بمــا يتلوه من المزاح والضحك، وما يخدش الحياء، وشأن المؤمن مع الغيرة كشأن الزيت في المصباح، يحيا بالغيرة، ويموت بجفافها.

إنَّ الغيرة يعتريها الفتور، ويصيبها المرض والإعياء بطاعون الاختلاط، فــإنَّ لطُف الحال، وقلَّــت الأضرار، فأهون آثاره تغــيُّر الأزواج على أهاليهم بسبب تعلُّــق القلوب بالنظر إلى ما حرم الله تعالى، فيحصل التقاطعُ وسوءُ العِشْرَةِ.

إن الاختــلاط ميــدانٌ لتنافــس النســاء في الزينةِ، ورضاهــنَّ بالخضوعِ

لغـير أزواجهنَّ، فكيف ستصبر المـرأة الصالحةُ على هذا إلا بالاعتزال، ثم بالبراءة من هذه الحال، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

إنَّ الـروح اليهودية هـي الروح الوحيدة التي يهـون عليها العرض مقابل الحصـول على المـال، وتعساً لمسلم يمِّـم وجهه شطر كعبتهـم فخسر ماله، وأفسـد محارمه. ولا بارك اللهُ في مالٍ وعِلْمٍ وعمـلٍ يُفسِد الدِّين والأخلاق. ومَن ترك شيئاً لله عوَّضه اللهُ خيراً منه.

٨. بلادة الطبع وقلة الأنفة:

وهمـا خصلتان تجعـلان الرجل يُؤْثِرُ راحتَـه على راحة أهلـه، ويتغافلُ عن احتياج زوجته وبناته، فيصبح لا يدري عن أهله شيئاً، ولا يأبه بأمورِهنَّ، فيُطيلُ المكث خارج المنزل، وإذا حضر كان طريح الشاشات وأجهزة التقنية، أو التلفاز؛ فـراراً من مسؤولياتـه، ليعيش بلا قيود. ويعتذر بكثرة الأشغـال، وأشغال الأهل أوجـب وأولى، ولنا في رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسـوةٌ حسنة، فعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي»[1]، وبعد ذلـك لا يبقى للنساء حيلةٌ إلَّا الاضطرار إلى الخروج لقضاء حاجاتهن مع السائقـين، أو سيارات الأُجرة، ونحوهـم، ناسياً أو متناسياً أنه راعٍ ومسؤول عن رعيته ومحاسبٌ عليها، وأنه قدَّم الراحة في الدنيا على راحة الآخرة.

وتكتمـل أركان المصيبة حين يتنازل الرجل عـن قوامته، ليلقي مسؤولية البيـت علـى زوجته، ثمَّ ينام قريـراً كأنه نجا من المسؤوليـة التي نيطت به، فتهـبُّ زوجته لتتصـدَّى لمهام البيت، فتذهب إلى السـوق، وتشتري لباسَها، ولباسَ الأطفال، بل ربمـا اشترت ملابس زوجها، وربمـا استأجرت البيت، وجادلـت الباعة، ودفعت الإيجار، حتى غـدت الزوجة كالرجال؛ تخالطهم، وتعاملهم، وتخاصمهم. فأيُّ رجلٍ هذا، وأيُّ رجولةٍ بقيت تحت ملابسه؟!



---

(١) رواه الترمذي (٣٨٩٥).

العلاج طريق العفاف

١. الدعاء واللجوء إلى الله تعالى:

دعواتنا في سجودنا للأمة المحمدية أنْ يلطف الله بها، فنقتطع من دعائنا لأمَّة محمد ﷺ، وسلامٌ لك من الداعين الملحّين في الدعاء، فلا غنى لنا عن تثبيت الله وعونه وسداده، وأن يردَّ الله هذه الأمَّة المسكينة إليه رداً جميلاً؛ رجالها ونساءها.

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى
فأوّل ما يجني عليه اجتهادهُ

٢. فضح العدوِ الأول؛ وهو الشيطان الداعي إلى التعريِ والفاحشة:

ما يحبه إبليس من التعري يحبِّبه الغرب إلى السفهاء، واصفاً إياه بالحضارة والرقيِّ، وأما ما يحبه الله تعالى من الستر والحشمة، فيعاديه الغرب، واصفاً إياه بالتخلُّف والرجعيَّة والتراث القديم، وحين كان التعري وظهور السوءات عقوبةً ربانيَّةً عظيمةً على معصيةٍ عظيمة، قارفها أبونا آدم وأمنا حواء عليهما السلام، استحقت القصة تكرار ذكرها في القرآن الكريم، لأنَّ إبليس يستفزُّه الإرث الانتقامي القديم؛ ليجعل من تلك العقوبة -وهي التعري- معياراً للتفاخر والتباهي والحضارة عند أحفاد آدم عليه السلام، فبعد رحيل أبينا راح يلزمنا أن ندفع فاتورة انتقام الشيطان.

٣. استشعار معنى الدياثة وخطورتها:

لا أجد ملامةً على أئمة السلف كابن حنبل والشافعي وابن تيمية وابن القيم، رحمهم الله، حين غاب عن تصانيفهم وكتبهم موضوع الغيرة، وذلك لأنَّ زمانهم رُعيت فيه الحرم، وزحفت فيه الجيوش إلى تخوم الروم؛ لأجل امرأة مسلمة كُشف بعض جسدها، فالغيرة في زمانهم كانت جزءاً من حياتهم، وقاموساً أخلاقياً يهيمن على تعاملات الناس، يستنشقون الغيرة ويعايشونها، فلم يجد العلماء في زمانهم حاجةً إلى التأليف عن الغيرة، وهم يرونها ماثلةً أمامهم، وواقعاً مشرِّفاً أوضح مما سيجتهدون في تأليفه، بخلاف زماننا الذي حُوربت فيه الغيرة وحُوصرت وزُلزلت، وتآمر على اغتيالها المشرق والمغرب، فإنَّ الصمت هاهنا عن التأليف في الغيرة ليس إلَّا وصمة عارٍ وصفعةً على هيبة الأمَّة.

في ظل المأساة التي أصابت الأعراض، والرزيَّة التي حلَّت بغيرة الرجال، كانت الأمة تنتظر دواليب المطابع أن تقذف آلاف الكتب عن الغيرة على المعصومات. ولكن للأسف تأخر أبناؤها، فدارت عليهم الدوائر بالخدع والمؤامرات والخدع، وتداعت عليهم الأمم، فاستباحت أرضهم وديارهم ومحارمهم. وإن كان أهل هذا الزمن يستحقون العتب على تقصيرهم تجاه الغيرة والتأليف عنها، فإنَّ العتب ينالهم أضعافاً مضاعفةً على تقصيرهم في إيضاح معنى الدياثة والتحذير منها، مما جعل الجهل بالدياثة سبباً في النظر إليها بعين التسامح، وربطها بالحضارة والمدنيَّة، وجرى بالمقابل وصف الغيرة بالرجعيَّة والتشددِ وسوءِ الظن وانتقاص قدر المرأة، وقد ورد الوعيد الشديد في حقِّ الديوث، كما روى ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله: **«ثلاثةٌ لا يدخلون الجنة: العاقُّ لوالديه، والديوث، ورجلة النساء»**[1]، وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«ثلاثة لا يَدْخُلونَ الجنَّةَ أبداً: الديُّوث، والرَّجْلَةُ مِنَ النساءِ، ومُدْمِنُ الخَمرِ»**، قالوا: يا رسول الله، أما

(١) رواه النسائي رقم (٢٥٦١)، والحاكم (١٤٦/٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٣٠٦٢).

مُدمنُ الخمرِ فقــدْ عَرَفناه، فما الديُّوثُ؟ قال: «الذي لا يُبالي مَنْ دَخلَ على أهلِـه»، قلنا: فما الرَّجُلَــةُ مِنَ النساء؟ قال: «التي تتشبَّـه بالرجال»[1]، يقول الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولذا ورد أنَّ جرم الديُّوث أعظم من الزانيين»[2].

يقول أمين ناصر الدين:

وإنَّ أخــاً يـرضـى تـهـتُّـك أخـتـه
لأهـون مـن وغـدٍ وأحـقـر مـن كلـبِ
وإيـاه يغشى الـعـار مـن دون قـومـه
جميعاً وما شأن الصحاح مع الجربِ

٤. بيتك... بيتك:

حســن القوامة شجــرة وثمارهــا الاحتشام والغــيرة، ومن هنــا انقسم المجتمع إلى بيوتٍ تستظــل بالعِفة والحِشمة، وأخرى تئن وتتوجع تحت وطأة الانفلات، وضَعْفُ القوَّام يورث فساد الأقوام، وحينها تضعف الغيرة وتضيع الفضيلــة، فتغدو أعراضُ العفيفات كالميــاه في المفازات تَلِـغُ فيها الكلاب، ويُكدِّرها كلُّ وارد.

إنَّ المــروءة وسلامة العِرض تتحقــق في البيت المحتشم، والمعمور بتعاليمِ الإســلام وآدابِ القرآن، وتأوي إلى البيت الذي يتزيَّن أهلُه بالسِّترِ والحياءِ، وتخبو فيهم نارُ الشهواتِ وحطب اللهو، والموسيقى، وقنوات التفسخ والمجون.

الغيرة تولد مع الأولاد في طبيعتهم، ثم يسعى والدهم إلى إكمال المسيرة، ليغذي غيرتهــم بالدين، وبكره الميوعة، فمنذ نعومــة أظفارهم، وهم يرونه وهــو ينفــرد بالمشاوير والأشغــال الخاصة بمحارمه، ويصــبر ويتصبَّر على حاجــات أهله، ويــرون أنَّ والدهم يستشعر أهمية المحــارم والغيرة والشعور

---

(١) رواه الطبراني، وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم (٢٠٧١).
(٢) روح المعاني (٣/٢٤٦).

بالمسؤولية، فتقوى في نفوسهم شجرةُ الغيرة، فقد رضعوها مع لبان أمهاتهم، وكلما كبروا كبرتْ معهم غيرتُهم، وكبر معهم اعتزازهم بالشرف، فصاروا حصوناً تحمي الأخوات، والزوجات، والبناتِ، بل وإن تباركت غيرتهم، فإنها تتجاوز إلى الغيرة على محارم الأمّة وأعراضها أجمع.

فالغيور يغرس في أولاده حبَّ الغيرة، ويتعاهد سقيها ورعايتها، وتظهر في أفعاله القدوة والصورة الناطقة للغيرة، فكما أنّه يصون محارمه بسياج من الحفظ والمراقبة، فإنَّ أولاده يرون في والدهم جلال المبدأ، وتضحيات الغيرة، وكمال العفاف، وارتباط الغيرة بالدين، ولا بأس أن يطلب الغيور من رفاقه بالاتفاق المسبق أن يشجعوا أولاده على الغيرة، وأن يفهموا أنَّ الغيرة شطرت الرجال إلى قسمين؛ (غيورٍ) و (ديُّوثٍ)، كما هم مقسومون إلى (مسلمٍ) و(كافرٍ)، ومقسومون إلى (طيِّبٍ) أو (خبيثٍ).

٥. الوعي بالمعركة مع العلمانية:

إنَّ الغيرة وحفظ الأعراض من أعظم أنواع الجهاد بين الإسلام وخُطا الغرب، فبزيادة الغيرة ونقصها يتمدَّد المشروع التغريبي أو ينحسر فجوره، وما مثل الغيرة مع التغريب إلَّا كساعة الرمل؛ إن زاد هذا نقص هذا، وحياة أحدهما مرهونٌ بفناء الآخر، يقول جلاديستون: «لن تستقيم حال الشرق ما لم يرفع الحجاب عن وجه المرأة ويغطى به القرآن»[1].

وكما أنَّ السُّوس (يتمسكن حتى يتمكَّن)، فإنَّ هذا وصفٌ دقيقٌ لنداءات العلمنة التي تمسكنت حتى تمكَّنت، وسخر بها العوامُّ في البدء، وتغاضوا عنها باستهتارٍ ولامبالاة، ولكنها عشَّشت في العقول؛ ثم استحالت نداءات التغريب إلى سرطانٍ فتَّاكٍ يواجهه المصلحون، وتدور عليه المعارك والصراعات، التي ربما أنهاها الضعفاء بالاستسلام، ومن تلك النداءات ربطُ الغيرة على الأعراض بالتخلف والرجعية، وربطها بالشك

---

(١) أحمد عبد العزيز الحصين: المرأة ومكانتها في الإسلام (ص١٢).

وعـدم الثقــة بالمحارم، أو ربطها بعــدم ثقة الرجل بنفســه وأنه شخصيةٌ غير سويَّة.

ومن أبرز مظاهر تشويه الغيرة الشرعية دعوى أنَّها تدلُّ على أنَّ صاحب الغـيرة رجلٌ شهــوانيٌّ، ويقيس بقية الرجــال على نفسه ونزواتــه، وبالمقابل تكـثر نداءاتهم بتجميل أجــواء الفاحشة، والقرب منهــا، بإشاعة مصطلح (العلاقة البريئــة)، و(الحبِّ البريء)، و(النظـرة البريئة)، و(الاختلاط الــبريء)، وهي حقّاً بريئةٌ، لكنَّها بريئةٌ مــن الدين والغيرة والعفاف، وكلما اقتربــت مــن الوعي بالحقيقــة ازدادت الفجــوة بينك وبــين معايشة الناس بوعيهم الناقص.

٦. تكوين الأهمية لدى النساء في تعظيم شأن الغيرة في نفوسهنَّ:

الجهـل بالأحـكام الشرعية بات سمــةً غالبة بين المسلمــين، وليس الجهل بأحـكام الغــيرة فقط، بل الجهل بالسِّنِّ الذي يجعـل الفتاة مُحرَّمة على نظر الرجــال الأجانب، ومحرَّمة على خلوتها بهــم، وما السنُّ الذي تأثمُ فيه ويأثم وليُّهــا إن تبرَّجــت! ومــا السنُّ الذي ينبغي فيــه لوليِّهــا أن يحفظها من خطر سفهاء الرجال إن أبدت زينتها، تقول أمُّنا عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «إذا بلغت الجاريةُ تسع سنين فهي امرأة»[1]، وهذا الفقه من عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا يجلو الغموض الذي أصاب عقول الرجال، ويبدِّد الضباب الذي حجب الحقيقة عن أعينهم.

ومــن نتائج هذا الجهل ما ظهر من الألبســة العارية المحرمة التي تظهر بها المرأة أمام الرجال، وتمادى الخلل فسمح لها الرجال ورضوا بأنْ تعرِض جسدَهــا في كامــل زينتها، دون أن يــدرك أولياء الأمــور أن مشاعر أحدهم تجاه محارمه وملابسهــنَّ ليست مقياساً صحيحــاً لتحديد مشاعر الرجال الآخرين، لوجود إشكالين:

---

(١) سنن الترمذي (٤١٧/٢). صححه الألباني في إرواء الغليل برقم (١٨٥).

١. الفطـرة السوية تقضي بأنَّ مشاعر الأب تنطفئ تجاه ابنته في جاذبيتها وإغرائها، بخلاف شعوره الفطريِّ تجاه الفتيات أو النساء في مثل سنها.

٢. قـد تكون المرحلـة العمرية التـي يعيشهـا الأب في مؤخـرة الشباب، ومقدمـة الكهولة، فيضعف ميله الفطري تجـاه النسـاء، فيقع فريسة لتصوراتـه الشخصية، وهو ما يجعله يقيس مشاعر الرجال الآخرين تجاه محارمه قياساً خاطئاً على مشاعره في تلك المرحلة من العمر.

وعلـى المرأة المسلمة أن تعـي أنَّ الأرواح والدماء ترخص لأجل عرضها، ومـا دام عرضها بقيمـة الأرواح والدماء فعليهـا ألا ترخصه لأجنبيٍّ مقابل عَرَضٍ دنيـوي، كوظيفة أو تسهيل معاملـة أو هدية، فلو قتـل أبوها وزوجها وأخوها وجميع إخوتهـا وأعمامها وأخوالها لكانت دماؤهم أرخص ثمناً من رؤيـة أجنبيٍّ لشيءٍ من جسدها، فكيف بالنيل من شرفها؟! ودين الله يحكم فيمـن نظـر في بيتها دون إذنٍ أن تفقأ عينه بلا ثمنٍ، لأنَّ قيمة العين الغادرة أرخص قيمة من نظرتها.

٧. تعويد الأهل على المصارحة:

أخبر محارمك أنهنَّ (عِرضٌ)، فإن كان محل العرض عالياً، يُبذل من أجله النفيس والشريف، والمال والنفس، فلا بـدَّ إذن من توعيتهنَّ بحرمته وقدره وأهميته، ولا بد من الإيضاح أنَّ المساس به هلاكٌ وضياعٌ.

وأخبرهـنَّ بغيرتك عليهنَّ، وأنـك راعٍ، ومسؤول عنهنَّ، وأنَّ المساس بهنَّ مـن أعظم الأخطار والمصائب الجسام، وافتح قلبك لتبعث الطمأنينة لهنَّ؛ كـي يصارحنك بلا خجل أو تردُّد، حين يتحرش بهـنَّ قريبٌ أو غريبٌ؛ فهنَّ عرضـك، والعرض يرخص له الدم والمال، وامنحهـنَّ الثقة، وعوِّدهنَّ قطع التواصل مع أيِّ رجلٍ، فكم خبيثٍ في ثياب ثقةٍ، وكم محظورٍ وقع من ثقةٍ.



أقوال العلماء في الدياثة وإيضاح حدودها

ما كان علماء السلف الصالح يظنُّون أو يرد في أذهانهم أنَّ الدياثة ستنتشر مستقبلاً بين البشر؛ فضلاً عن وجودها عند المسلمين؛ لأنَّ الغيرة على المحارم من لوازم الفطرة، فنتج من ظنهم ذلك ندرة تأليفهم حول هذه الآفة، وقلة حديثهم عنها، وربما لأنَّهم كانوا يستقذرون هذا الموضوع لبشاعته ولعدم وقوعه أو ندرته فيهم؛ لئلا يكون في ذلك إشاعة للفاحشة في الذين آمنوا؛ وهذا ما دعاني إلى الاقتصار على هذا العدد القليل من أقوالهم، والمعنى كامنٌ تحت حروفهم القليلة، وبين يديك ما يوضح معنى الدياثة:

١. قال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الديوث هو الذي لا يغار على أهله[1].

٢. قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والديُّوث فيعول، من ديَّثَ البعير إذا ذلَّلته وليَّنته بالرياضة، فكأن الديوث ذُلِّل حتى رأى المنكر بأهله فلا يغيره[2]، وقيل: الديوث: الذي يُدخِل الرجال على حرمته بحيث يراهم[3].

٣. في الموسوعة الكويتية: «ومنه اشتقاق الديوث، وهو الرجل الذي لا غيرة له على أهله، والدياثة بالكسر: فعله، وفي اصطلاح الفقهاء عُرِّفت الدِّياثة بألفاظ متقاربة يجمعها معنى واحدٌ، لا تخرج عن المعنى اللغوي: وهو عدمُ الغيرة على الأهل والمحارم»[4].

٤. قال علي القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والديوث الذي يقرُّ؛ أي يثبت بسكوته

---

(١) لسان العرب (٤/٤٥٦).

(٢) فيض القدير (٣/٣٢٧).

(٣) المحكم والمحيط الأعظم (٩/٢٩٢).

(٤) الموسوعة (٢١/٩٦).

علـى أهله؛ أي من امرأتـه أو جاريته أو قرابته، الخبـث؛ أي الزنا أو مقدماتـه، وفي معنـاه سائـر المعاصـي؛ كشرب الخمـر، وترك غسل الجنابـة، ونحوهما، قال الطيبي: أي الذي يـرى فيهن ما يسوءُه، ولا يغار عليهن، ولا يمنعهن فيقرُّ في أهله الخبث»[1].

٥. قـال شيخ الإسـلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذي يتـزوج ببغيٍّ هو ديوثٌ، وهـذا مما فطر الله على ذمه وعيبـه بذلك جميع عباده المؤمنين، بل وغير المسلمين من أهـل الكتاب وغيرهم، كلهم يذم من تكون امرأته بغياً، ويُشتَم بذلك»[2].

٦. سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عمن كان له أمة يطؤها، وهو يعلم أنَّ غـيره يطؤهـا، ولا يحصنها؟ فأجاب: هو ديـوثٌ، ولا يدخل الجنة ديوثٌ، والله أعلم[3].

٧. قـال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صاحب الجارية إذا جمع النـاس لسماعها فهو سفيهٌ تـرد شهادته»، ثم غلظ القول فيه فقال: «فهي دياثة، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ دَيُّوثاً»[4].

٨. قـال أبو حنيفـة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في البرهانيـة: «امرأة خرجت مـن البيت ولا يمنعها زوجها؛ فهو ديـوثٌ، لا تجوز الصلاة خلفه، ولا تُقبل شهادته، وعليه الفتوى»[5].

٩. قـال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من كان يظـنُّ بأهله الفاحشـة ويتغافل لمحبته فيهـا، أو أنَّ لهـا عليه ديناً وهو عاجزٌ، أو صداقـاً ثقيلاً، أو له أطفالٌ صغارٌ... ولا خير فيمن لا غيرة له، فمن كان هكذا فهو الديوث»[6].

---

(١) مرقاة المفاتيح (٢٤١/٧).

(٢) الفتاوى الكبرى (٣٢٠/١).

(٣) مجموع الفتاوى (٢١٧/١).

(٤) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب (١٢٦/١).

(٥) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (٨٥/٢).

(٦) كتاب الكبائر (ص١٢٧).

١٠. يقول النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الديوث: من لا يمنع الناس الدخول على زوجته»[1].

١١. يقول الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الديوث هو الذي يجمع بين الرجال والنساء، سمي بذلك لأنه يدث بينهم»[2].

١٢. قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا زنت أمة أحدكم... ثم إن زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبلٍ من شعرٍ»، قال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ظاهر الأمر وجوب بيع السيد للأمة، قال ابن بطال: حمل الفقهاء الأمر بالبيع على الحض على مباعدة من تكرر منها الزنا لئلا يُظنَّ بالسيد الرضا بذلك فيكون ديوثاً، وقد ثبت الوعيد على من اتصف بالدياثة»[3].

١٣. يقول الشيخ عبد الرحمن الدوسري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالذي يرضى بزناها ولا تأخذه الغيرة في إقامة حد الله على الزانيين بلا رأفة في دينه، هو ديوث عقلاً، غير مؤمن شرعاً، وكذلك من انشرح صدره لتهتك أخواته النساء، وإظهار زينتهن ومفاتنهن؛ بحجة التطور والحضارة، هو ديوثٌ، راضٍ بعرض عرضه، وبعرض لحومهن كعرض السلعة المبتذلة»[4].

١٤. يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما أن تذهب مع السائق وحدها فهذا حرام، ويخشى أن يكون الذي يُمكّن أهله من ذلك يخشى أن ينطبق عليه شيء من وصف الديوث؛ وهو الذي يقر أهله على الفاحشة لكن هذا لم يقر أهله على الفاحشة، إنما يخشى أن يكون ذلك وسيلة، والله الموفق»[5].

---

(١) روضة الطالبين وعمدة المفتين (١٨٦/٨).

(٢) أدب الدنيا والدين (ص٢٦٨).

(٣) سبل السلام (٤١٤/٢).

(٤) الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة (٣١/١).

(٥) شرح رياض الصالحين (٢٦٨/٦).

وتتسع الهوَّة بين هذه الأقـوال الحازمة الطاهرة وبين أنظمة الحكومات العلمانيـة التي تجرجر حيـاة الناس للدياثة قسراً، وتحـارب غيرتهم علناً، ولعـلَّ أبسط مثال ما تقضي بـه المحكمة في الدول العلمانية بـأنَّ: «معاشرة رجـلٍ لامرأةٍ في منزله معاشرة الأزواج، لا يُعدُّ مـن أعمال الفسق والدعارة المؤثمة في القانون، إذ إن المقصود بالتحريم هو مباشرة الفحشاء مع الناس بغير تمييز»[1]، فهذه الأنظمة كما يقول عنها أحمد مطر:

قلت لكم بأنَّ بعض الأنظمةْ
غربيةٌ لكنَّها مترجمةْ
وأنَّها تسجد للأنصابْ
وأنَّ من يسرقها يملك مبنى المحكمةْ
ويملك القضاة والحُجَّابْ

فهـي أنظمـةٌ وقوانين في حقيقتها ترجمـةٌ عمياء لقوانـين غربيةٍ، جرى فيهـا إجبار الـدول المسلمـة علـى التحاكـم إلى الطاغوت، ونبـذ التحاكم إلى الشريعـة، فراحـت الحكومات العلمانية تفتك بغـيرة الرجال، وعسفت رجولتهـم، وروَّضت نخوتهم، وجعلتهم يتلطَّفون قليلاً قليلاً في شأن الدياثة، بخـلاف آبائهـم وأجدادهم الذين كانوا يرون الدياثـة بشاعةً لا يقوم به إلا شـواذ البشر، كما يقول العالم ديفـور: «إنَّ البغاء لم يُعرف في العالم إلا بعد أن أباحـت المـرأة نفسها كسلعـةٍ تتلقاها الأيدي في الأسـواق، وإنَّ من عامَّة الشعب شواذَّ يميلون عند تقلب الدهر بهم إلى استباحة نسائهم للفجور»[2].



(١) نقض ١٨ أكتوبر ١٩٥٤م مجموع أحكام النقض س٦ رقم ٣٠ (ص٨٥)، وجرائم البغاء (ص١١٨).
(٢) أنطون زكرى أمين، تحريم البغاء عند قدماء المصريين وحض الحكومة على إلغائه (ص١٣).

استقلال المرأة اقتصادياً

سنــةٌ تتكــرَّر دون أن تتغير، فخُطا الإفســاد تبدأ بإفقــار الشعوب وهدر أعمارهــا في الجري خلف لقمــة العيش، ثم تتلوها خطوة فتح المجالات لعمل المــرأة، يتزامن مــع ذلك تضييق فرص العمل للرجال، ثــم ينبري الإعلام بهمــزه ونفخه ونفثه ليغالــط الحقيقة، ويوهم المرأة بــأنَّ بينها وبين الرجل صراعــاً أزليــاً، وأنَّ علاقتها به علاقة تمــرُّدٍ وهيمنةٍ، وليســت علاقة مودَّةٍ ورحمــةٍ، ومــع طول العهد ينتقل ذاك الصراع الوهمــي الذي لا وجود له إلى صــراعٍ حقيقــيٍّ بداخل قلب المــرأة وعقلها فقــط، لتعيش صراعــاً بين وهم الإعلام وحقيقة الاحتياج الفطريّ والعوز الأنثويّ لرجلٍ تتفيأ ظلاله، وتأوي إلى ركنــه، وتتمنــى العيشــة الكريمة تحت كنفــه، فتبدأ المــرأة بالاستقلال الاقتصــادي عن زوجهــا أو وليها بحجة تأمين المستقبل وعــدم الافتقار لأي مخلوق وأنَّ هذا يمرِّغ كرامتها في التراب، ومن هنا يزاحم مال المرأة قوامة الرجــل، ويبدأ راتبها باقتحام ميزانية الأســرة اقتحاماً يؤذي قوامة الرجل شــاء أم أبى، إلا ما ندر، ومتى علت يدُ المرأة يدَ الرجل دبَّ التفريط حينئذ، وضعفت الغيرة وتآكل الإنكار.

وهذا أنموذج من ألوف النماذج الإبليسية للتفريق بين المرء وزوجه، ورد في مجلة الاثنين في عددها ٥٠، ٢٧ مايو ١٩٣٥م:

مؤتمر النساء

أيتها الأنات والزوجات والأرامل :

لقد انفرد الرجل بالسيطرة والسلطة منذ بدء الخليقة فسام المرأة أنواع الخسف والوان الهوان دون ان يهتم بشأنها أو يقيم لرأيها وزناً

وقد صبرت المرأة طوال هذه السنين على امل لن يرجع الرجل عن غيه ويثوب يوماً الى رشده فيعترف للمرأة بحق المساواة

وقد تساءلنا طويلا متى يفعل ذلك ، ولا يسعنا الآن الا أن نجيب عن ذلك جواباً واحداً . وهو أن الرجل لن يسمح بمثل تلك المساواة . وأن اهون ما نفرضه من موقف الرجال انهم معارضون مكابرون ، واننا اذ نجد من بعضهم موافقة أو مسالمة فذا هو النفاق الذى يرجون له الرواج بيننا . لقد حانت الساعة التى يجب فيها ان تجابه المرأة الرجل بمطالبها. وآن للنساء أن يثرن ويزمن الخالدة بعد ان انقضى عليهن آلاف السنين وهن في رق العبودية والأسر

أباح الله تعالى للرجل أن يأخذ شيئاً من مال الزوجة متى طابت نفسها بذلك، كما يقول تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ٤]، وأخذ المال ليس بإشكالٍ، إنما الإشكال منصبٌ على التغاضي عن بعض واجبات القوامة مقابل الحصول على ثمنٍ بخسٍ دراهم معدودةٍ.

جنت حضارة الغرب على البشرية وأسرفت في الجناية، وجلبت لها من الشقاء الأسريِّ المحتوم، وراحت تنادي بمساواة المرأة بالرجل في مرافق الحياة؛ وهذا هو السفه والجنون الذي لا يقول به إلا عديم الغيرة مدسوس من خصوم الإسلام، فصادموا الفطرة السوية، ليقولوا للبشر: «بل الذكر كالأنثى»، وأوقفوا المرأة على صفٍّ المساواة مع الرجل، ثم انتقلت بعد ذلك

إلى مرحلة تصدّي المرأة للرجل، في حين أنَّ المساواة وحدها كافية لتفسد في الأرض، وتهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد.

في ظـل المسـاواة المالية ظهرت آثـار التصدي والصراع بـين الزوجين، وبـدأت غيرة الرجل بالتلاشـي، وخبا إحساسه بالدفـاع عنها، أو رغبته في مساعدتها، وما لم تستفق حواء من هذه الخديعة العظيمة، فإنَّها ستفقد من الرجـل معنى الحنان والشعور بهيمنتـه الرجولية، وبالمقابل هو لن يستعذب الصعـاب لأجلها، حينها ستجنـي حواء ذلك النتاج النكـد؛ وستجني شعور الرجـل باللامبالاة تجاهها، ثم تستيقظ استيقاظاً متأخراً لتتساءل بشرود: لماذا خسـرتُ حنان الرجل واندفاعـه لحمايتي؟! وهنا تبـدأ رحلة الضياع، رحلة تحوي حقيبة سفرها كلَّ أسباب الإخفاق، ولم تبذل شيئاً لحلِّ مشكلتها سـوى أنَّها تفنَّنت في طرد زوجها بطريقة تعاملها معه، ثم جاءتك تشكو أنه «غالبـاً يتركني بمفردي»، «ولماذا أصبح لا يأبـه بتأخري»، «اكتشفت مؤخراً أنـه لا يغـار على عرضي»، «كل مـا أعلمه هو أنني لا أعني لـه شيئاً ولا يهمه أمـري»، وهذه هي الحقيقـة دون قناعٍ، وإن زعمت حـواء خلاف ذلك، فكل هـذه الثمار الخبيثة لم تكن لتخرج لولا بذور التغريب، وما ترعرعت وأينعت إلا مـن سقيا الحضارة الآسن، وكما قيـل: «إنَّ الدجاجة التي تغنِّي بالليل لا تبيض في الصباح».



غيرة شرعية وغيرة علمانية

كما أنَّ للإسلام (غيرة شرعيَّة) يدعو لها، فإنَّ للتغريب أيضاً (غيرة علمانية) يدعو لها، وشتان بين الطيِّب والخبيث:

والله ما اجتمعا ولن يتلاقيا حتى تشيب مفارق الغربان

فشتان بين غيرة الإسلام التي تحفظ الفضيلة، وبين غيرة الإعلام الذي يذكي غيرة العشيق على عشيقته، ويمتدحها ويصفها بالتمدُّن والمثالية، في حين يحارب غيرة الإسلام فيصفها بالتخلُّف والرجعية، ويزعم أنَّ صاحبها مريضٌ بالشكوك والظنون يحتقر المرأة ويزدريها، وأنَّ غيرته مجرد شكٍّ في غير محله.

وإنَّ من أشد ما يحزن المسلم ويقطع فؤاده حزناً وكمداً أن تُقدَّم صورة العشيقة الحامل سفاحاً من عشيقها بصورة المظلومة التي وقف والدها الظالم في وجه حريتها، فيتعاطف المشاهد الإمَّعة -دون شعور- مع تلك العشيقة، ويتنامى في صدره شعور الكراهية تجاه والدها، يحمِّل الأب كامل الخطأ، وتقدم صورة الحمل خارج عش الزوجية على أنه موضوع لا يستحق أي ضجةٍ تثار حوله.

ومن صور الغيرة العلمانية المعروضة؛ الغيرة بين الزوجة وأمِّ الزوج (الحماة)، وهي صورة تتكرر في الأفلام والمسلسلات حتى أصبحت ركناً ركيناً فيها، فرسخ في أذهان الزوجات أنَّه لا بدَّ من دقِّ طبول الحرب، وإيقاد نيران المعركة على أمِّ الزوج، حتى إنَّ المشاهد ليظن أنَّ هذه العداوة قد كتبت من ضمن شروط عقد النكاح، وأنها صارت فرضاً لازماً على الزوجة

أن تناصب أم الزوج العداء، ونسيت هذه الزوجة أن ما تفعله هو دَيْن عليها ستضطر إلى سداده يوماً حين زواج ولدها.

إنَّ الإعلام العلماني يسعى لإشعال المعارك الزوجية ليل نهار، حتى إذا هدأت جبهة اشتعلت أخرى، فتظل الأسرة في عراك دائم وصراع مستمر حتى يهدم هذا البيت، ويفترق الزوجان، ويتشتت الأولاد، ففي الحديث كما ثبت في الصحيح عن جابر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أنَّ إبليس ينصب عرشه على البحر ويبعث سراياه، فأقربهم إليه منزلة أعظمهم فتنة، فيأتيه الشيطان فيقول: ما زلت به حتى فعل كذا، حتى يأتيه الشيطان فيقول: ما زلت به حتى فرقت بينه وبين امرأته، فيدنيه منه، ويقول: أنت أنت، ويلتزمه»، وهذا هو الغرض من السحر الذي قال الله عنه: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فالإعلام يشابه إبليس في الهدف وفي الطريقة، وجميع صور الغيرة العلمانية تستظل بعرش إبليس، وتطوف وتسعى حول غاياته في التفريق والتحريش والفاحشة.



الخاتمة

أختـم الكتـاب وأنا أستشعر وقوفي يوم العرضـ الأكبر أمام الله في الملأ الأعلـى، في موقف أرجـو أن يكون كتابي هو شهادتي يـوم ألقاه، وأسأل الله تعالى أن يأخذ بناصيتي للحق، وأن يمنّ علي بالإخلاص لوجهه في جميع ما قلتـه، وأن يكون باعـث تأليفي هو الرغبة في نصرة الحق، ونسف رذيلة هذا العصر.

أمسـك القلـم لأعلن الـبراءة من كلّ عـارٍ لحق بالأعراضـ في عصري المتمرد على دين الفضيلة، والمعادي لفضيلة الدين.

وكان بـودّي أن أدع كتابي جانباً، لأتعلّق بعنقـك وعنق كل غيور، وأصرخ مناديـاً كلّ ناصـحٍ: هاتوا أيديكـم لنتعاهد معاً أن نكون مـن جند الله ومن أنصـار هذه الأمـة حتى يجتمع إلينا ثالثٌ ورابعٌ وخامسٌ فنؤلف بهم وحدةً قويـةً نصدُّ بها غارات التغريـب وعبث الهادمين في بناء ديننا، فلعل التاريخ يخـط لنا على صفحاته ما يسترنـا من العار الأبديّ علـى جريمة استباحة أعراضنـا أمـام العالمين ونحـن أحياء، ونـرى اغتصاب نسـاء الأمة بقرار حاكمٍ، وصمت عالمٍ، وتخاذل غيورٍ، وغفوة أمةٍ قرابة قرنٍ أو يزيد.

ولا أكتـم غيظـي واستيائـي مـن خرَس أصحـاب الفكر عـن التصريح بإجـرام الحكام الذين أشاعوا الفجور في معظـم أصقاع العالم الإسلامي، وساقـوا شعوبهـم على رغم أنوفهـم إلى الفسوق والعصيـان، فما إن ينتهي البغـاء العلني في قطرٍ مسلمٍ حتى يرثه البغـاء المقنّع الذي ظلَّ مسكوتاً عنه حتى يومنا هذا.

ولا تثريب على أحفادنا أو أحفادهم إن كتب الله لهم الحياة في عصور التمكين والعزّة بالدين، ثم قرؤوا تاريخنا المخجل وعرفوا حالنا المخزي، فأعلنوا البراءة من صمتنا، ولا عتب إن لعنوا ضعفنا وهزالنا إزاء الموبقات في واقع الأمة المحمَّديَّة، وعلى رأسها فاجعتنا بالأعراض ودويُّها الضخم.

وهنيئاً مريئاً إن استنكروا الخسَّة في أجدادهم الذين عاشوا هذا العصر، وكذلك لهم الحقُّ أن يعجبوا كيف أطاقت نفوسنا أن نرى الوثنيَّ والنصرانيَّ والرافضيَّ والفاسق بل وحتى اليهود الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة علوا محارمنا، وعثوا بأعراضنا، ومضوا يلهون بأخواتنا المسلمات، ويروون شهواتهم من أجسادهنَّ، ويريقوا نطفهم في أرحامهنَّ، والأمَّة دهتها الدواهي فصارت بأكملها تتفرَّج، وكأنَّ الأمر لا يعنيها؛ فكيف وبعضنا يشارك في استباحة الأعراض؟!

يقودها العلج للمكروه مكرهةً	والعين باكيةٌ والقلبُ حيرانُ
لمثل هذا يذوب القلبُ من كمدٍ	إن كان في القلبِ إسلامٌ وإيمان

وأبادر بالاعتذار، وليس بيدي إلا الاعتذار، للأجداد السالفين، وللأحفاد اللاحقين، وألتمس رضى الزمان، فعصرنا لم تُكشَف فيه أجساد المسلمات وحسب على تخوم الروم، بل نُزِع الحياءُ واللباسُ من أجسادهنَّ في الأغلب من بيوت المسلمين، وإنَّ التاريخ لا يجامل أحداً، والناس على صفحاته مكرمٌ ومهانٌ، فيا ترى من أيِّ أبوابه سنلج؟! وعند أيِّ مقامٍ سيضعنا؟!

في هذه المعركة بالذات تنوَّعت الأخطار التي تتهددنا، وتنظَّمت بطريقةٍ لم يسبق لها مثيلٌ في التاريخ، ولولا أنَّ قلعة الإسلام التي يهاجمونها أمنع من الصقور في أوكارها، وأعظم بناءً من أن يسقطها الباطل، لكان بعض مكرهم كافياً لتقويض بنائها وإزالة معالمها، ولكنَّ الله غالبٌ على أمره.

هذا، واللهَ تعالى أسأل أنْ يكُفَّ بأس الذين كفروا وشرورهم وفتنتهم، وأن يَكْشِفَ الغُمَّة، وأن يحفظ عليَّ وعلى المسلمين العِرضَ والإيمان، وأسأله

أن يغفـر لي وللقارئ كلَّ زللٍ وخللٍ وخطـلٍ، ونحن أهلٌ لذلك كله، وأن يجعل فيمـا كتبته أثراً نافعاً مباركاً، وأن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم، والحمـد لله رب العالمـين، وصلـى الله وسلـم علـى نبينا محمـد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبدالله بن محمد بن راشد الداوود

١٤٣٨هـ

MINISTÈRE DE L'INTÉRIEUR

Direction de la Sûreté

Modèle No. 130

نظارة الداخلية

قسم الضبط

(اورنيك نمرة ١٣٠)

نمرة ١٦٢ سنة ١٩٢٠

Récépissé de déclaration

Pour un établissement public

اعلان

وصول اخطار عن محل عمومي

Délivré au Sieur ______ معطى الى ______

L'an mil neuf cent ______ انه في يوم ______ الموافق ______ ١٩٢٠

et le ______ المدعو ______

Le Sieur ______

sujet ______ التابع ______

né à ______ domicilié ______ المولود ______

à ______ exerçant la profession ______ المقيم ______

de ______ صناعته ______

a remis à ce ______ قدم الى ______

une déclaration par laquelle il ______ (1) ______ اورقه به انه (١) ______

quartier ______ الكائن في شارع ______ قسم ______

Cette déclaration est accompagnée d'un certificat délivré par ______ وارفق مع الاخطار ______

constatant qu'il n'est pas dans un des cas d'incapacité prévus par l'art. 4 du Règlement de Police du 21 Novembre 1891 sur les établissements publics.

دالة على خلوه من المحظورات المنصوص عنها في المادة الرابعة من لائحة المحلات العمومية الرقيمة ٢١ نوفمبر سنة ١٨٩١

Le Sieur ______ prend l'engagement de ne laisser jouer aucun jeu de hasard dans son établissement.

وقد تعهد المذكور بانه لا يسمح بلعب القمار في محله من أي نوع كان

(٢)

(2)

(1) Cette déclaration peut se rapporter soit à l'art. 1er soit aux articles 11 et 16 du Règlement de Police du 21 Novembre 1891 sur les établissements publics.

(2) Signature du Gouverneur ou du Moudir.

(١) من الجائز ان يكون هذا الاخطار متعلقاً بفتح محل اول او بعمل تعديلات حسب المادة الاولى او المادتين ١١ و ١٦ من لائحة ٢١ نوفمبر سنة ٩١ بشأن المحلات العمومية

(٢) محل امضاء المحافظ او المدير

MINISTÈRE DE L'INTÉRIEUR — وزارة الداخليـــة

Direction Générale de la Sûreté Publique — ادارة عموم الأمن العام

(Modèle No 120) — (ورنيك نمرة ١٢٠)

No — نمرة

RÉCÉPISSÉ DE DÉCLARATION POUR UN ETABLISSEMENT PUBLIC.

اعلان وصـــول اخطار عن محل عمـــومي (بيت للعاهرات)

Délivré au Sieur — معطى الى الحرمة تينه بنت علي [illegible]

L'an 191 ... le — انه في يوم الاربعاء الموافق [illegible] سنة ١٩٢٧

Le Sieur — المدعوة تينه بنت علي [illegible]

sujet — تابع — [illegible] —

né à — المولود في [illegible]

demeurant à — المقيم في جرجا

exerçant la profession de — صناعته [illegible]

a présenté à — قدم الى المديرية [illegible]

une déclaration par laquelle il prévient que (1) — الاخطار المنصوص [illegible] بيت للعاهرات

[illegible]

الكائن في شارع [illegible] بندر جرجا — quartier ... No

Cette déclaration est accompagnée d'un certificat délivré par

وارفق مع الاخطار شهادة [illegible] بتاريخ ٨ مايو ١٩٢٦

دالة على خلوه من المحذورات المنصوص عنها — constatant qu'il n'est pas dans un des cas d'incapacité prévus

بالمادة الثالثة من لائحة المحلات العمومية الصادرة — par l'article 3 du Règlement de Police du 9 janvier 1904 sur

في ٩ يناير سنة ١٩٠٤ . — les établissements publics.

وقد تعهد المذكور بأنه لا يسمح بلعب القمار في — Le Sieur

هـــذا المحل من أي نوع كان ولا تعاطي — prend l'engagement de ne laisser jouer aucun jeu de hasard

الحشيش [illegible] — ou fumer du haschich dans son établissement.

[illegible] (2)

[illegible] فبراير ١٩٢٧

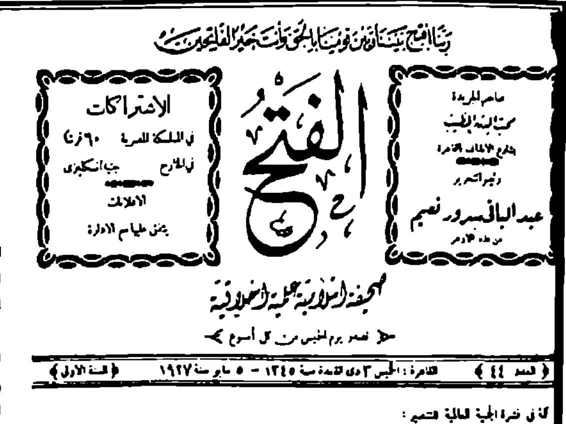
---

(١) [illegible] ٩ و ١٠ و ١١ من لائحة [illegible] ٩ يناير سنة ١٩٠٤ بشأن المحلات العمومية .

(1) Cette déclaration peut se rapporter aussi à l'article 4, ainsi aux articles 9, 10 et 11 du Règlement de Police du 9 janvier 1904 sur les établissements publics.

(٢) محل ختم وامضاء [illegible] .

(2) Signature du Gouverneur ou du Moudir.



ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين

صاحب الجريدة
محب الدين الخطيب
بشارع الاستئناف بالقاهرة
ورئيس التحرير
عبد الباقي سرور نعيم
من علماء الأزهر

الفتح

الاشتراكات
في المملكة المصرية ٦٠ قرشا
في الخارج جنيه انكليزي
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

صحيفة اسلامية علمية اخلاقية

تصدر يوم الخميس من كل أسبوع

(العدد ٤٤) القاهرة : الخميس ٣ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ - ٥ مايو سنة ١٩٢٧ (السنة الأولى)

كذا في نشرة الجمعية العالمية للتبشير :

حملة التبشير لبلاد العرب

تمتاز الديانة الاسلامية بميزة لا توجد في سواها وهي الايمان بجميع الرسل (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله). (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط، وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)

تلك خاصة اختصت بها الديانة الاسلامية لانها ديانة بشر، ولا يمكن لدعوة علمية أن تنال من قلوب الناس متى أنكرت رسولا من رسل الله أو انتقصت [?] أتباعها بالجم والنيل [?] من الانبياء، صلوات [?] الله

من أجل ذلك نمر بهذا السفه الذي [illegible] معشر الجمعية العالمية للتبشير (المنشور في موضع آخر من الفتح) دون أن نقابله بما يغض من كرامة نبي أو يمس صفة الرسالة المقدسة. فإنه الامر أننا اذا قارنا بين الصلاة لدى المسلمين - تلك الصلاة التي يسبها المنشور وقحة - وبين الصلاة عند المسيحيين، نرى مساجد المسلمين خالية من الصور والتماثيل، بينما نرى الكنائس مملوءة بالصور والتماثيل، مما يدل دلالة واضحة على أن الصلاة لدى المسيحيين هي الى الوثنية أقرب ان لم تكن صلاة وثنية كاملة

ان الوثنية في المسيحية، مع تقييد تلك الديانة واتباعها بما لا يعقل من العقائد والتعاليم، هو الذي حال بين المبشرين

نظام البغاء
في مصر

تدرس وزارة الداخلية في هذه الايام أنظمة الدول الاوربية المتعلقة بالبغاء توطئة لادخال تعديلات على اللوائح المصرية المتعلقة بذلك، لانها تختلف عن لوائح [?] الغرب [?] في هذه اللوائح

وقد بحث الاستاذ حسن عبده الشنتناوي [?] أحد [?] هذا الموضوع في المقطم بحثا دينيا، وذكر القيود الشديدة التي وضعتها ألمانيا لمحترفات البغاء، وانتقالها [?] للحد [?] من هذا المرض الاجتماعي من تلك البلاد، ثم قال :

« واذا رجعنا الى مصر وهي الدولة المسلمة التي [?] يجب أن تعنى بهذه الامراض الاجتماعية أكثر من سواها نجدها خلوا من كل هذه التدابير : فأنظمة البغاء فيها منتسخة [?] من الانظمة الفرنسية ! ومن يطلع على لائحة البغاء في مصر يجد أنه من أسهل الامور أن يتمكن انسان من ادارة بيت البغاء رغما [?] من المحافظة ! وغير ذلك من البنود السهلة التي تخرج البغاء من هذه الجرائم والامراض الاجتماعية وتجعله شيئا يرتزق [?] منه [?] القوم . مع أن فكرة النظام الاداري لم يقصد بها جعل البغاء مباحا، بل تقصد بها حصر هذا المرض الاجتماعي والاشراف عليه من كل من الوجهتين الصحية والخلقية، والتقليل من انتشاره واستئصال آثاره السيئة،

الفتح

الاشتراكات

(العدد – ٩) ... ١٢ ... ١٩٢٦ (السنة الاولى)

الى حضرات العلماء

نظرا في الموقف الحاضر

الجامعة المصرية

مكانة محمد البخاري

((... بقلم (مي)))

تحدث (الجامعة) عن نهضة المرأة المصريه!

تقليد المصريه للغربية ــــ أصلح المهن للمرأة في الحياة.

.. لست أدرى بأى عبارات التقدير اقدم اليوم الى قراء « الجامعة » الآنسة النابغه «مى» وهى الكاتبة ، الشاعرة الذائعة الصيت ، التي تطالع قراء العربية بين الحين والآخر ، بآثارها الأدبية الرائعه ، فيرون ... وزاياها يكشف آفاقا جديدة ... ، تفيض على ... ازرق ...

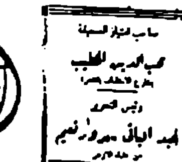
النهضة آتية حتما ، بل نحن سائرون اليها وأما هذه فيقظة فقط . وفي اليقظة ما فيها من أجمل معاني الحياة . .

واني مع هذا أذكر بفخر واعجاب الأفراد التفوقات بين النساء المصريات . فمنهن من توازي أحسن النساء ، ولكن نهضة المرأة المصرية لاتعني وجود عدة طيارات ، ومحاميات ، وطبيبات ، ولكنني افهم بهذه الكلمة رفع مستوى الأغلبية ...

ان تكون . .

س ـــ ماهى أصلح المهن للمرأة في الحياة؟

ج ـــ اعتقد انا شخصيا ان اول اعمال المرأة واهمها واشقها واحكمها هى وظيفة الام ، والزوجة ، وسيدة البيت . في هذا الجانب تصنع المرأة مالا يستطيع الرجل ان يقوم به ويليق ان كل امرأة ترغب في هذه الحياة على شريطة ان تكون متوافقة وما عندها من ميول ونزعات . بيد ان ...



صاحب امتياز الصحيفة
محب الدين الخطيب
رئيس التحرير
عبد الباقي سرور نعيم

الاشتراكات

... تصدر يوم الخميس من كل أسبوع ...

(العدد — ٩) القاهرة : الخميس ١ صفر سنة ١٣٤٥ — ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٦ (السنة الأولى)

الى حضرات العلماء

نظرة في المؤلف الحاضر

الجامعة المصرية

تحدث (الجامعة) عن نهضة المرأة المصريه!

تقليد المصريه للغربية ـــ أصلح المهن للمرأة في الحياة.

.. لست أدري بأى عبارات التقدير اقدم اليوم الى قراء «الجامعة» الآنسة النابغه «س» وهى الكاتبة، الشاعرة الذائعة الصيت، التي تطالع قراء العربية بين الحين والآخر، بآثارها الأدبية الرائعه، فيرون [illegible] يكشف آفاقا جديدة [illegible]، تفيض على [illegible]

النهضة آتية حتما، بل نحن سائرون اليها وأما هذه فيقظة فقط. وفي اليقظة ما فيها من أجمل معاني الحياة..

واني مع هذا أذكر بفخر واعجاب الأفراد المتفوقات بين النساء المصريات. لمنهن من توازي أحسن النساء، ولكن نهضة المرأة المصرية لا تعني وجود عدة طيارات، ومحاميات، وطبيبات، ولكنني الهم بهذه الكلمة رفع مستوى الأخلاق [illegible]

ان تكون..

س — ما هى أصلح المهن للمرأة في الحياة؟

ج — اعتقد انا شخصيا ان اول اعمال المرأة واهمها واشغلها واحكمها هى وظيفة الام، والزوجة، وسيدة البيت. في هذا الجانب تصنع المرأة مالا يستطيع الرجل ان يقوم به ويقيني ان كل امرأة ترغب في هذه الحياة على شريطة ان تكون متوافقة وما عندها من ميول ونزعات. بيد ان

صحيفة اسلامية علمية اخلاقية

تصدر يوم الخميس من كل أسبوع

١٣ شعبان ١٣٤٧ — ٢٤ يناير ١٩٢٩

اجبار السيدات فى تركيا

على ارتداء القبعة

أذاع والى مرسين بياناً على جميع الموظفين التابعين له يوجب عليهم فيه حمل نسائهم على ارتداء القبعة ليكن قدوة لبقية نساء الشعب . وفى الوقت نفسه أذاع والي ازمير وأطنه مثل هذا الامر

ويقول مراسل العهد الجديد من انقرة ان الحكومة التركية لما وجدت انه ليس فى مقدورها حمل السيدات بالقوة على ارتداء القبعة امرت معلماتها بارتدائها ليكن قدوة لبقية السيدات . ولما لم تجد من بقية السيدات ميلا الى ارتداء القبعة اوعزت الى بعض ولاة المناطق الساحلية لاجبار نساء موظفيهم على ارتداء القبعة املا منها أن هذا الامر سيؤدي حتما الى تعميم لبس القبعة بين السيدات

(١١)

المراة المسلمة في الهند

ان جميع نساء الامراءِ والادباء المسلمين محتجبات مقصورات في البيوت لا يخرجن منها ليلا ولا نهاراً إلا إذا اقتضت الضرورة ذلك كالذهاب الى الافراح والمآتم واذا أردن الخروج فتجتمع عدة من النساء ويتبرقعن ويركبن الجياد أو الهودج أو العربات المغطاة أو يمشين راجلات مع الخادمات اذا كانت المسافة قريبة . ويتعلمن القراءة والكتابة والخياطة في المنازل أو المدارس النسائية وكذلك يعلمن أولادهن. وبعضهن ينسجن الجوارب أو يغزلن القطن والصوف

مترجمة عن الانكليزية [محمود الخادم]

في مطاعم تركيا

اصدر مدير بوليس الاستانة أمراً بأن تكون المستخدمات في المطاعم تحت مراقبة البوليس ذلك لان الفتيات التركيات أصبحن بعد خلع الحجاب والامتزاج بالشبان كالغربيات ميلاً الى استمالة الشبان حتى بات وجودهن في المطاعم من دواعي الاخلال بالنظام



المصور بتاريخ ٢١ اغسطس ١٩٢٥ م

منذ ان سفرت المرأة التركية عن وجهها خضعت لسلطان المودة . ويرى القارئ في الصورة أعلاه عاملة في احدى محلات الازياء في الاستانة تعرض على السيدات التركيات ثوباً جديداً ارتدته

ارلين ديتريش

اذا تستبدل (الفستان) النسائى (بالبنطلون)

ى حفلة الافتتاح لرواية (علامة الصليب)
ليوود شوهدت مارلين ديتريش مرتدية بدلة
سموكنج » فاخرة قد صنعت على زى الرجال
تد فأثارت الاعجاب فى الحاضرين أجمعهم ...
ان موريس شيفاليه الذي تغنى معها فترة
شرحة كان يبدى شيئا من الحسد الظريف
رلين بشأن بدلتها المدهشة ارى التي كانت
تند مط الاعين لرجال الحاضرين
حقا أن « البطلون » ليس بالشىء الحدبث
ارلين لانها ترتديه فى هوليوود منذ أشهر عديدة

البنطلون رغم كل اعتراض !
لقد تطوع للاجابة على هذا السؤال كل
واحد من سكان هوليوود ولكن واحدا لم



فى أمريكا يطالبون بتحرير الرجل من المرأة

وفى القاهرة لبست الفتيات البنطلونات !

لأن صانع السم أول من يموت به . هكذا قيل قديماً .. ولقد كانت أمريكا فى طليعة الدول التى أسرفت فى الدعوة إلى تحرير المرأة . وحطمت قيودها فعلا ، وجذبتها جذباً إلى الجامعة ، ثم إلى المصانع والمقاهى .. ثم إلى الشارع .. واستمرأت الأمريكية بالقات المرعى ، فأوغلت فيه ، وأخذت تزاول كل عمل تواضع العرف على أن يزاوله الرجل . وكان من طبيعة هذا التحرر المسرف أن باعدت بينها وبين الأنوثة التى جبلت عليها جهد ما تستطيع ، حتى لقد نشرت إحدى المجلات الأمريكية صورة لفتاة مرتدية بدلة كاملة وهى تدخن «البيبه» وتقول : «أشعر بمتعة كثير من الخجل حين يقال عنى إنى من الجنس اللطيف» . ولقد كان من جراء موجة الاسترجال التى عمت الفتيات الأمريكيات أن ذعر الرجال لما يهددهم من أخطار .. أخطار التأنث . إذ أن الانتخاب الطبيعى يقتضى دائماً التوازن بين الجنسين ، فإذا اشتدت الرجولة فى الرجال قابلتها أنوثة متزايدة فى الإناث والعكس بالعكس . وأخطار البطالة . إذ أن منافسة النساء للرجال ، وهى قوية وفعالة ، سرعان ما تعصف بأبناء الجنس الخشن وتعطلهم حتى لا يجدوا أمامهم إلا أن يجلسوا فى بيوتهم يغسلون ويطبخون ويحضنون الأولاد .. وينتظرون عودة زوجاتهم العاملات ، كاسبات الرزق ، وفاتحات البيوت . لذلك أخذ الرجال ينادون هناك – فى نيويورك وواشنطن – بوجوب تحرير الرجل من المرأة ، وذلك لبوده من أغلالها بقوة القانون !!

ولقد أجرى المهتمون بهذه الظاهرة الاجتماعية الخطيرة إحصاء دقيقاً بين الجنود الأمريكيين الذين عادوا إلى بلادهم من ميادين الحرب وكل منهم يتأبط ذراع زوجة أجنبية ، بين فرنسية وانجليزية وإيطالية وألمانية .. ويابانية .. ولقد تبين من هذا الإحصاء أن كثرة هؤلاء الزوجات يرحن على أنهن نساء ...

تتجاوز الخمسة فى المائة ، على حين أن نسبة الطلاق بين الأمريكيات جاوزت الستين فى المائة .. وتلك بادرة تنذر – إن هى اطردت – بانحلال المجتمع الأمريكى وتقويض أركانه

ولقد تبين بطريق لا يرقى إليها شك أن فى طليعة الأسباب التى أفضت إلى مثل هذا التضعضع الاجتماعى فى أمريكا المضى فى سياسة تعليم البنات تعليما استقلاليا يعد الفتاة ، لا للبيت والزوج ، ولكن للعمل والصديق .. فهى تحب من تشاء ، وتصادق من تشاء .. وتزاول من الأعمال ما تشاء بلا رقيب ولا حسيب . ولقد أفضت بها هذه الحياة المطلقة السائبة إلى نشوء عقدة نفسية حملتها على اعتبار البيت سجنا لا يطاق . حتى المتزوجات ، أو الكثيرات منهن ، يتناولن الطعام

فى المطعم ... وقضاء الوقت ... والاستوديو وعند بائع الزه... مطابخ . وإن وجدت . فـ... شرق صغير .. لأنهن لا يطـ...

وإذا لم يكن لفتاة هنا ... مغرياته بيت « تسرن » فيه ... ثم زوجاً ، فأماً .. فإذا يكو... الشارع والصالون ، وجو ... السجاير ورائحة الخمر والتنقل ... وسط إلى وسط

يقولون ان الحرب العالمية ... النفس على مصراعيه . ومهدت ... والاسترجال . فهل لا يزال لهذا ... تفتحه تلك الحرب الثانية !! وإ... قياسا على أن كل حرب يعقبها ... وأخلاق عنيف .. فإذا يقدر ا... فى أمريكا ثم فى بلادنا المحمية !

لقد طالعتنا الصحف بصو... بنطلونات . وإلى جانبهن شـ... التريكو . لعل أحدهم كان يصنع ... أن المهم ليس هذا . فها نحن أو... الظاهرة – ولست أدرى على التـ... محية أم غير محية – تنفى ... ولنا كباتنا وأتوبيساتنا . وها ... فتياتنا ينشطن فى كثير من ميادين ... حين أن من شبابنا من أخذ يسـ... والاسترخاء ، حتى ليحمل البعض فـ... « أصبع التفايف » فإذا بعد هذا ... كل ظاهرة تنبىء عن تطور جديد ... قرينة الانحلال الخلقية . فهل يكون معنى ... أنا سننام ونصحو ونرى الفتاة المـ... هى كذلك جنون أختها الأمريكـ... تنهج نهجها ، وتخطو خطاها لينادى ... « ان حرروا الرجل من استرقاق ... الناعمة . المستبدة . التى لا تؤمن ... الرجل حرا مثلها تماما .. لها هوى ... يعصى لها أمرا . ولا أن يرفع فى ...

المصادر والمراجع

الكتب والمراجع:

- الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، عبد الرحمن الدوسري.
- الأحاديث المختارة، ضياء المقدسي.
- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي.
- الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، محمود عبد الحليم، الجزء الأول، دار الدعوة، ١٩٩٩م.
- الإخوان المسلمون في ميزان الحق، فريد عبد الخالق، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ١٩٨٧م.
- أدب الدنيا والدين، الماوردي.
- إرواء الغليل، محمد ناصر الدين الألباني.
- الأزهر الشريف والإصلاح الاجتماعي والمجتمعي، محمد الجوادي.
- الاستقامة، ابن تيمية.
- الإسلام وأوضاعنا القانونية، عبد القادر عودة.
- اعتلال القلوب، الخرائطي.
- إغاثة اللهفان عن مكائد الشيطان، صالح الفوزان.
- أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، سعيد الخوري الشرتوني.
- أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، جمعة أمين عبد العزيز، الجزء الرابع، دار النشر والتوزيع الإسلامية.
- البداية والنهاية، ابن كثير.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروزأبادي مجد الدين.
- البغاء- بحث علمي عملي، محمد فريد جنيدي، مطبعة النصر، القاهرة، ط١، ١٩٣٤م.
- البغاء عبر العصور، سلام خياط.
- البغاء في مصر- مسح اجتماعي ودراسة إكلينيكية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٦١م.
- البغايا في مصر، عماد هلال.
- البوليس المصري ١٩٢٢- ١٩٥٢م، د.عبد الوهاب بكر.
- بونابرت في مصر، كريستوفر هيرولد.

- تاريخ حلب المصوّر، علاء نديم السيد.
- تحرير المرأة، قاسم أمين.
- تحريم البغاء عند قدماء المصريين وحض الحكومة على إلغائه، أنطون زكري.
- تخريج مشكاة المصابيح، ابن حجر.
- تفسير ابن كثير.
- تفسير أضواء البيان، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي.
- تفسير السعدي.
- تفسير الطبري، ط هجر.
- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب.
- تفسير المنتصر الكتاني.
- تقرير عن انتشار البغاء والأمراض التناسلية بالقطر المصري وبعض الطرق الممكن اتباعها لمحاربتها، د. فخري ميخائيل فرج، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٢٤م.
- التمهيد، ابن عبد البر.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول، ابن الأثير الجزري.
- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.
- جرائم البغاء، محمد نيازي حتاتة.
- الجواب الكافي، ابن قيم الجوزية.
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية.
- الحجاب، أبو الأعلى المودودي.
- الحركة المسرحية في الخليج العربي، ظمياء الكاظمي.
- حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبد الله الفوزان.
- حلية الأولياء، أبو نعيم.
- الخنزير بين ميزان الشرع ومنظار العلم، أحمد جواد.
- الذكريات، علي الطنطاوي.
- رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود شاكر.
- الرقيق في مصر، عبد الله بن محمد الداود.
- روح المعاني، شهاب الدين الألوسي.
- روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي.
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيم الجوزية.
- زاد المعاد، ابن قيم الجوزية.
- سبل السلام، الصنعاني.

- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث.
- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد الترمذي.
- السنن الكبرى، البيهقي.
- سيكولوجية البغاء- دراسة نظرية ميدانية، نجية إسحاق عبد الله محمد.
- شرح البخاري، ابن بطال.
- شرح السنة، الإمام البغوي.
- شرح العمدة، ابن تيمية.
- الشرح الكبير، ابن قدامة المقدسي.
- شرح النووي على مسلم، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي.
- شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين.
- شرح زاد المستقنع، محمد بن محمد الشنقيطي.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري.
- صحيح الترغيب والترهيب، الألباني.
- صحيح الجامع الصغير، الألباني.
- صحيح سنن أبي داود، الألباني.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج.
- صفة الغيرة لله تعالى، دراسة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، أ. د. محمد بن عبد العزيز العلي، دار طيبة.
- صفحة ذهبية- آراء وزراء الدولة المصرية في البغاء وآراء رجال مسؤولين وأمير من كبار الأمراء، محمود أبو العيون.
- الطب الوقائي في الإسلام، عبد الحميد القضاة.
- طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين العراقي.
- ظاهرة البغاء في القاهرة، محمد نيازي حتاتة.
- عارضة الأحوذي، أبو بكر بن العربي المالكي.
- عبد الرحمن الجبرتي- دراسات وبحوث، د. صلاح العقاد.
- عجائب الآثار، عبد الرحمن الجبرتي.
- العفة ومنهج الاستعفاف، يحيى سليمان العقيلي.
- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي.
- الغيرة المحمودة والغيرة المذمومة بين الأزواج والضرائر والأقران في ضوء الكتاب والسنة، د.حصة أحمد الغزال.
- الغيرة حصن المسلم، سامي المحمود.
- الغيرة على المرأة المسلمة، عبد الله المانع.
- الفتاوى الكبرى، ابن تيمية.

- فتاوى اللجنة الدائمة.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي.
- الفوائد، ابن قيم الجوزية.
- في ظلال القرآن، سيد قطب.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي.
- قاموس الإدارة والقضاء، فيليب جلاد، مطبعة بني لاغوداكي، إسكندرية، ١٨٩٥م.
- القاموس العصري، فيليب يوسف جلاد.
- القاموس المحيط، الفيروزأبادي.
- الكبائر، الذهبي.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي.
- لسان العرب، ابن منظور.
- مجتمع القاهرة السري (١٩٠٠- ١٩٥١م)، د.عبد الوهاب بكر.
- مجمع الأمثال، أبو الفضل الميداني.
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية.
- المجموع، النووي.
- محاضرات البكباشي محمد نيازي حتاتة، كلية الشرطة ١٩٥١م.
- محاضرات اللواء الدكتور نيازي حتاتة على ضباط فرقة البحث الجنائي بكلية الشرطة عام ١٩٦١م.
- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده.
- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية.
- مذابح الأعراض، محمود أبو العيون.
- المرأة ومكانتها في الإسلام، أحمد عبد العزيز الحصين.
- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المباركفوري.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري.
- مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين.
- مسند أحمد، أحمد بن حنبل.
- مسند الشهاب، القضاعي.
- مشاكل العصر الحديث في مصر والأمم الشرقية، محمد عطية الجداوي، مطبعة الصاوي، القاهرة.
- مصر الحرب العالمية الأولى، د. لطيفة محمد سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن التاسع عشر، إلهام محمد ذهني.
- المصريون المحدثون، إدوارد وليم لين.

- المصريون المحدثون، دي شابرول.
- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الشربيني.
- مقاصد الشريعة وتطبيقها على مسألة الاختلاط، خالد عثمان السبت.
- المكتب الدولي لمنع الاتجار بالنساء والأطفال، بحث في منع الدعارة المرخص بها من الحكومة، مطبعة الثغر، ١٩٣١م.
- من هنا بدأت الكويت، عبد الله الحاتم.
- المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف القرطبي.
- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، الطرابلسي.
- موت الغرب- أثر شيخوخة السكان وموتهم وغزوات المهاجرين على الغرب، باتريك جيه. بوكانن.
- الموسوعة الفقهية، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت.
- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (للنووي)، الرملي.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين ابن الأثير الجزري.
- نيل الأوطار، الشوكاني.
- ودخلت الخيل الأزهر، محمد جلال كشك.
- وزارة الداخلية، تقرير عن حالة الأمن العام بالمملكة المصرية، مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة.

المجلات والصحف:

- الحرية، العدد ١٧٥، ٧ أغسطس ١٩٠٦م.
- السياسة، في ٦ سبتمبر ١٩٢٦م.
- صحيفة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٣٣)، السنة الثانية، ١٣ رمضان ١٣٥٣هـ (خصلة الغيرة غريزة مركوزة في طباع كثير من ذكور الحيوانات).
- صحيفة الأهرام، ٢٧ ديسمبر ١٩٢٣م.
- صحيفة الأهرام، ١ سبتمبر ١٩٢٦م.
- صحيفة الأهرام، ٥ سبتمبر ١٩٢٦م.
- صحيفة الأهرام، ٨ سبتمبر ١٩٢٦م.
- صحيفة الأهرام، ١٠ سبتمبر ١٩٢٦م.
- صحيفة الأهرام، ٢٤ شباط ١٩٣٢م.
- صحيفة الراكوبة، بغم الواقي الذكري فقط، هل يكفي لإغلاق المايقوما، ٢٠١١/٢/٦م.
- صحيفة السفير العربي، ١٢ أبريل ٢٠١٦م.
- صحيفة الصباح، السنة الحادية عشرة، العدد ٣٥٥، ١٩٣٣/٦/١٤م.
- صحيفة الوسط، على سرير الغرباء.. تاريخ البغاء في البحرين، توفيق علي، العدد ٤٥٤٦، ٢٠١٥م.

- صحيفة مصر، العدد ١٠٤٤٤٩، ٢٠/٤/١٩٣٢م.
- الكاشف، ٢٠ ديسمبر ١٩٣٧م.
- مجلة الأستاذ، ١٣ ديسمبر ١٨٩٢م.
- مجلة كلُ شيء والعالم، عدد ١٦٤٣١، ديسمبر ١٩٢٨م.
- مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها.
- المجلة الجنائية القومية، التحليل الاجتماعي للشخصية- اتجاه جديد لفهم السلوك المنحرف، حسن الساعاتي، المركز القومي للبحوث الجنائية، القاهرة، العدد الأول، السنة الأولى، مارس ١٩٥٨م.
- مجلة العربي، العدد ٤٣.
- مجلة العروسة، ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢٥م.
- مجلة الفتح العدد ٩، ٤ صفر ١٣٤٥هـ/ ١٢ أغسطس ١٩٢٦م.
- مجلة الفتح، العدد ١٤، ٩ ربيع الأول ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م.
- مجلة الفتح، العدد ١٧، ٢٩ ربيع الأول ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م.
- مجلة الفتح، العدد ١٢٦، ١٣ ديسمبر ١٩٢٨م.
- مجلة اللطائف المصورة، ١٠ يونيو ١٩٣٥م.
- مجلة اللطائف المصورة، ١٥ إبريل ١٩٣٥م.
- مجلة المجتمع الكويتية، البغاء أفضل أسلحة الغرب في محاربة الإسلام- بنغلاديش أنموذجاً.
- مجلة المصور، يناير ١٩٥٠م.

المواقع الإلكترونية :

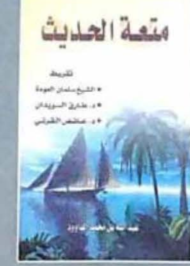
- أشكال الدعارة في مغرب الاستعمار، عبد العالي الشباني، موقع رسالة حب- أنطولوجيا الإيروتيكا العربية، https://goo.gl/bQFGon
- تراث، لمحات من تاريخ البغاء العلني والسري في بغداد، د.معتز محيي عبد الحميد، موقع لبنان أولاً وهويتي دوماً، https://goo.gl/zo5RWS
- خطبة للشيخ ابن عثيمين رحمة الله تعالى. من مقال (خطر الدش)، شبكة الألوكة، https://goo.gl/19zjB8
- رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث. ويكيبيديا الإخوان المسلمين، http://www.ikhwanwiki.com
- رفقاً بالقوارير، سمير بن خليل المالكي، موقع الألوكة، https://goo.gl/c3fQeN
- شبكة ملتقى الخطباء، http://www.khutabaa.com
- كله بالقانون- دول عربية وإسلامية تقنّن الدعارة بشكل رسمي، ياسر حمد، موقع نجوم مصرية، https://goo.gl/dAKV7o

أمسك القلم لأعلن البراءة
من كلِ عارٍ لحق بالأعراض
في عصري المتمرد على دين
الفضيلة، والمعادي لفضيلة
الدين.

وكان بودِي أن أدع كتابي جانباً،
لأتعلّق بعنقك وعنق كل غيور،
وأصرخ منادياً كلَ ناصحٍ هاتوا
أيديكم لنتعاهد معاً أن نكون من
جند الله ومن أنصار هذه الأمة
حتى يجتمع إلينا ثالثٌ ورابعٌ
وخامسٌ فنؤلف بهم وحدةً قويةً
نصد بها غارات التغريب وعبث
الهادمين في بناء ديننا فلعل
التاريخ يخط لنا على صفحاته
ما يسترنا من العار الأبديّ على
جريمة استباحة أعراضنا أمام
العالمين ونحن أحياء، ونرى
اغتصاب نساء الأمة بقرار حاكمٍ،
وصمت عالمٍ، وتخاذل غيورٍ،
وغفوة أمةٍ قرابة قرنٍ أو يزيد.



صدر للمؤلف












ISBN: 9786030239498